


تأليف

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

# الأنبياء
## وملك الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

**﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** [آل عمران:١٠٢].

**﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾**[النساء:١].

**﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾**[الأحزاب:٧٠-٧١].

## أما بعد:

جاء رجل إلى الإمام علي -رضي الله عنه- وكان الرجل قد اشترى بيتًا فجاء فرحًا مسرورًا بما اشترى من متاع الدنيا الفانية، وقال له: يا إمام لقد اشتريت بيتًا، فاكتب لي عقد هذا البيت فكتب الإمام علي -رضي الله عنه-.

اشترى ميت من ميت بيتًا له أركان أربعة:

الركن الأول: الموت. والثاني: القبر. والثالث: الحساب. والرابع: إما إلى الجنة وإما إلى النار. فاكفهر وجه الرجل وتغير لون وجهه، ثم قال: لقد

تصدقت بهذه الدار على الفقراء والمساكين.

فنظر الإمام علي وقال له:

**النفس تطمع في الدنيا وقد علم * أن السلامة فيها ترك ما فيها**
**لا دار للمرء بعد الموت يسكنها * إلا التي كان قبل الموت يبنيها**
**فإن بناها بخير طاب مسكنها * وإن بناها بشر خاب بانيها**

وهب أنك تعمل عند أي إنسان في الدنيا. فإنه يوفيك أجرك في نهاية عملك الذي عملته، وجزاء الدنيا لك نظير عملك الذي عملته يعطيه لك بشر، وغالبًا ما يكون هذا الأجر ماديًا لا معنويًا، كذلك بالنسبة للخالق -عز وجل- فقد خلق الدنيا وخلق فيها الإنسان ليمتحنه ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾[الملك:٢].

وإنني أخي الفاضل: أذكر نفسي وإياك بالموت، وقد ورد في الآثار القديمة أن سليمان -عليه السلام- كان عنده رجل يقول: يا نبي الله، إن لي حاجة بأرض الهند ، فأسألك أن تأمر الريح أن تحملني في هذه الساعة . فنظر سليمان إلى ملك الموت -عليه السلام- فرآه مبتسمًا، فقال: م تبتسم؟ قال: - تعجبًا - إني أُمرت بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه الساعة بالهند وأنا أراه عندك، فروي أن الريح حملته في تلك الساعة إلى الهند فقبض روحه بها. إذن لابد من الموت. نسأل أنفسنا ما الذي أعددنا لما بعد الموت، وقد قيل: إن العاقل الذي يعمل لما بعد الموت، ورحم الله القائل:

**مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها**
**وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاها**
**ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها**

أذكرك ونفسي بقول الله-تعالى-: ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾ [الملك١-٢]. والآيات في ذكر الموت كثيرة فهي في

حدود ( ١٦٥ ) آية، وأذكرك ونفسي بأن الكون كله لابد له من الفناء، ثم تأتي بعد ذلك دار القرار، الجنة أو النار. وقديمًا قالوا: من جد وجد ومـــن زرع حصد.

أخي الفاضل: سبق لي أن قدمت لك مؤلفات كثيرة في مادة المـــوت والقبر، والقيامة. ولله الحمد والمنة.

واليوم -إن شاء الله تعالى- أقدم لك كتابنا (**الأنبياء وملك المـــوت**) نعم اسمه ملك الموت، وليس له اسم آخر كما يدّعي البعض ويقولو: اسمـــه (عزرائيل) وأسألهم بالله عليكم : من أين أتيتم بهذا الاسم؟ هل حصلتم عليه من الكتب الصفراء، وما أكثرها في مصر المحروسة، ألم يقرءوا قـــول الله -تعالى- ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكـــل بكـــم ثـــم إلى ربكـــم ترجعون**﴾[السجدة:١١].

كتابنا هذا يشتمل على الفصول الآتية:

**الفصل الأول**: ويشمل ذكر الموت في القرآن الكريم، ثم معنى كلمة (موت)، ثم ذكر (القبر) في القرآن الكريم، ثم بحث في لفظ (قـــبر)، ثـــم فظاعة القبر وسهولته على المسلم.

**الفصل الثاني**: ويشمل أقوال العلماء في الروح، وأين توجد الأرواح بعد انفصالها عن الجسد، وخاصة روح المؤمن التقي.

**الفصل الثالث**: ويشمل الأنبياء -عليهم الصلاة والســـلام- وملـــك الموت -عليه السلام- وعندما نتذكر الموت لابد لنا من الوقوف عند بعض، السفالات والافتراءات والخزعبلات والاعتـــداء على القرآن الكريـــم مـــن بعض المهاويس أهل الضلال الذين ضلوا وأضلوا، حيث يقولون إن الخضـــر وإلياس -عليهم السلام- لم يموتا بل أحياء.

**أقول**: هذا كذب وافتراء ووقاحة وتعدٍ على القرآن والسنة، وسبق لي تأليف كتاب أتحدى الناس بوفاة الخضر وإلياس، وقد قدمت لك الأدلة -في

هذا الفصل- الدالة على وفاتهما -عليهما السلام-.

**الفصل الرابع:** ويشمل توجيهات عامة لما يفعله بعض الناس أثناء دفن الميت وبعده؛ لأن بعض الناس في مصر مازالوا يقولون وجدنا آباءنا يفعلون ذلك، بل وتجد أن كبار العلماء يقرونهم على هذه الأفعال السيئة والبدع المنكرة، ضاربين عرض الحائط بهدي نبينا -صلى الله عليه وسلم- القائل: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه.

بل ضاربين بعرض الحائط بوظيفة القرآن الكريم وأهدي لهم ولنفسي قول الله -تعالى-: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينًا**﴾[الأحزاب:٣٦].

وأقول للسادة العلماء:

**يا علما العصر يا ملح البلد        من يصلح الملح إذا الملح فسد**

واعلموا أيها العلماء أن:

**البدعة الدينية:** هي ما لم يقم عليها دليل من الكتاب أوالسنة الصحيحة، وتكون هذه البدعة في العبادات والدين، وهذا النوع من البدع هو الذي أنكره الإسلام وحكم عليه بالضلال، مثال البدع التي نراها في المآتم وعند المقابر والمعتقدات الشركية مثل: طلب المدد والعون من الإمام الحسين -رضي تعالى عنه- أو البدوي والنذور للأموات أصحاب القباب وطلب العون منهم.

١- قال تعالى منكرًا على المشركين ابتداعهم: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم**﴾[الشورى:٢١].

٢- قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس**

**منه فهو رد**)) رواه البخاري ومسلم.

٣– قال –صلى الله عليه وسلم–: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)) رواه مسلم.

٤– قال –صلى الله عليه وسلم–: ((**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

٥– قال –صلى الله عليه وسلم–: ((**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدعها– أي يتركها–**)) رواه الطبراني وغيره.

٦– وقال ابن عمر–رضي الله عنهما–: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.

٧– قال الإمام مالك –رحمه الله–: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً –صلى الله عليه وسلم– خان الرسالة، لأن الله تعالى قال: ﴿**اليوم أكلمت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ [المائدة:٣] فما لكم يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم دينا.

٨– وقال الإمام الشافعي –رحمه الله: ومن استحسن فقد شر، ولو جاز الاستحسان في الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل الإيمان ولجاز أن يشر في الدين في كل باب، وأن يخرج كل إنسان لنفسه شرعًا جديداً.

٩– وقال الحسن البصري –رحمه الله–: ولا تجالس صاحب بدعة فيمرض قلبك.

١٠– وقال حذيفة –رضي الله عنه–: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبدوها.

١١– ومن نصائح النبي –صلى الله عليه وسلم– المحجة البيضاء، حيث قال –صلى الله عليه وسلم–: ((**ما تركت شيئًا يقربكم من الله إلا أمرتكم به، ولا شيئًا يبعدكم عن الله إلا نهيتكم عنه حتى تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**)).

عزيزي القارئ: أوصيك ونفسي، ارجع إلى القرآن الكريم وسنة النبي الحبيب -صلى الله عليه وسلم- في جميع أمورك الدينية والخير كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع.

وهذا ما وصل إليه علمي المتواضع في هذا الموضوع، وأدعو الله -تعالى- لكل من يهدي لي عيوبي ولكن بدون تجريح وبكل تواضع، إنني أحتسب أجري عند الله -تعالى- في كل ما قدمت وأقدم -إن شاء الله تعالى- ، وأرجو من الله العلي القدير أن يتقبل منا ومنك العمل الصالح ، اقرأ بقلبك وعقلك.

اللهم بصرنا بعيوبنا، وثبتنا عند لقائك، وقربنا منك في روح وريحان وجنة نعيم، إنك أنت العزيز العليم. ﴿**هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب**﴾[ص:٤٩].

وإلى اللقاء يا أخي في الخاتمة -إن شاء الله تعالى- بعد أن تقرأ بقلبك وعقلك ولله -تعالى- الحمد والمنة.

**الشيخ/ علي أحمد عبد العال الطهطاوي**

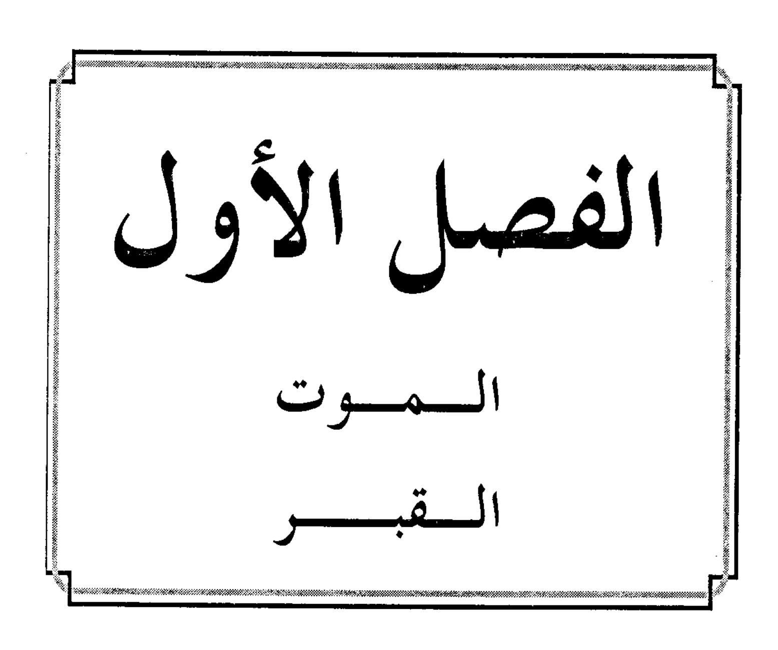
**رئيس جمعية أهل القرآن والسنة**

٦ ش المهدي -جزيرة الدهب- جيزة-مصر

تليفاكس: ٠٢/٥٧٢٣٥٣٧

٠٢/٧٧٤٤٧٢٠

٠١٢/٣٤٩٠١٣١



# الفصل الأول

## المـــوت

## القبـــــر



# ١- ذكر الموت في القرآن الكريم

١- ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ [آل عمران:١٤٤].

٢- ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره﴾[التوبة:٨٤].

٣- ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله﴾[البقرة:١٦١].

٤- ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به﴾[آل عمران:٩١].

٥- ﴿ولو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا﴾[آل عمران:١٥٦].

٦- ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾[التوبة:٨٤].

٧- ﴿فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾[التوبة:١٢٥].

٨- ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا﴾[الحج:٥٨].

٩- ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾[محمد:٣٤].

١٠- ﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا﴾[مريم:٢٣].

١١- ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيًّا﴾[مريم:٦٦].

١٢- ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾[الأنبياء:٣٤].

١٣- ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾[آل عمران:١٥٧].

١٤- ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ [آل عمران:١٥٨]

١٥- ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون﴾[المؤمنون:٣٥].

١٦- ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون﴾[المؤمنون:٨٢].

١٧- ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون﴾[الصافات:١٦].

١٨- ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون﴾[الصافات:٥٣].

١٩- ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا ذلك رجع بعيد﴾[ق:٣].

٢٠- ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون﴾[الواقعة:٤٧].

٢١- ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا﴾[مريم:٣٣].

٢٢- ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾[الزمر:٤٢].

٢٣- ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً﴾ [آل عمران:١٤٥].

٢٤- ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾[لقمان:٣٤].

٢٥- ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[البقرة:١٣٢].

٢٦- ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:١٠٢].

٢٧- ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾[الأعراف:٢٥].

٢٨- ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾[المؤمنون:٣٧].

٢٩- ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾[الجاثية:٢٤].

٣٠- ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم﴾[البقرة:٢١٧].

٣١- ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من

**يموت﴾**[النحل:٣٨].

٣٢- **﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا﴾**[مريم:١٥].

٣٣- **﴿إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾**[طه:٧٤].

٣٤- **﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده﴾**[الفرقان:٥٨].

٣٥- **﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾**[الأعلى:١٣].

٣٦- **﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾**[فاطر:٣٦].

٣٧- **﴿ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا﴾**[النساء:١٨].

٣٨- **﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾**[النجم:٤٤].

٣٩- **﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾**[البقرة:٢٥٩].

٤٠- **﴿ثم أماته فأقبره* ثم إذا شاء أنشره﴾**[عبس:٢١].

٤١- **﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾**[غافر:١١].

٤٢- **﴿ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت﴾**[البقرة:٢٥٨].

٤٣- **﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾**[الحجر:٢٣].

٤٤- **﴿إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير﴾**[ق:٤٣].

٤٥- **﴿إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾**[البقرة:٢٥٨].

٤٦- **﴿والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾**[آل عمران:١٥٦].

٤٧- **﴿الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾**[الأعراف:١٥٨].

٤٨- **﴿إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت﴾**[التوبة:١١٦].

٤٩- **﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾**[يونس:٥٦].

٥٠- ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾[المؤمنون:٨٠].

٥١- ﴿هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾[غافر:٦٨].

٥٢- ﴿لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾[الدخان:٨].

٥٣- ﴿له ملك السموات والأرض يحيي ويميت﴾[الحديد:٢].

٥٤- ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[البقرة:٢٨].

٥٥- ﴿وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[الحج:٦٦].

٥٦- ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[الروم:٤٠].

٥٧- ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة﴾[الجاثية:٢٦].

٥٨- ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾[الشعراء:٨١].

٥٩- ﴿فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾[البقرة:٢٤٣].

٦٠- ﴿قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾[آل عمران:١١٩].

٦١- ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾[البقرة:١٩].

٦٢- ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[البقرة:٩٤].

٦٣- ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾[البقرة:١٣٣].

٦٤- ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين﴾[البقرة:١٨٠].

٦٥- ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾[البقرة:٢٤٣].

٦٦- ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه﴾[آل عمران:١٤٣].

٦٧- ﴿قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران:١٦٨].

٦٨- ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٦٩- ﴿فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت﴾ [النساء:١٥].

٧٠- ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾[النساء:١٨].

٧١- ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[النساء:٧٨].

٧٢- ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾[النساء:١٠٠].

٧٣- ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان﴾[المائدة:١٠٦].

٧٤- ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾[المائدة:١٠٦].

٧٥- ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾[الأنعام:٦١].

٧٦-﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾[الأنعام:٩٣].

٧٧- ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾[الأنفال:٩].

٧٨- ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل

**مكان﴾**[إبراهيم:١٧].

٧٩- ﴿**كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾**[الأنبياء:٣٥].

٨٠- ﴿**حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾**[المؤمنون:٩٩].

٨١- ﴿**كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾**[العنكبوت:٥٧].

٨٢- ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾**[السجدة:١١].

٨٣- ﴿**قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾**[الأحزاب:١٦].

٨٤- ﴿**تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾**[الأحزاب:١٩].

٨٥- ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾**[سبأ:١٤].

٨٦- ﴿**فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾**[الزمر:٤٢].

٨٧- ﴿**لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾**[الدخان:٥٦].

٨٨- ﴿**ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾**[محمد:٢٠].

٨٩- ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾**[ق:١٩].

٩٠- ﴿**نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾**[الواقعة:٦٠].

٩١- ﴿**إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت﴾**[الجمعة:٦].

٩٢- ﴿**قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾**[الجمعة:٨].

٩٣- ﴿**وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾**[المنافقون:١٠].

٩٤- ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن**

**عملاً﴾**[الملك:٢].

٩٥- **﴿ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا﴾**[الفرقان:٣].

٩٦- **﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾**[البقرة:٥٦].

٩٧- **﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾**[النساء:١٥٩].

٩٨- **﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾**[سبأ:١٤].

٩٩- **﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾**[البقرة:١٦٤].

١٠٠- **﴿قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾**[البقرة:٢٥٩].

١٠١- **﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾**[النحل:٦٥].

١٠٢- **﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾**[العنكبوت:٦٣].

١٠٣- **﴿ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها﴾**[الروم:١٩].

١٠٤- **﴿ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها﴾**[الروم:٢٤].

١٠٥- **﴿فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾**[الروم:٥٠].

١٠٦- **﴿فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾**[فاطر:٩].

١٠٧- **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾**[الزمر:٤٢].

١٠٨- **﴿وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد**

موتها﴾[الجاثية:٥].

١٠٩- ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾[الحديد:١٧].

١١٠- ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾[الدخان:٥٦].

١١١- ﴿أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾[الصافات:٥٩].

١١٢- ﴿إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾[الدخان:٣٥].

١١٣- ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾[البقرة:١٥٤].

١١٤- ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾[النحل:٢١].

١١٥- ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾[فاطر:٢٢].

١١٦- ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم﴾[البقرة:٢٨].

١١٧- ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا﴾[آل عمران:١٦٩].

١١٨- ﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا * أحياءً وأمواتًا﴾[المرسلات:٢٦].

١١٩- ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾[البقرة:٧٣].

١٢٠- ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾[البقرة:٢٦٠].

١٢١- ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾ [آل عمران:٤٩].

١٢٢- ﴿وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني﴾[المائدة:١١٠].

١٢٣- ﴿والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾[الأنعام:٣٦].

١٢٤- ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾[الأنعام:١١١].

١٢٥- ﴿كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾[الأعراف:٥٧].

١٢٦- ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾[الرعد:٣١].

١٢٧- ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى﴾[الحج:٦].

١٢٨- ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾[النمل:٨٠].

١٢٩- ﴿إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[الروم:٥٠].

١٣٠- ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾[الروم:٥٢].

١٣١- ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾[يس:١٢].

١٣٢- ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾[فصلت:٣٩].

١٣٣- ﴿فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[الشورى:٩].

١٣٤- ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعيي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى﴾[الأحقاف:٣٣].

١٣٥- ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾[القيامة:٤٠].

١٣٦- ﴿أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس﴾[الأنعام:١٢٢].

١٣٧- ﴿لنحيي به بلدة ميتًا ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا﴾[الفرقان:٤٩].

١٣٨- ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتًا﴾[الزخرف:١١].

١٣٩- ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾[الحجرات:١٢].

١٤٠- ﴿وأحيينا به بلدة ميتًا﴾[ق:١١].

١٤١- ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾[البقرة:١٧٣].

١٤٢- ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله﴾[المائدة:٣].

١٤٣- ﴿وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾[الأنعام:١٣٩].

١٤٤- ﴿إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير﴾[الأنعام:١٤٥].

١٤٥- ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾[النحل:١١٥].

١٤٦- ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا﴾[يس:٣٣].

١٤٧- ﴿وتخرج الحي من الميت﴾[آل عمران:٢٧].

١٤٨- ﴿وتخرج الميت من الحي﴾[آل عمران:٢٧].

١٤٩- ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت﴾[الأنعام:٩٥].

١٥٠- ﴿ومخرج الميت من الحي ذلكم الله﴾[الأنعام:٩٥].

١٥١- ﴿حتى إذا أقلت سحابًا ثقالاً سقناه لبلد ميت﴾[الأعراف:٥٧].

١٥٢- ﴿أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت﴾[يونس:٣١].

١٥٣- ﴿ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾[يونس:٣١].

١٥٤- ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾[إبراهيم:١٧].

١٥٥- ﴿يخرج الحي من الميت﴾[الروم:١٩].

١٥٦- ﴿ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها﴾[الروم:١٩].

١٥٧- ﴿فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾[فاطر:٩].

١٥٨- ﴿**ثم إنكم بعد ذلك لميتون**﴾[المؤمنون:١٥].

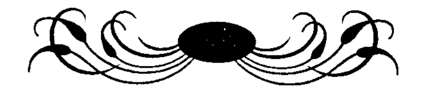
١٥٩- ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾[الزمر:٣٠].

١٦٠- ﴿**أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين**﴾[الصافات:٥٨].

١٦١- ﴿**إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**﴾[الإسراء:٧٥].

١٦٢- ﴿**أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم**﴾[الجاثية:٢١].

١٦٣- ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾[الأنعام:٦٢].



# ٢- ما هو الموت؟

الموت ضد الحياة، والحياة هي تعلق الروح بالبدن إلى أجل محدود، وعلى ذلك فالموت هونزع الروح من البدن، أو الموت هو انعدام الحياة التي عرفها الإنسان، والموت مخلوق خلقه الله -تعالى- بقدرته لقوله -تعالى- ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾[1] ولقد ذكر الموت في القرآن الكريم ١٧٥ مرة.

والموت هو انتقال من دار إلى دار ومن صور الحياة إلى صور أخرى فلابد للإنسان أن يمر بهذه المراحل.

١- بطن الأم.

٢- مدة وجوده في الدنيا.

٣- عالم البرزخ الذي بعد الموت.

٤- ما بعد قيام الساعة من جنة أو نار ويسمى دار القرار.

## فائدة:

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-[2] للنفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها:

**الأولى**: بطن الأم وذلك محل الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

**الثانية**: هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر.

**الثالثة**: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم، ونسبة هذه الدار إليها كنسبة الدار إلى هذه الدار وأعظم، ونسبة هذه الدار إليها كنسبة الدار الأولى إلى هذه.

---

(١) الملك:٢

(٢) كتاب شرح الصدور للسيوطي ص٢٦٩.

**الرابعة:** الدار التي لا دار بعدها دار القرار، الجنة أو النار، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الأخرى.

**قلت:** ويدل لما ذكره في الثالثة ما أخرجه ابن أبي الدنيا مرفوعًا: «**إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه، حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت، فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه**».

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا كمثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا**»

وقال الإمام ابن القيم[1]: إن الله -سبحانه وتعالى- جعل الدور ثلاثًا دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وجعل -سبحانه وتعالى- لكل دار أحكامًا تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعًا لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها ، والأرواح هنا ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيمًا أو

---

(١) في كتابه الروح ص(٨٨-٩٠).

عذابًا، فأحط بهذا الموضع علمًا واعرفه كما ينبغي. وقد أرانا الله -تعالى- من ذلك أنموذجًا في الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً والبدن تبع له، فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس فإذا كانت الروح تتألم وتنضم ويصل ذلك إلى بدنها بطريقة الاستتباع، فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم الحشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرًا أبديًا أصلاً.

ومتى أعطيت هذا الوضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة عقله.

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعم على بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر، فأمر البرزخ أعجب من ذلك.

# ٣- قبض روح المؤمن[1]

## ما يكون قبل قبض الروح:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[2].

## حضور الشيطان عند الاحتضار:

يحرص الشيطان على الحضور عند الاحتضار، ليختم للمرء بالشر والفسوق والعصيان كما هو شأنه الحرص على الحضور عند سائر الأعمال، ودليل ذلك ما رواه جابر -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة، فليمط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة**» رواه مسلم.

## حضور الملائكة عند الاحتضار:

**﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في**

---

(١) كتابنا القبر أو منازل الآخرة. طبعة بيروت- ص٢٣.

(٢) رواه البخاري وأحمد في مسنده.

**الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾**[1]. أي أن الذين أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله -تعالى- ثم استقاموا على أداء فرائضه.

وكان الحسن يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

وقوله تعالى: ﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ قال مجاهد والسدى: يعني عند الموت قائلين: ﴿**ولا تحزنوا**﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه. ﴿**وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير وهذا كما جاء في حديث البراء -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، الذي كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان**» .

وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار : نحن كنا أولياءكم، أي قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله -تعالى-، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس معكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور وفي الحديث : «**من كره لقاء الله كره الله لقاءه**». قلنا : يا رسول الله ، كلنا يكره الموت، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله -تعالى- بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله -تعالى- ، فأحب الله لقاءه، وقال: إن الفاجر أو الكافر**

---

(١) سورة فصلت.

**إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشـــر فكـــره لقـــاء الله فكره الله لقاءه»** [1] .

وأخرج ابن منده في باب الأرواح من طريق مجاهد عن الـــبراء بـــن عازب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن المؤمن إذا حضر أتـــاه ملك في أحسن صوره وأطيب ريح فيجلس عنده لقبض روحـــه وأتـــاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة**»[2] .

## ٤- ذكر كلمة القبر في القرآن الكريم[3]

ذكرت كلمة القبر في القرآن الكريم في حوالي ثمانية مواضع في ســـور متفرقة من القرآن الكريم، وسوف أذكر بحول الله وقوته هذه الآيات مـــن السور ثم يتم سوق التفسير الدال عليها من الكتب المتخصصة حتى تتضـــح الصورة بوضوح، ويفهم كل مسلم مؤمن موحد ما أراد المولى -عز وجل- من ذكر هذه الكلمة في القرآن، ثم في الكتاب الثاني -إن شاء الله- يتـــم سوق الأحاديث الدالة على عذاب القبر مع تعليق بسيط إذا احتاج الأمـــر لتوضيح.

١-قال تعالى: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علـــى قبره**﴾[التوبة:٨٤].

٢- قال تعالى: ﴿**وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**﴾[الحج:٧].

٣- قال تعالى: ﴿**إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمســـمع مـــن في القبور**﴾[فاطر:٢٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أنس -رضي الله عنه-.

(٢) انظر كتابنا القبر أول منازل الآخرة. طبعة بيروت.

(٣) انظر كتابنا شرح الصدور.

٤- قال تعالى: ﴿**قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾[الممتحنة:١٣].

٥- قال تعالى: ﴿**وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت**﴾[الانفطار:٤،٥].

٦- قال تعالى: ﴿**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور * وحصل ما في الصدور**﴾[العاديات:٩،١٠].

٧- قال تعالى: ﴿**ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر**﴾[التكاثر:١،٢].

٨- قال تعالى: ﴿**من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره**﴾[عبس:٢١].

## يقول علماء التفسير في شرح الآيات:

يقول الإمام ابن كثير في تفسير سورة عبس: ﴿**ثم أماته فأقبره**﴾ أي أنه بعد خلقه له، أماته فأقبره ، أي جعله ذا قبر والعرب تقول : قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه وأقبره الله.

ويقول في شرح الآية الثانية: ﴿**ولا تقم على قبره**﴾ [التوبة:٨٤] إن الله -عز وجل- نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم وهو دليل على عذاب القبر.

وقد روى الإمام أحمد عن جابر قال: لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنك إن لم تأته لم نزل نُعَيَّر بهذا فأتاه النبي -صلى الله عليه وسلم- فوجده قد أدخل في حفرته فقال: «**أفلا قبل أن تدخلوه؟**» فأخرجه من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه، وكذلك رواه النسائي والبخاري في صحيحه.

وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليها حذيفة بن اليمان ؛ لأنه كان يعلم أعيان المنافقين. قد أخبره بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره آية الحج: ﴿**وأن الله يبعث من في القبور**﴾ أي يعيدهم بعدما صاروا في قبورهم رمما ويوجدهم بعد العدم، كما قال تعالى: ﴿**وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾.

ويقول في شرح آية (فاطر): ﴿**إن الله يسمع من يشاء**﴾ أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها: ﴿**وما أنت بمسمع من في القبور**﴾ أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة ولا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم ﴿**إن أنت إلا نذير**﴾.

ويقول في شرح آية (الممتحنة) في قوله تعالى: ﴿**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾ فيه قولان: أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك ؛ لأنهم لا يعتقدون بعثًا ولا نشوراً فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدون ويقول الحسن البصري إن الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات.

ويقول في شرح آية (الانفطار) يقول ابن عباس: ﴿**بعثرت**﴾ أي بحثت وقال السدي: تبعثر، تحرك فيخرج من فيها.

ويقول في شرح آية (العاديات): أي أخرج ما فيها من أموات وهذا مجاز لمعنى ﴿**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور**﴾.

ويقول في شرح آية (التكاثر): يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها، ويقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ **عن الطاعة** ﴿**حتى زرتم المقابر**﴾ **حتى يأتيكم الموت**».

ويقول الحسن البصري: ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد.

وفي البخاري: عن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ يعني لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له واد آخر ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب.

وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: «﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ **يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت به**» رواه مسلم والترمذي والنسائي.

بعد ذكر الآيات التي ذكرت فيها كلمة القبر، وقد سقت التفسير الدال على الآيات حتى تتضح الرؤية لبعض الغافلين عن طاعة الله -عز وجل- والذين يقولون: إنهم يؤمنون بالقرآن وقد وضحنا هذا الأمر من القرآن الكتاب الحق الذي لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه وسوف أسوق الأحاديث الدالة على عذاب القبر حتى نكون قد بلغنا بما علمنا، لعل الله -عز وجل- أن يغفر لنا ما علم منا وما خفي، ويكون في ميزان حسناتي يوم القيامة.

## مخاطبة القبر للميت

أخرج الترمذي وحسنه عن أبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أكثروا ذكر هادم اللذات، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنعي بك فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلاً إن كنت لا أبغض من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ فترى صنعي بك.**

قال: **فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه»** . قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض. قال: «**ويقيض له سبعون تنينًا لو أن واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا، فتنهشه وتخدشه حتى يفضي به إلى الحساب**» قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنما القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**» .

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جنازة : فجلس إلى قبر، فقال: «**ما يأتي على هذا القبر يوم إلا وهو ينادى بصوت طلق ذلق**[1] **يابن آدم كيف نسيتني؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الوحشة، وبيت الدود، وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه،**» ثم قال: «**القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» .

وأخرج ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي، وأبو يعلى، والحاكم في الكنى والطبراني في الكبير، وأبو نعيم عن أبي الحجاج الشمالي قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ألم تعلم ويحك أني بيت الفتنة ، وبيت الظلمة ، وبيت الوحدة، وبيت الدود، يابن آدم ما غرك بي إذ كنت تمر على فدادًا فإن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيقول القبر: إني إذًا أتحول عليه خضرًا ، ويعود جسده نورًا، وتصعد روحه إلى الله تعالى**» قيل لأبي الحجاج: ما الفداد؟ قال: الذي يُقدم رجلاً ويؤخر أخرى. يعني الذي يمشي مشية التبختر.

وأخرج ابن منده في باب الأرواح: من طريق مجاهد عن البراء بن

---

(١) فصيح بليغ.

عازب، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**إن المؤمن إذا احتضر أتاه ملك في أحسن صورة وأطيب ريح فيجلس عنده لقبض روحه، وأتاه ملك بحنوط من الجنة، وكفن من الجنة، وكانا منه على بعد، فيستخرج ملك الموت روحه من جسده رشحًا، فإذا صارت إلى ملك الموت ابتدرها الملكان ، فأخذاها منه، فحنطاها بحنوط من الجنة ، وكفناها بكفن من الجنة ثم عرج بها إلى الجنة فتفتح أبواب السماء لها وتستبشر الملائكة بها ويقولون لمن هذه الروح الطيبة التي فتحت لها أبواب السماء، وتسمى بأحسن الأسماء التي كانت تسمى بها في الدنيا، فيقال: هذه روح فلان، فإذا صعد بها إلى السماء شيعها مقربو كل سماء، حتى توضع بين يدي الله عند العرش، فيخرج عملها في عليين، فيقول الله للمقربين: اشهدوا أني قد غفرت لصاحب هذا العمل، ويختم كتابه فيرد في عليين، ثم يقول عز وجل: ردوا روح عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني أردهم فيها، فإذا وضع المؤمن في لحده تقول له الأرض: إن كنت لحبيبًا إليّ وأنت على ظهري، فكيف إذا صرت في بطني، سأريك ما أصنع بك، فيفسح له في قبره مد بصره ، ويفتح له باب عند رجليه إلى الجنة، فيقال له: انظر إلى ما أعد الله لك من الثواب ويفتح له باب عند رأسه إلى النار فيقال له : انظر ما صرف الله عنك من العذاب. ثم يقال له: نم قرير العين، فليس شيء أحب إليه من قيام الساعة**» .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عبيد قال: بلغني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه، فلا يكلمه شيء أول من حفرته فيقول: ويحك يابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي وضنكي ونتني، وهولي ودودي، أعددت لهذا، فماذا**

**أعددت لي؟»**.

وأخرج أيضًا عن يزيد بن شجرة قال: يقول القبر للرجل الكافر والفاجر، أما ذكرت ظلمتي، أما ذكرت وحشتي، أما ذكرت وحدتي، أما ذكرت ضيقي، أما ذكرت غمي؟!

وأخرج أيضًا عن عبيد بن عمير قال: إن القبر ليقول: يابن آدم ماذا أعددت لي، أما تعلم أني بيت الغربة.. وبيت الوحدة.. وبيت الأكلة.. وبيت الدود؟

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن عبيد بن عمير قال: ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت في حياتك لله مطيعًا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت لربك في حياتك عاصيًا فأنا عليك نقمة. أنا البيت الذي من دخله مطيعًا خرج منه مسرورًا، ومن دخله عاصيًا خرج منه مثبورًا.

وأخرج عن جابر -رضي الله عنه- قال: إن للقبر لسانًا ينطق به، فيقول: يابن آدم، كيف نسيتني؟ ألم تعلم أني بيت الوحشة، وبيت الغربة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله -عز وجل-.

وقال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر الفقيه الحنبلي في كتاب (المثاني في الفقه): حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الرازي، حدثنا محمد بن حماد قرئ على عبد الرازق وأنا حاضر عن الثور، عن الأعمش، عن المنهال ابن عمرو، وعن زاذان، عن البراء قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جنازة فوجدنا القبر لم يلحد، فجلس وجلسنا حوله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا وضع الميت في قبره، ثم سوى عليه كلمته الأرض، فقالت: أما علمت أني بيت الوحشة والغربة والدود، فماذا أعددت لي؟**».

وأخرج البيهقي في (الشعب) عن بلال بن سعد قال: ينادي القبر في

كل يوم: أنا بيت الغربة وبيت الدود والوحشة، وأنا حفرة من حفر النار. أو روضة من رياض الجنة. وإن المؤمن إذا وضع في لحده كلمتــه الأرض مــن تحته، فقالت: والله إن كنت أحبك وأنت على ظهري تمشي، فكيف وقــد صرت في بطني فإذا وليتك، فستعلم ما أصنع، فيتسع له مــد بصــره، وإذا وضع الكافر قالت : والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري، فإذا وليتك فستعلم ما أصنع، فتضمه ضمة تختلف منها أضلاعه.

وأخرج الديلمي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**تجهزوا لقبوركم، فإن القبر له في كل يوم سبع مرات يقــول: يابن آدم الضعيف، ترحم في حياتك على نفسك قبل أن تلقاني أترحــم عليك وتكفى مني الردى**» .

وأخرج ابن أبي الدنيا في القبور، وابن منده، عن عمــر -رضــي الله عنه- قال: إذا دخل المؤمن حفرته نادته الأرض: أمطيع أم عاصٍ؟ فإذا كان صالحًا ناداه مناد من ناحية القبر عــودي عليه خضرة وكوني عليه رحمــة فنعم العبد كان لله، ونعم المردود إليك. فتقول الأرض: الآن حين اســتحق الكرامة.

وأخرج ابن أبي الدنيا في القبور، عن محمد بن صبيح قال: بلغنــا أن الرجل إذا وضع في قبره، فعذب أو أصابه بعض ما يكره، ناداه جيرانه مــن الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه أما كان لك فينا معتبر، أما كــان لك في تقدمنا إياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا هنا وأنت في المهلة، فهلا استدركت ما فات؟ وتناديه بقاع القبر: أيها المغــتر بظهــر الأرض: هــلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك، ثم سبق به أجله إلى القبور، وأنت تراه محمولاً، تناديه أحبته إلى المنزل الــذي لابــد منه؟ قال سفيان الثوري: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة،

ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.

وأخرج الخطيب في تاريخه، عن يزيد الرقاشي قال: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته[1] أعماله، ثم أنطقها الله فقالت: أيها المنفرد في حفرته انطقع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم غير عملك ، يبكي يزيد ويقول: فطوبى لمن كان أنيسه صالحًا، والويل لمن كان أنيسه عليه وبالاً.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن أنس بن مالك قال: ألا أخبركم بيومين وليلتين لم يسمع الخلائق بمثلهما : أول يوم يجيئك البشير من الله : إما برضا الله وإما بسخطه، ويوم تقف فيه بين يدي الله تأخذ فيه كتابك، إما بيمينك وإما بشمالك، وليلة يبيت الميت في قبره لم يبت ليلة قبلها مثلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة ليس بعدها ليلة.

## بحث في لفظ القبر

روينا[2] قبر: القبر: مدفن الإنسان، وجمعه قبور، والمقبر المصدر، والمقبرة بفتح الباء وضمها: موضع القبور، والمقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم . والمقبر أيضًا موضع القبر وهو المقبري. والمقبرة واحدة المقابر، قال عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

**أزور وأعتاد ولا أرى ** سوى رمس أحجار عليه ركود**

**لكل أناس مقبر بفنائهم ** فهم ينقصون والقبور تزيد**

وفي الحديث: نهي عن الصلاة في المقبرة، هي موضع دفن الموتى وتضم باؤها وتفتح، وإنما نهى عنها لاختلاط ترابها بصديد الموتى ونجاساتهم،

(١) أحاطت به.

(٢) لسان العرب (ج١١/ ص١٠٠٩).

والحديث: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر**» أي: لا تجعلوها لكم كالقبور لا تصلون فيها ؛ لأن العبد إذا مات وصار في قبره لم يصلي ويشهد له قوله فيه: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً**»[1] ، وقيل: معناه لا تجعلوها كالمقابر التي لا تجوز الصلاة فيها.

وقبره يقبره ويقبره: دفنه وأقبره جعل له قبرًا وأقبر إذا أمر إنسانًا بحفر قبر.

قال أبو عبيدة: قالت بنو تميم للحجاج[2] وكان قتل صالح بن عبد الرحمن: أقبرنا صالحًا: أي ائذن لنا في أن نقبره، فقال لهم: دونكموه. وفي قوله تعالى: ﴿**ثم أماته فأقبره**﴾[3] أي جعله مقبوراً ممن يقبر و لم يجعله ممن يلقى للطير والسباع ولا ممن يلقى في النواويس، كأن القبر مما أكرم به المسلم. ومما أكرم به بنو آدم، ولم يقل فقبره لأن القابر هو الدافن بيده، والمقبر هو الله -تعالى- لأنه صيره ذا قبر، وليس فعله كفعل الآدمي، والإقبار أن يهيئ له قبرًا أو ينزله منزله، وفي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما- أن الدجال ولد مقبوراً، يعني أن أمه وضعته وعليه جلدة مصمتة ليس فيها شق ولا نقب، فقالت قابلته: هذه سلعة وليس ولداً فقالت أمه: بل

---

(١) متفق عليه وانظر رياض الصالحين برقم (١١٣٠).

(٢) الحجاج الثقفي المجرم السفاح. قال في الروضة الندية: وقد أحصى الذين قتلهم الحجاج من الصحابة والتابعين فبلغوا مائة ألف وعشرون ألفًا. هذا السفاح كان في سجنه واحد وثمانون ألف أسير بدون جرم. مر هذا الفاجر يوم الجمعة فسمع استغاثة فقال: ما هذا؟ قيل: أهل السجون، يقولون: قتلنا الحر. فقال: قولوا لهم: اخسأوا فيها ولا تكلمون، فما عاش بعد إلا أقل من جمعة. انظر (ص٣٢٢) موارد الظمآن.

(٣) عبس: ٢١

فيها ولد وهو مقبور فيها فشقوا عنه فاستهل[1] .

وأقبره جعل له قبرًا يوارى فيه ويدفن فيه، وأقبرته، أمرت بأن يقبر، وأقبر القوم قتيلهم: أعطاهم إياه يقبرونه، وأرض قبور: يعني غامضة. اهـ.

هذا والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[2] .

# عشر شدائد تنتظر الإنسان

١- الموت وسكراته.

٢- الغسل والتكفين والحمل على الأعناق وما فيه.

٣- دخول القبر، وما فيه.

٤- شدة سؤال الملكين.

٥- القيام من القبور للحشر يوم القيامة.

٦- الحشر ثم العرض للحساب.

٧- الوقوف أمام الميزان لوزن الأعمال.

٨- تطاير الكتب ولحظة تسلم الكتاب إما باليمين وإما بالشمال.

٩- المرور على الصراط الذي هو جسر على جهنم.

١٠- النار وأهوالها وعذابها وما فيها.

# القبر هو البرزخ

البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى: ﴿**وجعل بينهما برزخًا**﴾[3] أي حاجزًا ، وقوله تعالى: ﴿**ومن ورائهم برزخ**﴾ أي من أمامهم ومن بين أيديهم.

---

(١) استهل: أحدث صوتًا.

(٢) رواه في الموطأ (ص١٥٦).

(٣) الفرقان: آية ٥٣

روى هناد بن السري قال: حدثنا محمد بن فضيل ووكيع عن فطر قال: سألت مجاهداً عن قول الله تعالى: ﴿**ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾[1] قال: هو ما بين الموت والبعث.

وقيل للشعبي: مات فلان، قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة هو في برزخ.

فالبرزخ حياة ثانية تتوسط حياتين: حياة دنيوية تبدأ بالولادة وتنتهي بالوفاة، وحياة أخروية تبدأ بالنفخ والبعث والنشور وتنتهي بالحساب والثواب وبالنعيم أو العذاب.

إذن فحياة البرزخ تبدأ من لحظة الوفاة إلى وقت النفخة الأولى ﴿**يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون**﴾[2] .

هذه الحياة البرزخية ليست ومضة عابرة أو فترة قصيرة بل هي حياة بكل ما تحتمله ، وبكل ما تحمله كلمة حياة من معانٍ وأجواء، وفيها حساب وفيها نعيم وفيها مساءلة.

وحياة البرزخ ليست امتداداً للحياة الدنيا، فهي مغايرة لها، وليست على شاكلتها، فما رجع أحد من الحياة البرزخية إلى دنيانا حتى يكون شاهد صدق على أنها امتداد دنيوي وهي أيضًا ليست الحياة الأخروية ؛ لأن الحياة الأخروية لها ميقات وأشراط وعلامات مازالت في علم العليم الحكيم قال تعالى: ﴿**إن الله عنده علم الساعة**﴾[3] . فالحياة البرزخية إذن حياة بين حياتين .. حياة فيها حياة.. تحلل فيها الميت من عتمته وظلامه وطينيته ودخل منطقة الروح والحق والنور، فرأى فيها ما حجب عنه في دنياه وأبصر ما غطى عليه، وعلم فيها ما كان وما سيكون ، قال تعالى : ﴿**فكشفنا**

(١) المؤمنون: آية ١٠٠

(٢) المعارج: آية ٤٣

(٣) لقمان: آية ٣٤

**عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾**[1] .

ورأى منها مكانه في العالم الأخروي ومكانته يوم القيامة مصداقًا لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من عبد ينزل في قبره إلا ويعرف مكانه في الآخرة أشقي أم سعيد**» .

جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم**[2] **إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا النبي محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - يراهما جميعًا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال : لا دريت**[3] **ولا تليت ، ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[4] .

في الحياة البرزخية صديقون وشهداء أحياء في قبورهم وفيها جاحدون كافرون معذبون في رمسهم.

وفيها رسل الله -تعالى- من ملائكة وأنبياء يعيشون في أجوائها يسمعون ويرون ويحسون ويشعرون.

فالأنبياء أحياء في قبورهم.. يحيون حياة برزخية وقد التقى بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة أسري به وتحدث معهم وصلى بهم.

---

(١) ق: آية ٢٢

(٢) أحذيتهم.

(٣) لا علمت ولا نطقت.

(٤) الإنس والجن.

يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «**ليلة أن أسري بي التقيت في السماء بإبراهيم فقال لي : يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان**[1] **وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» .

والتقى بآدم -عليه السلام- والتقى بموسى وهارون وداود وسليمان وإدريس ويحيى وعيسى -عليهم السلام-.

وفي البرزخ شاهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الكثير من المشاهد البرزخية.. رأى منازل ودرجات العابدين العاملين .. ورأى دركات المخالفين المعاندين الذين خالفوا التعاليم الإلهية، أو تهاونوا فيها أو تثاقلوا عنها.

إذن فالرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وكذلك سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم- أحياء في برزخهم حياة لا يعلم كيفيتها إلا الله -تعالى- حياة كحياة هؤلاء الشهداء الذين قال الله -تعالى- فيهم: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

وقال الله -تعالى-: ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**﴾[2] .

وقال الله -تعالى: ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء**﴾[3] .

---

(١) أرض مستوية.

(٢) البقرة: ١٥٤.

(٣) النساء: ٦٩.

فرتبة الشهادة ثالث درجة النبوة، ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة.

ولقد أورد الإمام القشيري جملة من الأحاديث يثبت بها ما رآه منها:

عن عبد الله بن مسعود: عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام**»[1] .

يقول الإمام القشيري تعليقًا على هذا الحديث: ولا يبلغ السلام إلا ويكون حيًّا.

ويروي الإمام القشيري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «**أكثروا الصلاة عليّ، فإن الله وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلى عليّ رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة؟**»[2] .

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه ليس يصلي عليّ أحد يوم الجمعة إلا عرضت عليّ صلاته**» [3] .

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى عليّ صلى الله عليه عشرًا**»[4] .

فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به بحيث تعرض عليه صلاة من صلى عليه، ويرد سلام من سلم عليه.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم. صحيح الجامع (٢١٧٤).

(٢) صحيح الجامع رقم (١٢٠٧).

(٣) صحيح الجامع رقم (١٢٠٨).

(٤) صحيح الجامع رقم (١٢٠٩).

لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا في البرزخ بل أعظم ، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح ظاهراً أبديًّا أصلاً.

ومتى أعطيت هذا الموضوع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من عذاب القبر ونعيمه، وضيقه وسعته، وضمه وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار والعياذ بالله -تعالى- مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه كما قيل:

**وكم من عائب قولاً صحيحًا ** وآفته من الفهم السقيم**

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فرش واحد، وهذا روحه في النعيم ويستقيظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر، فأمر البرزخ أعجب من ذلك.

إن حياة البرزخ من الأمور الغيبية. وهو ما يعبر عنه بالسمعيات وهي محك الإيمان، فمن يؤمن بما غاب عنه إيمانًا مطلقًا عميقًا أقوى من غير شك من هذا الذي لا يؤمن إلا بالمعاينة والمشاهدة.

والسمعيات يراد بها: ما يأتي العلم به عن طريق السماع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن رسول الله، أو من الآثار والأخبار الصحيحة التي رويت عن صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن السلف الصالح.

والعقل في هذا المجال السمعي الغيبي لا مدخل له ولا مكان فهي أمور

تعز على العقل وعلى التصور وعلى الخيال وعلى البال. وفي إيمان عميق واعتقاد متين مكين نواجه بالموت، وبما بعد الموت.. نؤمن بالأيام الأخروية وبالحياة البرزخية.. وبعذاب القبر ونعيمه.. نؤمن في ثقة لا يشوبها شك أو وهم أو ارتياب في السمعيات بعيدة عن عقول البشر .. موقنين بالغيب إيقاننا بواقعنا.

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كل ما أخبر به عن هذه الأمور الغيبية.

## الميت يرى ويسمع ويرد:

هل يعرف الميت نفس الشخص الذي يقوم له بواجباته دائماً بعد وفاته وما أهم هذه الواجبات بل رجائي أن تذكروا لي كل ما ينتفع به الميت؟

## الجواب:

نعم، قد ورد ما يدل على أن الميت يعلم بعمل الحي من أقاربه وإخوته قال عبد الله بن المبارك: حدثني ثور بن يزيد عن إبراهيم عن أيوب قال: تعرض أعمال الأحياء على الموتى فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وإذا رأوا سوءاً قالوا اللهم راجع به.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا**»[1] .

وروى الطبراني في الأوسط بسنده عن أبي أيوب الأنصاري حديثاً طويلاً وفيه قال: إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك فأعمم نعمتك عليه وأمته عليه ويعرض عليهم عمل المسيئين

---

(١) انظر (ص٣٥٨/ج٢) كشف الخفاء.

فيقولون: اللهم ألهمهم عملاً صالحًا ترضى به ويقربهم إليك.

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسنتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم**»[١] .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب (المثليات) بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: «**لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالهم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور**»[٢] .

والأحاديث والآثار الواردة في ذلك كثيرة وقد تكفل بذكر كثير منها ابن القيم في كتاب الروح له كغيره من المؤلفين –رحم الله الجميع-.

وأهم ما ينفع الإنسان بعد موته الصدقة والدعاء لورود القرآن والسنة بذلك بدون خلاف لحديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم والنسائي والترمذي وأبو داود .

## هل يرى الميت زوار قبره:

هل يرى الميت زوار قبره حتى في غير يومي الخميس والجمعة؟

## الجواب:

إنه قد ثبت ما يدل على أن الميت يعرف زوار قبره بعينهم ويسمع

---

(١) انظر (ص٢٥٣) راموز الأحاديث (ص٣٩٧/ج١) كشف الخفاء.

(٢) يعني الأقارب.

خطابهم ويرد عليهم السلام حتى في غير يوم الخميس والجمعة، وإن كان لهما أفضلية في ذلك كصبح يوم السبت فقد روى ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**» صححه أبو محمد عبد الحق.

ولم يقيد عليه الصلاة والسلام بيوم دون يوم بل أطلق.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور له بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أنه قال : إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام.

وروى أيضًا في كتابه المذكور بسنده عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم**» .

ويؤيد ذلك ما ورد في البخاري ومسلم عن أنس بن مالك من مخاطبته -عليه الصلاة والسلام- لقتلى قليب بدر بعد أن قذفوا فيه بأمره -عليه الصلاة والسلام - وقوله للصحابة لما تعجبوا من ذلك: «**والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابًا**»[1] .

ومعلوم أن معرفة الأموات لزوارهم الأحياء معرفة ورؤية روحانية لا قلبية ولا بصرية لذهاب محال الحواس البدنية منهم بمجرد الموت، ولو بقيت الأجسام لنحو الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كرامة لهم فليس الإدراك قائمًا بها بل قد اختص بالأرواح. وهذا لا ينافي تنعم الجسم أو تألمه تبعًا للروح.

رحم الله أمواتنا وجميع أموات المسلمين وألحقنا بهم على الإيمان

---

(١) انظر (ص٣٧٧/ج٧) قرطبي.

الكامل، آمين.

# فظاعة القبر
# وسهولته وسعته على المؤمن[1]

أخرج الحاكم وابن ماجه والبيهقي وهناد في الزهد، عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته، فيقال له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا؟ فيقول: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**» . وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**وما إلا والقبر أفظع منه**» .

وأخرج ابن ماجة، عن البراء قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جنازة فجلس على شفير قبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى، ثم قال: «**يا إخوتي لمثل هذا فأعدوا**».

وأخرج أحمد والنسائي وابن ماجه، عن ابن عمر وقال: توفي رجل بالمدينة، فصلى عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**يا ليته قد مات في غير مولده**» فقال رجل من الناس: لم يا رسول الله؟ قال: «**إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة**».

وأخرج أبو القاسم بن منده، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ويفسح للغريب في قبره كبعده عن أهله**» .

وأخرج ابن منده، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» .

---

(١) أخذت جميع أحاديث هذا الباب من شرح الصدور للإمام السيوطي -رحمه الله- وعليه تقع مسئوليتها.

وأخرج البيهقي في عذاب القبر، وابن أبي الدنيا عن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة**» .

وأخرج البيهقي في عذاب القبر، وابن أبي الدنيا عن ابن عمر وابن منده، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه خطب فقال: القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، أنا بين الظلمة أنا بيت الوحشة .

وأخرج ابن منده، عن أبي هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**المؤمن في قبره في روضة خضراء يرحب قبره سبعين ذراعًا وينور له كالقمر ليلة البدر**» .

عن معاذة قالت: قلت لعائشة -رضي الله عنها-: ألا تخبرينا عن مقبورنا ما يلقى وما يصنع به؟ فقالت: إن كان مؤمنًا فسح له في قبره أربعون ذراعًا.

قال القرطبي: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال، وأما الكافر فلا يزال قبره ضيقًا عليه، وقوله -صلى الله عليه وسلم- في القبر وإنه «**روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» . محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز ، وإن القبر يملأ على المؤمن خضراً، وهو العشب من النبات، وقد عينه ابن عمر، وفي حديثه أنه الريحان، وذهب بعض العلماء إلى حمله وأمنه طيب عيشه وراحته وسعته عليه بحيث يرى مد بصره كما يقال فلان في الجنة إذا كان في رغد من العيش وسلامة، وكذا في ضده. قال القرطبي: والأول أصح.

وأخرج أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) عن وهب ابن منبه قال: كان عيسى -عليه السلام- واقفًا على قبر ومعه الحواريون فذكروا القبر ووحشته وظلمته وضيقه، قال عيسى: كنتم في أضيق منه في أرحام أمهاتكم، فإذا أحب الله -تعالى- أن يوسع وسع.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (المحتضرين) عن أبي غالب صاحب

أبي أمامة في الشام حضره الموت، فقال لعمه: أرأيت لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟ فقال: إذن والله كانت تدخلك الجنة، قال: فهو الله أرحم بي من والدتي، فقبض الفتى، فدخلت القبر مع عمه، فقمنا باللبن[1] فسويناه عليه، فسقطت منه لبنة، فوثب عمه فتأخر، فقلت: ما شأنك؟ قال: ملئ قبره نوراً وفسح له مد بصره.

وأخرج من طريق محمد بن أبان، عن حميد قال: كان لي ابن أخت فذكر شبيهاً بهذه الحكاية، إلا أنه قال: فاطلعت في اللحد، فإذا هو مد بصري، قلت لصاحبي: رأيت؟ قال: نعم فليهنك ذلك قال: فظننت أنه بالكلمة التي قالها.

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، عن أبي بكر بن مريم عن الأشياخ، قال: كان شيخ من بني الحضرمي بالبصرة، وكان شيخاً صالحًا وكان له ابن أخ يصحب القينات[2] فكان يعظه فمات الفتى، فلما أنزله عمه في قبره، فسوى عليه التراب شك في بعض أمره، فنز بعض اللبن ونظر في قبره، فإذا قبره أوسع من جبانة البصرة، وإذا هو في وسط منها، فرد عليه اللبن ثم سأل امرأته عن عمله، فقالت: كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله يقول: وأنا أشهد بما شهدت به، وألقنها من يتولى عنها.

وقال أبو الحسن البراء: حدثني عبد الرحمن بن أحمد الجعفي، حدثني علي بن محمد، حدثنا يزيد بن نوح النخعي، قرأته لشريك بن عبد الله قال: صليت بالكوفة على ميت، ثم دخلت قبره، فبينما أنا أصلح عليه اللبن وقعت لبنة من القبر، وإذا أنا بالكعبة والطواف قد مثلا لي في القبر[3].

---

(١) الطوب.

(٢) القينات أي المغنيات والراقصات واللهو.

(٣) انظر كتاب شرح الصدور للسيوطي وفي النفس منه شيء.

وفي كتاب (الديباج) لأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الجبلي، سمعت عبد الله بن محمد العبسي يقول: حدثني عمر بن مسلم عن رجل حفار للقبور قال: حفرت قبرين وكنت في الثالث، فاشتد عليّ الحر، فألقيت كسائي[1] علي ما حرفت واستظللت فيه[2] فبينما أنا كذلك إذ رأيت شخصين على فرسين أشهبين، فوقفا على القبر الأول، فقال أحدهما لصاحبه: اكتب، فقال: وما أكتب، قال: فرسخ في فرسخ[3] ثم تحولا إلى الآخر الذي أنا فيه. فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: فتر في فتر[4] فعدت أنظر الجنائز، فجيء برجل معه نفر يسير، فوقفوا على القبر الأول ، قلت: من هذا الرجل؟ قالوا: إنسان قراب يعني سقاء ذو عيال، ولم يكن له شيء، فجمعنا له دراهم، فقلت : ردوا الدراهم على عياله ، ودفنته ثم أتي بجنازة ليس معه إلا من يحملها فسألوا عن القبر فجاءوا إلى القبر الذي قالا مد البصيرة. قلت: من هذا الرجل؟ فقالوا : إنسان غريب مات على مزبلة، ولم يكن معه شيء. فلم آخذ منهم شيئًا ودفنته وقعدت أنظر الثالث، فلم أزل أنتظره العشاء، فأتي بجنازة امرأة لبعض القواد فسألتهم الثمن، فضربوا برأسي ودفنوها فيه[5] .

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن جعفر بن سليمان، قال: شهد رجل ميتًا يدلى في حفرته، فقال: إن الذي سهل على الجنين في بطن أمه قادر أن يسهل عليك. وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق أبي غطفان المري قال: قال عمر: يا رسول الله، لو فزعتنا أحيانًا لفزعنا، فكيف بظلمة القبر وضيقه؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنما يتوفى العبد على ما قبض عليه**» .

---

(١) الملابس الخارجية.

(٢) نام فيه.

(٣) الفرسخ: ثلاثة أميال والميل (١٧٤٨) مترًا فيكون الفرسخ: (٥٥٤١) مترًا.

(٤) الفتر هو: ما بين الإبهام والسبابة.

(٥) يعني دفنوا المرأة ولم يعطوه شيئًا.

وأخرج الآجري في كتاب (الغرباء) عن الصلت قال: حدثني أبو اليزيد رجل من أهل البحرين قال : غسلت رجلاً ميتًا بالبحرين، فإذا مكتوب على لحمه: طوبى لك يا غريب، فذهبت أنظر، فإذا هو بين الجلد واللحم.

وأخرج ابن عساكر في (تاريخه) عن عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط، قال: حضرت جنازة الأحنف بن قيس فكنت فيمن نزل قبره، فلما سويته رأيته قد فسح له مد بصره فأخبرت بذلك أصحابه فلم يروا ما رأيت. وأخرج أبو الحسن بن السري في كتاب (كرامات الأولياء) عن إبراهيم الحنفي قال: صلب الحجاج مهانة الحنفي على باب، وكان يصلب القراء على بابهم، فكنا نرى الضوء عنده في الليل. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأبو داود في سننه، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال في قبره نور. وأخرج أبو نعيم، عن المغيرة بن حبيب أن عبد الله بن غالب الداني قتل في المعركة شهيدًا، فلما دفن أصابه من قبره رائحة المسك، فرآه رجل من إخوانه في منامه قال: ما صنعت؟ قال: بحسن اليقين وطول التهجد، وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ.

وأخرج أحمد في الزهد، عن مالك بن دينار قال: نزلت في قبر عبد الله ابن غالب، فأخذت من ترابه، فإذا هو مسك، وفتن الناس به، بعثت إلى قبره فسوي. اهـ.

# الفصل الثاني

## الـــــروح

## وأقوال العلماء فيها



## ١- هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟

قال ابن عبد البر: ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا ، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام**» . فهذا نص في أنه يعرفه بعينه، ويرد عليه السلام.

وفي الصحيحين عنه -صلى الله عليه وسلم-، من وجوه متعددة، أنه أمر بقتلى بدر فألقوا في قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم، وناداهم بأسمائهم: «**يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فقال له عمر: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا، فقال: «**والذي بعثني بالحق، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون جوابًا**» .

وثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه[١] .

وقد شرع النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمته، إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**» [٢] . وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك، لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد.

والسلف[٣] مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به.

---

(١) رواه البخاري في باب الجنائز/٦٨.

(٢) رواه مسلم، والنسائي وابن ماجه في الجنائز والإمام أحمد في مسنده.

(٣) السلف: الصحابة، والتابعون وتابعو التابعين وزاد بعضهم: هم أهل القرون الثلاثة بدءًا من قرن النبي -صلى الله عليه وسلم- والسلفي: من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة، ولا يلتزم بمذهب معين.

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا في كتاب القبور: باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء.

حدثنا محمد بن عون، حدثنا يحيى بن يمان، عن عبد الله بن سمعان، عن زيد بن أسلم، عن عائشة – رضي الله تعالى عنها – قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده إلا استأنس به، ورد عليه، حتى يقوم**» .

حدثنا محمد بن قدامة الجوهري، حدثنا معن بن عيسى القزاز، أخبرنا هشام بن سعد ، حدثنا زيد بن أسلم، عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه، فسلم عليه، رد عليه السلام، وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام .

حدثنا محمد بن الحسين، حدثني يحيى بن بسطام الأصغر، حدثني مسمع حدثني رجل من آل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصمًا الجحدري في منامي بعد موته بسنتين، فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت ؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة. أنا ونفر من أصحابي، نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم، قال: قلت: أجسادكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الاجسام وإنما تتلاقى الأرواح، قال: قلت : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعم، نعلم بها عشية الجمعة كله، ويوم السبت إلى طلوع الشمس، قال: قلت: فكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

وحدثنا محمد بن الحسين، حدثني بكر بن محمد، حدثنا حسن القصاب، قال : كنت أغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى نأتي الجبان، فنقف على القبور، فنسلم عليهم، وندعو لهم، ثم ننصرف، فقلت ذات يوم: لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين، قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويومًا قبلها ويومًا بعدها.

حدثني محمد، حدثنا عبد العزيز بن أبان قال: حدثنا سفيان الثوري، قال: بلغني عن الضحاك أنه قال: من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته، فقيل له وكيف ذلك، قال لمكان يوم الجمعة.

حدثنا خالد بن خداش، حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي التياح قال: كان مطرف يغدو، فإذا كان يوم الجمعة أدلج[1]. قال: وسمعت أبا التياح يقول: بلغنا أنه كان ينور له في سوطه، فأقبل ليلة، حتى إذا كان عند مقابر القوم وهو على فرسه، فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالساً على قبره، فقالوا: هذا مطرف يأتي الجمعة، قلت: وتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما يقول فيه الطير، وما يقولون؟ قالوا: يقولون: سلام سلام.

حدثني محمد بن الحسين، حدثني يحيى بن أبي بكير، حدثني الفضل بن موفق ابن خال سفيان بن عيينة، قال: لما مات أبي جزعت عليه جزعاً شديداً، فكنت آتي قبره في كل يوم، ثم قصرت عن ذلك ما شاء الله، ثم إني أتيته يوماً، فبينا أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت، فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج، وكأنه قاعد في قبره متوشحاً أكفانه، عليه سحنة الموتى[2]، قال: فكأني بكيت لما رأيته، قال: يا بني ما أبطأ بك عني؟ قلت: وإنك لتعلم بمجيئي؟ قال: ما جئت مرة إلا علمتها، قد كنت تأتيني فآنس بك، وأسر بك، ويسر من حولي بدعائك، قال: فكنت آتيه بعد ذلك كثيراً.

حدثني محمد، حدثني يحيى بن بسطام، حدثني عثمان بن سودة الطفاوي، قال: وكانت أمه من العابدات، وكان يقال لها راهبة قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ومن عليه

---

(١) أدلج: سار ليلاً.

(٢) السحنة: الهيأة واللون.

اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري. قال: فماتت، فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها، وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها ذات يوم في منامي فقلت لها يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بني، إن للموت لكربة شديدة، وإني بحمد الله لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور، فقلت لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قلت: وما هي؟ قالت: لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك. يقال لي يا راهبة هذا ابنك قد أقبل، فأسر، ويسر بذلك من حولي من الأموات.

حدثني محمد بن عبد العزيز بن سليمان، حدثنا بشر بن منصور، قال: لما كان زمن الطاعون، كان رجل يختلف إلى الجبان، فيشهد الصلاة على الجنائز، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم، ورحم غربتكم، وتجاوز عن مسيئكم، وقبل حسناتكم، لا يزيد على هؤلاء الكلمات. قال: فأمسيت ذات ليلة وانصرفتُ إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو، قال: فبينا أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءوني، فقلت: ما أنتم وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما حاجتكم؟ قالوا: إنك عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك، فقلت: وما هي؟ قالوا: الدعوات التي كنت تدعو بها، قال: قلت: فإني أعود لذلك. قال: فما تركتها بعد.

حدثني محمد، حدثني أحمد بن سهل، حدثني رشدين بن سعد، عن رجل، عن يزيد بن أبي حبيب، أن سليم بن عمير، مر على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول، فقال له أصحابه: لو نزلت إلى هذه المقابر فبلت في بعض حفرها، فبكى، ثم قال: سبحان الله، والله إني لأستحي من الأموات كما أستحي من الأحياء، ولولا أن الميت يشعر بذلك لما استحيى منه.

وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحي من أقاربه وإخوانه، قال عبد الله بن المبارك: حدثني ثور بن يزيد، عن إبراهيم، عن أبي أيوب، قال: تعرض أعمال الأحياء على الموتى، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وإن رأوا سوءًا قالوا: اللهم راجع به.

وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد بن أبي الحواري قال: حدثني محمد أخي، قال: دخل عباد بن عباد على إبراهيم بن صالح، وهو على فلسطين، فقال: عظني، قال: بم أعظك أصلحك الله، بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من عملك فبكى إبراهيم حتى اخضلت لحيته.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني محمد بن الحسين، حدثني خالد بن عمرو الأموي، حدثنا صدقة بن سليمان الجعفري، قال: كانت لي شرة سمجة، فمات أبي ، فأنبت وندمت على ما فرطت ، قال: ثم زللت أيما زلة، فرأيت أبي في المنام، فقال: أي بني ما كان أشد فرحي بك أعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين، فلما كانت هذه المرأة استحييت لذلك حياء شديدًا، فلا تخزني فيمن حولي من الأموات. قال: فكنت أسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر - وكان جارًا لي بالكوفة - : أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا حور[1] يا مصلح الصالحين، ويا هادي المضلين، ويا أرحم الراحمين.

وهذا باب في آثار كثيرة عن الصحابة، وكان بعض الأنصار من أقارب عبد الله بن رواحة يقول: اللهم إني أعوذ بك من عمل أخزى به عند عبد الله بن رواحة. كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله.

---

(١) حور: حار حُورًا وحُئورًا: رجع. وفي التنزيل العزيز: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾. [الانشقاق:١٤].

ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائرًا، ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائرًا، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضًا ، فإن السلام علي من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية[1] .

وهذا السلام، والخطاب، والنداء، لموجود يسمع، ويخاطب، ويعقل، ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى الرجل قريبًا منهم شاهدوه، وعلموا صلاته، وغبطوه على ذلك.

قال يزيد بن هارون: أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، أن ابن ساس خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف، فانتهى إلى قبر، قال فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه، فوالله إن قلبي ليقظان إذ سمعت صوتًا من القبر: إليك عني لا تؤذني فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ، ولأن يكون لي مثل ركعتيك أحب إليّ من كذا وكذا . فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن علي العجلي، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ثابت بن سليم، حدثنا أبو قلابة قال: أقبلت من الشام إلى البصرة ، فنزلت منزلاً، فتطهرت وصليت ركعتين بليل، ثم وضعت رأسي على قبر، فنمت، ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: قد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم

---

(١) رواه مسلم في الجنائز (١٠٣) والنسائي في الجنائز (١٠٣) وابن ماجه في الجنائز (٣٦) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٠).

ولانقدر على العمل، ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيراً، أقرئهم منا السلام، فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال.

وحدثني الحسين العجلي: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا مالك بن مغول عن منصور عن زيد بن وهب قال: خرجت إلى الجبانة فجلست فيها فإذا رجل قد جاء إلى قبر فسواه، ثم تحول إليّ فجلس، فقال: فقلت: لمن هذا القبر؟ قال : أخ ، فقلت: أخ لك؟ فقال: أخ لي في الله رأيته فيما يرى النائم، فقلت : فلان عشت الحمد لله رب العالمين ، قال: قد قلتها، لأن أقدر على أن أقولها أحب إلي من الدنيا وما فيها، ثم قال: ألم تر حيث كانوا يدفنونني، فإن فلاناً قام فصلى ركعتين، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

حدثني أبو بكر التيمي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني حميد الطويل، عن مطرف بن عبد الله الحرشي، قال: خرجنا إلى الربيع في زمانه فقلنا : ندخل يوم الجمعة لشهودها، وطريقنا على المقبرة، قال : فدخلنا، فرأيت جنازة في المقبرة، فقلت: لو اغتنمت شهود هذه الجنازة فشهدتها، قال: فاعتزلت ناحية قريباً من قبر، فركعت ركعتين خففتهما لم أرض إتقانهما، ونعست، فرأيت صاحب القبر يكلمني، وقال: ركعت ركعتين لم ترض إتقانهما؟ قلت: قد كان ذلك، قال: تعلمون ولا تعملون، ولا نستطيع أن نعمل، لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إليّ من الدنيا بحذافيرها؟ فقلت: من هاهنا؟ فقال: كلهم مسلم، وكلهم قد أصاب خيراً، فقلت: من هاهنا أفضل؟ فأشار إلى قبر، فقلت في نفسي: اللهم ربنا أخرجه إليّ فأكلمه، قال: فخرج من قبره فتى شاب، فقلت: أنت أفضل من هاهنا ؟ قال : قد قالوا ذلك، قلت: فبأي شيء نلت ذلك؟ فوالله ما أرى

لك ذلك السن فأقول: نلت ذلك بطول الحج، والعمرة، والجهاد في سبيل الله، والعمل، قال: قد ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها، فبذلك فضلتهم.

وهذه المرائي وإن لم تصح بمجردها لإثبات مثل ذلك فهي على كثرتها وأنها لا يحصيها إلا الله قد تواطأت على هذا المعنى، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر**»[1] -يعني ليلة القدر- فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شيء كان كتواطؤ روايتهم له، وكتواطؤ رأيهم على استحسانه واستقباحه، وما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن ، وما رأوه قبيحًا فهو عند الله قبيح، على أنا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها.

وقد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه، فروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهري، قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت ، فبكى طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول: ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بكذا؟ فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإني كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- مني ولا أحب إلا أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي لقيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت: ابسط يدك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: فقال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟

---

(١) رواه البخاري في ليلة القدر (٣) ومسلم في الصيام (٣٠٥) ومالك في الموطأ - باب الاعتكاف (١٤) وأحمد في مسنده (٦/٢).

قلت: أن يغفر لي، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها ، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا دفنتموني فسنُّوا عليّ التراب سنًّا[1] ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي ، فدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم.

وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن، قال عبد الحق : يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة. وممن رأى ذلك المعلى بن عبد الرحمن، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر، ثم رجع عن ذلك.

وقال الخلال في الجامع، كتاب القراءة عند القبور: أخبرنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا مبشر الحلبي، حدثني عبد الرحمن ابن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه، قال: قال أبي: إذا أنا مت فضعني في اللحد، وقل: باسم الله ، وعلى سنة رسول الله، وسن عليّ التراب سنًّا، واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة، فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك.

قال عباس الدوري سألت أحمد بن حنبل، قلت: تحفظ في القراءة على القبر شيئًا؟ فقال: لا، وسألت يحيى بن معين فحدثني بهذا الحديث.

قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الوراق، حدثني علي بن موسى الحداد -وكان صدوقًا- قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة

---

(١) سن التراب سنًّا: صبه صبًّا سهلاً.

الجوهري في جنازة ، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد : يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد ابن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة. قال : كتبت عنه شيئًا؟ قال: نعم، فأخبرني مبشر، عن عبد الرحمن بن العلاء ابن اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ.

وقال الحسن بن الصباح الزعفراني: سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس بها.

وذكر الخلال عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون عنده القرآن. قال: وأخبرني أبو يحيى الناقد، قال سمعت الحسن بن الجروي، يقول: مررت على قبر أخت لي، فقرأت عندها تبارك لما يذكر فيها، فجاءني رجل فقال: إني رأيت أختك في المنام تقول: جزى الله أبا علي خيرًا فقد انتفعت بما قرأ.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: سمعت أبا بكر بن الأطروش ابن بنت أبي نصر بن التمار يقول: كان رجل يجيء إلى قبر أمه يوم الجمعة، فيقرأ سورة يس، فجاء في بعض أيامه فقرأ سورة يس، ثم قال: اللهم إن كنت قسمت لهذه السورة ثوابًا فاجعله في أهل هذه المقابر، فلما كان يوم الجمعة التي تليها جاءت امرأة فقالت: أنت فلان ابن فلانة؟ قال: نعم. قالت: إن بنتًا لي ماتت ، فرأيتها في النوم جالسة على شفير قبرها، فقلت: ما أجلسك هاهنا؟ فقالت : إن فلان ابن فلانة جاء إلى قبر أمه فقرأ سورة يس، وجعل ثوابها لأهل المقابر، فأصابنا من روح ذلك، أو غفر لنا، أو نحو ذلك.

وفي النسائي وغيره من حديث معقل بن يسار المزني، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**اقرءوا يس عند موتاكم**»[1]. وهذا يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[2] . ويحتمل أن يراد به القراءة عند القبر، والأول أظهر لوجوه:

**الأول:** أنه نظير قوله: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله.

**الثاني:** انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد، والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد، وغبطة من مات عليه بقوله: ﴿**يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾[3] فتستبشر الروح بذلك، فتحب لقاء الله، فيحب الله لقاءها، فإن هذه السورة قلب القرآن[4]، ولها خاصية عجيبة في قراءتها عند المحتضر.

وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي[5] قال: كنا عند شيخنا أبي الوقت عبد الأول وهو في السياق، وكان آخر عهدنا به أنه نظر إلى السماء وضحك وقال: ﴿**يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾وقضى.

**الثالث:** أن هذا عمل الناس وعادتهم قديمًا وحديثًا يقرءون (يس) عند

---

(١) حديث ضعيف، فلا حجة لمن يقول به في جواز قراءة القرآن عند القبر أو عند الاحتضار.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي وابن ماجه في الجنائز وأحمد في مسنده (٣/٣).

(٣) سورة يس الآية: ٣٦.

(٤) حديث (إن لكل شيء قلبًا وقلب القرآن يس) لا يصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم-.

(٥) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ) مشهور بكثرة تصانيفه، في اللغة والدين. وهو أحد كبار أئمة السلف. من كتبه (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن) مخطوطة في المكتبة التيمورية برقم (٢٢٢) تفسير.

المحتضر.

**الرابع**: أن الصحابة لو فهموا من قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((**اقرءوا يس عند موتاكم**)) قراءتها عند القبر، لما أخلوا به، وكان ذلك أمراً معتاداً مشهوراً بينهم.

الخامس: أن انتفاعه باستماعها، وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها في آخر عهده بالدنيا هو المقصود، وأما قراءتها عند قبره فإنه لا يثاب على ذلك لأن الثواب إما بالقراءة أو بالاستماع وهو عمل وقد انقطع من الميت.

وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشبيلي على هذا فقال: ذكر ما جاء أن الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم ثم قال: ذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**)). ويروى هذا من حديث أبي هريرة مرفوعاً. قال: ((**فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام**)).

قال: ويروى من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((**ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم**)).

واحتج الحافظ أبو محمد في هذا الباب بما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((**ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام**)) قال: وقال سليمان بن نعيم: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم، فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم؟ قال: نعم، وأرد عليهم، قال: وكان -صلى الله عليه وسلم- يعلمهم أن يقولوا إذا دخلوا المقابر: السلام عليكم أهل الديار... الحديث. قال: وهذا يدل على

أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه، ودعاء من يدعو له.

قال أبو محمد: ويذكر عن الفضل بن الموفق، قال: كنت آتي قبر أبي المرة بعد المرة، فأكثر من ذلك ، فشهدت يومًا جنازة في المقبرة التي دفن فيها فتعجلت لحاجتي و لم آته ، فلما كان من الليل رأيته في المنام، فقال لي: يا بني لم لا تأتيني؟ قلت له: يا أبت وإنك لتعلم بي إذا أتيتك؟ قال: إي والله يا بني، لا أزال أطلع عليك حين تطلع من القنطرة حتى تصل إليّ، وتقعد عندي، ثم تقوم، فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن بشار الكوفي قال: حدثني الفضل ابن الموفق، فذكر القصة.

وصح عن عمرو بن دينار أنه قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وأنهم ليغسلونه ويكفنونه، وإنه لينظر إليهم.

وصح عن مجاهد أنه قال: إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده.

# فصل

ويدل على هذا أيضًا ما جرى عليه عمل الناس قديمًا وإلى الآن من تلقين الميت في قبره، ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة، وكان عبثًا وقد سئل عنه الإمام أحمد -رحمه الله- فاستحسنه واحتج عليه بالعمل.

ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية، فإنه يستوي قاعدًا، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة يقول: أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون، فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا**

**إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنك رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كل واحد منهما ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته؟ ويكون الله ورسوله حجيجه دونهما. فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أمه؟ قال: ينسبه إلى أمه حواء»**[1] .

فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف في العمل به، وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الأرض ومغاربها وهي أكمل الأمم عقولاً وأوفرها معارف تطيق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك لا ينكره منها منكر ، بل سنه الأول للآخر، ويقتدي فيه الآخر بالأول، فلولا أن المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم، وهذا وإن استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه.

وقد روى أبو داود في سننه بإسناد لا بأس به أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حضر جنازة رجل، فلما دفن قال: «**سلوا لأخيكم التثبيت، فإنه الآن يسأل**». فأخبر أنه يسأل حينئذ، وإذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين.

وقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا منصرفين.

وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال: مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت: يا أخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آتٍ بشهاب من نار فلولا أن داعيًا دعا لي لهلكت.

---

(١) الحديث ضعيف ولا يصح العمل به، إذ لم يرو ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا أحد من الصحابة على شدة اتباعهم لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا.

وقال شبيب بن شيبة: أوصتني أمي عند موتها، فقالت: يا بني، إذا دفنتني فقم عند قبري وقل: يا أم شبيب، قولي لا إله إلا الله، فلما دفنتها، قمت عند قبرها فقلت: يا أم شبيب، قولي: لا إله إلا الله، ثم انصرفت، فلما كان من الليل رأيتها في النوم فقالت : يا بني ، كدت أهلك لولا أن تداركني لا إله إلا الله، فقد حفظت وصيتي يا بني.

وذكر ابن أبي الدنيا، عن تماضر بنت سهل امرأة أيوب بن عيينة قالت: رأيت سفيان بن عيينة في النوم فقال: جزى الله أخي أيوب عني خيراً فإنه يزورني كثيراً، وقد كان عندي اليوم فقال أيوب: نعم حضرت الجبان اليوم فذهبت إلى قبره.

وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت، عن شهر بن حوشب، أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متآخيين، قال صعب لعوف: أي أخي أيُّنا مات قبل صاحبه فليتراء له قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم. فمات صعب، فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه، قال: قلت: أي أخي، قال: نعم، قلت: ما فعل بكم؟ قال : غفر لنا بعد المصائب . قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه، قلت: أي أخي: ما هذا؟ قال: عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني فأعطوه إياها ، واعلم أياي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفًا. لما أصبحت قلت: إن في هذا لمعلمًا. فأتيت أهله فقالوا: مرحبًا بعوف، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم؟ لم تقربنا منذ مات صعب. قال: فاعتللت بما يعتل به الناس، فنظرت إلى القرآن، فأنزلته، فانتثلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت بها إلى اليهودي، فقلت: هل كان لك على صعب شيء؟

قال[1] : رحم الله صعبًا، كان من خيار أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هي له، قلت: لتخبرني. قال: نعم، أسلفته عشرة دنانير، فنبذتها إليه، قال: هي والله بأعيانها، قال: قلت هذه واحدة: قال: قلت: هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب؟ قالوا: نعم، حدث فينا كذا حدث، قال: قلت: اذكروا، قالوا : نعم، هرة ماتت منذ أيام، فقلت هاتان اثنتان. قلت: أين ابنة أخي؟ قالوا : تلعب، فأتيت بها فمسستها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفًا، فماتت في ستة أيام.

وهذا من فقه عوف –رحمه الله– وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته، وعلم صحة قوله بالقرائن التي أخبره بها من أن الدنانير عشرة وهي في القرن، ثم سأل اليهودي فطابق قوله لما في الرؤيا، فجزم عوف بصحة الأمر فأعطى اليهودي الدنانير، وهذا فقه إنما يليق بأفقه الناس، وأعلمهم، وهم أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولعل أكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف أن ينقل الدنانير من تركة صعب وهي لأيتامه وورثته إلى يهودي بمنام؟

ونظير هذا من الفقه الذي خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرها أبو عمر بن عبد البر وغيره قال أبو عمر: أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، حدثنا سعيد بن عفير وعبد العزيز بن يحيى المدني، حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصاري، عن ثابت ابن قيس بن شماس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال له : «**يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة ؟** » قال مالك: فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيدًا.

قال أبو عمرو روى هشام بن عمار عن صدقة بن خالد، حدثنا عبد

---

(١) أي اليهودي.

الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثني عطاء الخراساني، قال: حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت: لما نزلت: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾[1] دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه، ففقده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأرسل إليه يسأله ما خبره؟ قال: أنا رجل شديد الصوت، أخاف أن يكون قد حبط عملي، قال: لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير. قال: ثم أنزل الله: ﴿**إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾[2] فأغلق عليه بابه وطفق يبكي ، ففقده رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأرسل إليه فأخبره فقال: يا رسول الله، إني أحب الجمال، وأحب أن أسود قومي . فقال : لست منهم بل تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة. قالت: فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا، وقاتلا، حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها ، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له أوصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله ، وقد كفأ على الدرع برمة[3] وفوق البرمة رجل، فأت خالدًا فمره أن يبعث إليّ درعي فيأخذها. وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعني أبا بكر الصديق، فقل له: إن عليّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، وفلان فأتى الرجل خالدًا، فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها، وحدث أبا بكر برؤياه

(١) سورة الحجرات: الآية٢

(٢) سورة لقمان الآية :١٨

(٣) البرمة: القدر من الحجر.

فأجاز وصيته، قال: ولا نعلم أحدًا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس -رحمه الله- انتهى ما ذكره أبو عمرو.

فقد اتفق خالد، وأبو بكر الصديق، والصحابة معه، على العمل بهذه الرؤيا، وتنفيذ الوصية بها، وانتزاع الدرع ممن هي في يده، وهذا محض الفقه.

وإذا كان أبو حنيفة وأحمد ومالك يقبلون قول المدعي من الزوجين ما يصلح له دون الآخر بقرينة صدقه فهذا أولى.

وكذلك أبو حنيفة يقبل قول المدعي للحائط بوجود الآجر إلى جانبه وبمعاقد القُمُط[1].

وقد شرع الله حد المرأة بأيمان الزوج وقرينة تكون لها، فإن ذلك من أظهر الأدلة على صدق الزوج.

وأبلغ من ذلك قتل المقسم عليه في القسامة بأيمان المدعين مع القرينة الظاهرة من اللوث.

وقد شرع الله سبحانه قبول قول المدعين لتركة ميتهم إذا مات في السفر وأوصى إلى رجلين من غير المسلمين، فاطلع الورثة على خيانة الوصيين بأنهما يحلفان بالله ويستحقانه، وتكون أيمانهما أولى من أيمان الوصيين، وهذا أنزله الله سبحانه في آخر الأمر في سورة المائدة، وهي من آخر القرآن نزولاً، ولم ينسخها شيء، وعمل بها الصحابة بعده. وهذا دليل على أنه يقضي في الأموال باللوث، وإذا كان الدم يباح باللوث في القسامة فلأن يقضي باللوث وهو القرائن الظاهرة في الأموال أولى وأحرى.

وعلى هذا عمل ولاة العدل في استخراج السرقات من السراق حتى

---

(١) القُمُط: بضم القاف والميم ومفردها قماط. وهي خرقة يشد بها الصغير. والقماط أيضًا الحبل.

أن كثيراً ممن ينكر ذلك عليهم يستعين بهم إذا سرق ماله.

وقد حكى الله سبحانه عن الشاهد الذي شهد بين يوسف الصديق وامرأة العزيز أنه حكم بالقرينة على صدق يوسف، وكذب المرأة، ولم ينكر الله سبحانه عليه ذلك، بل حكاه عنه تقريراً له.

وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن نبي الله سليمان بن داود أنه حكم بين المرأتين اللتين ادعتا الولد للصغرى بالقرينة التي ظهرت له لما قال: ائتوني بالسكين أشق الولد بينكما. فقالت الكبرى: نعم، رضيت بذلك للتسلي بفقد ابن صاحبتها، وقالت الأخرى: لا تفعل هو ابنها. فقضى به لها للشفقة والرحمة التي قامت بقلبها حتى سمحت به للأخرى، ويبقى حيًّا، وتنظر إليه.

وهذا من أحسن الأحكام وأعدلها، وشريعة الإسلام تقرر مثل هذا وتشهد بصحته، وهل الحكم القيافة[1] وإلحاق النسب بها للاعتماد على قرائن الشبه مع اشتباهها وخفائها غالبًا؟

المقصود أن القرائن التي قامت في رؤيا عوف بن مالك، وقصة ثابت ابن قيس لا تقصر عن كثير من هذه القرائن، بل هي أقوى من مجرد وجود الآجر ومعاقد القمط، وصلاحية المتا للمدعي دون الآخر في مسألة الزوجين، والصانعين، وهذا ظاهر لا خفاء به، وفطر الناس وعقولهم تشهد بصحته، وبالله التوفيق.

والمقصود جواب السائل وأن الميت إذا عرف مثل هذه الجزئيات وتفاصيلها فمعرفته بزيارة الحي له وسلامه عليه ودعائه له أولى وأحرى.

---

(١) القيافة: علم تتبع أثر الأقدام. وتأتي أيضًا بمعنى المظهر الخارجي.

## ٢- أن أرواح الموتى هل تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟

وهي أيضًا مسألة شريفة كبيرة القدر، وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح معذبة وأرواح منعمة. فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي. والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها، وروح نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في الرفيق الأعلى، قال الله -تعالى-: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا**﴾[1] وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاث.

وروى جرير عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسوق قال: قال أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم-: ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا، فإذا مت رفعت فوقنا فلم نرك، فأنزل الله -تعالى-: ﴿**ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا**﴾.

وقال الشعبي: جاء رجل من الأنصار وهو يبكي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : ما يبكيك يلا فلان ؟ فقال: يا نبي الله، والله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إليّ من أهلي ومالي، والله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إليّ من نفسي، وأنا أذكرك أنا وأهلي فيأخذني كذا حتى أراك فذكرت موتك وموتي فعرفت أني لن أجامعك إلا في الدنيا ، وإنك ترفع بين النبيين، وعرفت أني إن دخلت الجنة كنت في منزل أدنى من منزلك، فلم يرد النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئًا، فأنزل الله -تعالى-: ﴿**ومن يطع الله**

---

(١) سورة النساء الآية ٦٩

**والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾** إلى قوله: **﴿وكفى بالله عليماً﴾** وقال تعالى: **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**[1] أي: أدخلي جملتهم وكوني معهم، وهذا يقال للروح عند الموت.

وفي قصة الإسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال: لما أسري بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لقي إبراهيم وموسى وعيسى -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فتذاكروا الساعة، فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم، ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم، حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى، فقال عيسى: عهد الله إليّ فيتمادون وجبتها فذكر خروج الدجال، قال: فأهبط فاقتله، ويرجع الناس إلى بلادهم، فتستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فلا يمرون بماء إلا شربوه، ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه، فيجأرون[2] إليّ فأدعو الله فيميتهم، فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم، ويجأرون إليّ فأدعو ويرسل الله السماء بالماء فيحمل أجسامهم فيقذفها في البحر، ثم ينسف الجبال ويمد الأرض مد الأديم، فعهد الله إليّ إذا كان كذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً. ذكره الحاكم، والبيهقي، وغيرهما[3] .

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٧

(٢) جأر جأرًا وجؤارًا: رفع صوته. يقال: جأر البقر. وجأر إلى الله: تضرع واستغاث وفي التنزيل العزيز ﴿إذا هم يجأرون﴾ [المؤمنون:٦٤].

(٣) وهذه بعض أمارات الساعة الكبرى، والمسيح نفسه -عليه السلام- أحد هذه الأمارات، إذ ينزل إلى الأرض ثانية قبيل قيام الساعة فيقتل الدجال ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ثم يصلي مأمومًا وراء إمام المسلمين يومها كما صرحت به صحاح الأحاديث. قال تعالى حاكيًا عن المسيح عليه السلام: ﴿وإنه =

وهذا نص في تذاكر الأرواح العلم.

وقد أخبر الله -سبحانه وتعالى- عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه:

**أحدها**: أنهم عند ربهم يرزقون، وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون.

**الثاني**: أنهم إنما استبشروا بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم له.

**الثالث**: أن لفظ يستبشرون يفيد في اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضًا مثل يتباشرون.

وقد تواترت المرائي بذلك، فمنها: ما ذكره صالح بن بشير قال: رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته، فقلت له: يرحمك الله، لقد كنت طويل الحزن في الدنيا، فقال: أما والله لقد أعقبني ذلك فرحًا طويلاً وسرورًا دائمًا، فقلتُ: في أي الدرجات أنت؟ قال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقال عبد الله بن المبارك: رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت محمدًا وحزبه.

وقال صخر بن راشد: رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى. قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بخٍ بخٍ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث حماد بن زيد، عن هشام بن حسان،

---

لعلم للساعة﴾ [الزخرف:٦١]. وهناك قراءة: (وإنه لعلمُ للساعة). وقال: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ [النساء:٢٥٩].

عن يقظة بنت راشد، قالت: كان مروان المحلمي لي جارًا، وكـــان قاضيًـــا مجتهدًا، قالت: فمات، فوجدت عليه وجدًا شديدًا، قالت: فرأيته فيما يرى النائم، قلت: أبا عبد الله ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: ثـــم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى أصحاب اليمين، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى المقربين. قلت: فمن رأيت من إخوانك؟ قال: رأيت الحسن، وابن ســـيرين، وميمون بن سياه.

قال حماد: قال هشام بن حسان: فحدثني أم عبد الله وكانت من خيار نساء أهل البصرة، قالت: رأيت فيما يرى النائم كأني دخلت دارًا حســـنة، ثم دخلت بستانًا، فذكرت من حسنه ما شاء الله، فإذا أنا فيه برجل متكـــئ على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بأيديهم الأكـــاويب، قـــالت: فـــإني لمتعجبة من حسن ما أرى إذ قيل هذا مروان المحلمي أقبل، فوثب فاســـتوى جالسًا على سريره، قالت: واستيقظت من منامي فإذا جنازة مروان قد مـــر بها على بابي تلك الساعة.

وقد جاءت سنة صريحة بتلاقي الأرواح وتعارفها، قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، أخبرني فضيل بن سليمان النميري، حدثني يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة ، عن جده، قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدًا شديدًا، فقالت: يا رسول الله، إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتى فأرسل إلي بشر بالســـــلام؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**نعم، والذي نفسي بيده يـــا أم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رءوس الشـــجر**» . وكـــان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت: يا فلان عليك السلام، فيقول: وعليك، فتقول: اقرأ على بشر السلام .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عبيد ابن عمير، قال: أهل القبور يتوكفون[1] الأخبار، فإذا أتاهم الميت قالوا: مـــا

---

(١) توكف فلان لفلان: تعرض له حتى يلقاه. وتوكف فلانًا: تعهده ونظر في أمـــره.
=

فعل فلان، فيقول : صالح ما فعل فلان ؟ يقول: صالح ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: لا، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلك به غير سبيلنا.

وقال صالح المري: بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت، فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم: كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب أم خبيث؟ ثم بكى حتى غلبه البكاء.

وقال عبيد بن عمير: إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فإذا قال: توفي و لم يأتهم قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية.

وقال سعيد بن المسيب: إذا مات الرجل استقبله والده كما يستقبل الغائب.

وقال عبيد بن عمير أيضًا: لو أني آيس من لقاء من مات من أهلي لألفاني قد مت كمدًا.

وذكر معاوية بن يحيى، عن عبد الله بن سلمة أن أبا رهم المسمعي حدثه أن أبا أيوب الأنصاري حدثه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون: أنظروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان في كرب شديد فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة؟ وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال: إنه قد مات قبلي، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية**» .

وقد تقدم حديث يحيى بن بسطام. حدثني مسمع بن عاصم قال:

---

=

وتوكف الأثر: تتبعه. وتوكف الخبر: توقعه وسأل عنه.

رأيت عاصمًا الجحدري في منامي بعد موته بسنتين، فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: وأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني، فنتلقى أخباركم، قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات، بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح.

## المسألة الثالثة

## وهي هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا؟

شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله -تعالى-، والحس والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء، وقد قال تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[1] .

قال أبو عبد الله بن منده: حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن حسين الحراني، حدثنا جدي أحمد بن شعيب، حدثنا موسى بن أعين، عن مطرف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا الحسين، حدثنا عامر، حدثنا أسباط، عن السدي، وفي قوله تعالى: ﴿**والتي لم تمت في منامها**﴾ قال: يتوفاها في منامها، فيلتقي روح الحي وروح الميت

(١) سورة الزمر الآية ٤٢.

فيتذاكـــران، ويتعارفان، قال: فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيـــا إلى بقية أجلها، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس.

وهذا أحد القولين في الآية وهو أن الممسكة من توفيت وفاة المـــوت أولاً، والمرسلة من توفيت وفاة النوم، والمعنى على هذا القول أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلهـــا إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفـــس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى.

والقول الثاني في الآية أن الممسكة والمرسلة في الآية كلاهما تُوفِّى وفاة النوم، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها، ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها لتستكمله، واختار شيخ الإسلام[1] هـــذا القول وقال: عليه يدل القرآن والسنة، قال: فإنه سبحانه ذكر إمساك الـــتي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها وفاة النوم، وأما التي توفاهـــا حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا بإرسال، بل هي قسم ثالث.

والذي يترجح هو القول الأول؛ لأنه سبحانه أخبر بوفـــاتين: وفـــاة كبرى وهي وفاة الموت، ووفاة صغرى وهي وفاة النـــوم، وقســـم الأرواح قسمين: قسماً قضى عليها بالموت فأمسكها عنده وهي التي توفاهـــا وفـــاة الموت، وقسماً لها بقيـــة أجل فردها إلى جسدها إلى اســـتكمال أجلهـــا، وجعل سبحانه الإمساك والإرسال حكمين للوفاتين المذكورتين أولاً فهـــذه ممسكة وهذه مرسلة، وأخبر أن التي لم تمت هي التي توفـــاها في منامها. فلو كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمين: وفـــاة موت ووفاة نوم لم يقل ﴿**والتي لم تمت في منامها**﴾ فإنها من حيث قبضت ماتت، وهو سبحانه قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك: ﴿**فيمسك التي قضى عليها الموت**﴾.

ولمن نصر هذا القول أن يقول قوله تعالى: ﴿**فيمسك التي قضى عليها**

---

(١) أي ابن تيمية-رحمه الله-.

**الموت﴾** بعد أن توفاها وفاة النوم، فهو سبحانه توفاها أولاً وفاة نـــوم ثـــم قضى عليها الموت بعد ذلك، والتحقيق أن الآية تتناول النوعين، فإنه سبحانه ذكر وفاتين: وفاة نـــوم ووفاة موت، وذكر إمســـاك المتوفـــاة وإرســـال الأخرى، ومعلوم أنه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات[1] في النـــوم أو في اليقظة ويرسل نفس من لم يمت فقوله: **﴿يتوفى الأنفس حين موتها﴾** يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام[2] .

وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميـــت في منامه فيستخبره ، ويخبره الميت بما لا يعلم الحي، فيصـــادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدين عليه، وذكر له شواهده وأدلته.

وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليـــه أحـــد مـــن العالمين، وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا وكذا فيكون كما أخبر، وربما أخبره عن أمور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره، وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقوله لعوف بن مالك ما قال له، وذكرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس وإخباره لمن رآه بدرعه وما عليه من الدين.

وقصة صدقة بن سليمان الجعفري وإخبار ابنه له بما عمل من بعـــده، وقصة شبيب بن شيبة وقول أمه له بعد الموت جزاك الله خيراً حيث لقنها لا إله إلا الله، وقصة الفضل بن الموفق مع ابنه وإخباره إياه بعلمه بزيارته.

---

(١) وصوابه: سواء أمات في النوم أم في اليقظة. قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا ســـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة:٦].

(٢) ويبدو أن الصواب حالف التلميذ دون الأستاذ في هذه المسألة . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاستقلال الفكري والمنهجي الذي يتمتع به ابن القيـــم و لم يكن إمعة تذوب شخصيته في شخصية أستاذه الجليل الإمام ابن تيمية، الذي طفق يدعو في المئات من كتبه إلى ذاك الاستقلال وتلك المنهجية.

وقال سعيد بن المسيب[1] : التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي[2]، فقال أحدهما للآخر: إن مت قبلي فالقني فأخبرني ما لقيت من ربك؟ وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك، فقال الآخر: وهل تلتقي الأموات والأحياء؟ قال: نعم، أرواحهم في الجنة تذهب حيث تشاء. قال: فمات فلان فلقيه في المنام، فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط.

وقال العباس بن عبد المطلب: كنت أشتهي أن أرى عمر في المنام، فما رأيته إلا عند قرب الحول، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي، إن كاد عرشي ليهد لولا أن لقيت رءوفًا رحيمًا.

ولما حضرت شريح بن عباد الثمالي الوفاة دخل عليه غضيف بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال: يا أبا الحجاج إن قدرت على أن تأتينا بعد الموت فتخبرنا بما ترى فافعل، قال: وكانت كلمة مقبولة في أهل الفقه، قال: فمكث زمانًا لا يراه، ثم رآه في منامه، فقال له: أليس قد مت؟ قال: بلى، قال: فكيف حالك؟ قال: تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا إلا الأحراض، قلت: وما الأحراض؟ قال: الذين يشار إليهم بالأصابع في الشيء[3]. وقال عبد الله بن عبد العزيز: رأيت أبي في النوم بعد موته كأنه

---

( ١ ) من رءوس علماء التابعين، والتابعي هو المسلم الذي رأى الصحابة ولم ير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

( ٢ ) عبد الله بن سلام: صحابي كان يهوديًا فاعتنق الإسلام في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والجدير بالذكر أن اليهود الذين اعتنقوا الإسلام زمن الوحي والتنزيل كانوا ندرة نادرة.

سلمان الفارسي: صحابي جليل. كان مجوسيًا فأخذ يبحث عن الحق فعرف اليهودية ودان بها ثم عرف النصرانية ودان بها ثم عندما بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- عرف الإسلام ودان به وكان من أكابر الصحابة -رضي الله عنه-.

( ٣ ) ولعلهم المجاهرون بالمعاصي الذين لا يستترون.

في حديقة، فدفع إليّ تفاحات فأولتهن الولد، فقلت: أي الأعمال وجـــدت أفضل؟ فقال: الاستغفار أي بني. ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبـــد العزيز بعد موته فقال: يا أمير المؤمنين ليت شعري إلى أي الحالات صـــرت بعد الموت؟ قال يا مسلمة هذا أوان فراغي، والله ما استرحت إلا الآن. قال: قلت: فأين أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: مع أئمة الهدى في جنة عـــدن. قـــال صالح البراد: رأيت زرارة بن أوفى بعد موته فقلت: رحمك الله ماذا قيل لك وماذا قلت؟[1] فأعرض عني. قلت: فماذا صنع الله بك؟ قال: تفضل علـــيّ بجوده وكرمه. قلت: فأبو العلاء بن يزيد أخـــو مطـــرف؟ قـــال ذاك في الدرجات العلى. قلت: فأي الأعمال أبلغ فيما عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل.

وقال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمتُ عليـــه فلم يرد عليّ السلام، فقلت: ما يمنعك أن ترد السلام؟ قال: أنا ميت فكيف أرد عليك السلام؟ فقلت له: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت والله أهوالاً وزلازل عظامًا شدادًا. قال: قلت له: فما كان بعد ذلك؟ قال: ومـــا تـــراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمن عنـــا التبعات. قال: ثم شهق مالك وخر مغشيًا عليه، قال: فلبث بعد ذلك أيامًـــا مريضًا، ثم انصدع قلبه فمات. وقال سهيل أخو حزم: رأيت مالك بن دينار بعد موته، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري ماذا قدمت به علـــى الله؟ قـــال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله -عز وجل-.

وقال جميل بن مرة: كان مورق العجلي لي أخًا وصديقًا فقلت لـــه: ذات يوم: أينا مات قبل صاحبه فليأت صاحبه فليخبره بالذي صـــار إليـــه. قال: فمات مورق، فرأت أهلي في منامها كأنه أتانا كما كان يأتي فقـــرع

(١) وفي هذا السؤال إحراج ولعل فيه سوء أدب، لأن فيه هتكًا لما ستره الله على عبده فلم يفضحه.

الباب كما كان يقرع، قالت : فقمت ففتحت له كما كنت أفتح وقلت: ادخل يا أبا المعتمر إلى باب أخيك، فقال: كيف أدخل وقد ذقت الموت؟ إنما جئت لأعلم جميلاً بما صنع الله بي، أعلميه أنه قد جعلني في المقربين. ولما مات محمد ابن سيرين حزن عليه بعض أصحابه حزنًا شديدًا، فرآه في المنام في حال حسنة فقال: يا أخي قد أراك في حال يسرني فما صنع الحسن؟ قال: رفع فوقي بسبعين درجة، قلت: و لم ذاك وقد كنا نرى أنك أفضل منه؟ قال: ذاك بطول حزنه.وقال ابن عيينة: رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت: أوصني. قال: أقل من معرفة الناس . وقال عمار بن سيف: رأيت الحسن بن صالح في منامي فقلت: قد كنت متمنيًا للقائك فماذا عندك فتخبرنا به؟ فقال: أبشر فإني لم أر مثل حسن الظن بالله شيئًا. ولما مات ضيغم العابد رآه بعض أصحابه في المنام فقال: أما صليت عليّ؟ قال: فذكرت علة كانت، فقال أما لو كنت[1] عليّ نجت رأسك. ولما ماتت رابعة رأتها امرأة من أصحابها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس ، وكانت كفنت في جبة وخمار من صوف، فقالت لها : ما فعلت الجبة التي كفنتك فيها وخمار الصوف؟ قالت : والله إنه نزع عني، وأبدلت به هذا الذي ترين عليّ، وطويت أكفاني، وختم عليها، ورفعت في عليين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة ، قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا، فقالت: وما هذا عندما رأيت من كرامة الله لأوليائه، فقلت لها: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى، قالت: قلت: وبم وقد كنت عند الناس أعبد منها؟ فقالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا أو أمست ، فقلت : فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغمًا، فقالت: يزور الله - تبارك وتعالى- متى شاء، قالت: قلت: فما فعل

---

(١) يبدو أن كلمة [صليت] سقطت كما يدل عليه السياق.

بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ[1] أعطي والله فوق ما كان يأمل . قالت: قلت: مريني بأمر أتقرب به إلى الله -تعالى- قالت : عليك بكثرة ذكر الله، فيوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك. ولما مات عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض أصحابه وعليه ثياب خضر وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ ، فقال: كيف كنت بعدنا وكيف وجدت طعم الموت وكيف رأيت الأمر هناك؟ قال: أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه إلا أن رحمة الله وارت عنا كل عيب، وما تلقانا إلا بفضله.

وقال صالح بن بشر: لما مات عطاء السلمي رأيته في منامي، فقلت: يا أبا محمد ألست في زمرة الموتى؟ قال: بلى، قلت: فماذا صرت إليه بعد الموت؟ قال: صرت والله إلى خير كثير ورب غفور شكور. قال: قلت: أما والله لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا، فتبسم وقال: والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحًا دائمًا، قلت: ففي أي الدرجات أنت؟ قال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. ولما مات عاصم الجحدري رآه بعض أهله في المنام فقال: أليس قد مت؟ قال: بلى، قال: فأين أنت ؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم، قال: قلت: أجسادكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجساد وإنما تتلاقى الأرواح. ورُئي الفضيل بن عياض بعد موته فقال: لم أر للعبد خيراً من ربه. وكان مُرَّة الهمذاني قد سجد حتى أكل التراب جبهته، فلما مات رآه رجل من أهله في منامه وكأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدريّ فقال: ما هذا الأثر الذي أرى بوجهك؟ قال: كُسي موضع السجود بأكل التراب له نوراً، قال: قلت: فما

---

(١) كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر.

منزلتك في الآخرة؟ قال: خير منزل، دار لا ينتقل عنها أهلها ولا يموتون.

وقال أبو يعقوب القاري: رأيت في منامي رجلاً آدمًا طوالاً والناس يتبعونه، قلت: من هذا؟ قالوا: أويس القرني، فاتبعته فقلت: أوصني يرحمك الله، فكلح(1) في وجهي فقلت: مسترشد فأرشدني -رحمك الله- فأقبل عليّ فقال: ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك، ثم ولى وتركني. وقال ابن السماك: رأيت مسعرًا في النوم فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: مجالس الذكر.

(وقال الأجلح): رأيت سلمة بن كهيل في النوم قلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: قيام الليل. وقال أبو بكر بن أبي مريم: رأيت وفاء بن بشر بعد موته فقلت: ما فعلت يا وفاء؟ قال: نجوت بعد كل جهد؟ قلت: فأي الأعمال وجدتموها أفضل؟ قال: البكاء من خشية الله -عز وجل-.

وقال الليث بن سعد عن موسى بن وردان: إنه رأى عبد الله بن أبي حبيبة بعد موته فقال: عرضت علي حسناتي وسيئاتي فرأيت في حسناتي حبات رمان التقطتهن فأكلتهن، ورأيت في سيئاتي خيطي حرير كانا في قلنسوتي. وقال سنيد بن داود: حدثني ابن أخي جويرية بن أسماء قال: كنا بعبادان، فقدم علينا شاب من أهل الكوفة متعبد فمات بها في يوم شديد الحر، فقلت: نبرد ثم نأخذ في جهازه، فنمت، فرأيت كأني في المقابر، فإذا بقبة جوهر تتلألأ حسنًا وأنا أنظر إليها إذ انفلقت فأشرفت منها جارية ما رأيت مثل حسنها ، فأقبلت عليّ فقالت : بالله لا تحبسه عنا إلى الظهر، قال: فانتبهت فزعًا، وأخذت في جهازه، وحفرت له قبرًا في الموضع الذي رأيت فيه القبة فدفنته فيه.

---

(1) كلح فلان كلوحًا: كبس وزاد عبوسه فهو كالح. وفي التنزيل العزيز: ﴿وهم فيها كالحون﴾ [المؤمنون:١٠٤].

وقال عبد الملك بن عتاب الليثي: رأيت عامر بن عبد قيس في النـــوم فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: ما أريد به وجه الله -عز وجل-.

وقال يزيد بن هارون: رأيت أبا العلاء أيوب بن مســكين في المنـام فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بالصوم والصلاة، قلت: أرأيت منصور بن زادان؟ قال: هيهات ذاك نرى قصره من بعيد.

وقال يزيد بن نعامة: هلكت جارية في طاعون الجارف، فلقيها أبوها بعد موتها. فقال لها: يا بنية أخبريني عن الآخرة، قالت: يا أبت قدمنا علـى أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

وقال كثير بن مرة: رأيت في منامي كأني دخلت درجـــة عليـــاء في الجنة، فجعلت أطوف بها وأتعجب منها، فإذا أنا بنساء من نساء المسجد في ناحية منها، فذهبت حتى سلمت عليهن، ثم قلت: بما بلغتن هذه الدرجـــة؟ قلن: بسجدات وتكبيرات.

وقال مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز، عن فاطمة بنت عبد الملـــك امرأة عمر بن عبد العزيز قالت: انتبه عمر بن عبد العزيز ليلة فقالت: لقـــد رأيت رؤيا معجبة، قالت: فقلت جعلت فداءك فأخبرني بها، فقـــال: مـــا كنت لأخبرك بها حتى أصبح فلما طلع الفجر خرج فصلى ثـــم عـــاد إلى مجلسه، قالت: فاغتنمت خلوته، فقلت: أخبرني بالرؤياء التي رأيت، قـــال: رأيت كأني رفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيهـــا قصر أبيض كأنه الفضة، وإذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف بأعلى صوته يقول : أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أين رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ؟ إذ أقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى دخـــل ذلك القصر، قال: ثم إن آخر خرج من ذلك القصر، فنادى: أين أبو بكـــر الصديق؟ أين ابن أبي قحافة؟ إذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر، ثـــم

خرج آخر فنادى: أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل عمر حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى: أين عثمان بن عفان؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى أين علي بن أبي طالب؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر ، ثم إن آخر خرج فنادى أين عمر بن عبد العزيز ؟ قال عمر: فقمت حتى دخلت ذلك القصر، قال: فدفعت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقوم حوله فقلت بيني وبين نفسي أن أجلس؟ فجلست إلى جنب أبي عمر بن الخطاب، فنظرت فإذا أبو بكر عن يمين النبي -صلى الله عليه وسلم- وإذا عمر عن يساره ، فتأملت فإذا بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين أبي بكر رجل ، فقلت: من هذا الرجل الذي بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وبين أبي بكر؟ فقال: هذا عيسى بن مريم، فسمعتُ هاتفًا يهتف وبيني وبينه ستر نور يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه، واثبت على ما أنت عليه، ثم كأنه أذن لي في الخروج، فخرجت من ذلك القصر، فالتفت خلفي فإذا أنا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول الحمد لله الذي نصرني وإذا علي بن أبي طالب في أثره خارج من ذلك القصر، وهو يقول: الحمد لله الذي غفر لي.

وقال سعيد بن أبي عروبة: عن عمر بن عبد العزيز، رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت وجلست، فبينا أنا جالس إذ أتى بـ (عليّ) ومعاوية فأدخلا بيتًا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج عليّ وهو يقول قضي لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة[1] .

(١) ولعل في هذه الرؤيا إشارة عظيمة لحسم الخلاف الذي كان بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- فقضى الله للأول وغفر للثاني، وأدخل كلاً منهما الجنة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من =

وقال حماد بن أبي هاشم: جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وأقبل رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس فقال لك: يا عمر إذا عملت فاعمل بعمل هذين لأبي بكر وعمر. فاستحلفه عمر بالله أرأيت هذه الرؤيا؟ فحلف فبكى عمر.

وقال عبد الرحمن بن غنم: رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول: ﴿**يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾[1] ثم التفت عن يمينه وشماله يقول: يابن رواحة يابن مظعون: ﴿**الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين**﴾[2] ثم صافحني وسلم عليّ.

وقال قبيصة بن عقبة: رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال:

| | |
|---|---|
| **نظرت إلى ربي عيانًا فقال لي** | **هنيئًا رضايا عنك يابن سعيد** |
| **فقد كنت قوّامًا إذا الليل قد دجا** | **بعبرة محزون وقلب عميد** |
| **فدونك فاختر أي قصر تريده** | **وزرني فإني منك غير بعيد** |

وقال سفيان بن عيينة: رأيت سفيان الثوري بعد موته يطير في الجنة من نخلة إلى شجرة ومن شجرة إلى نخلة وهو يقول: ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾[3] فقيل له: بما أدخلت الجنة؟ قال: بالورع، بالورع، قيل له: فما

---

غل إخوانًا على سرر متقابلين﴾ [الحجر:٤٧].

(١) سورة يس: الآية ٢٦

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٤

(٣) سورة الصافات: الآية ٦١

فعل علي بن عاصم؟ قال: ما نراه إلا مثل الكوكب.

وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام حافظين، وكانا جليلين. قال أبو أحمد البريدي: فرأيتهما بعد موتهما فقلت: أبا بسطام ما فعل الله بـــك؟ فقال: وفقك الله لحفظ ما أقول:

**حباني إلهـــي في الجنـــان بقيـــة * لها ألف باب من لجـــين وجوهـــرا**

**وقال لي الرحمن يا شعبة الـــذي * تبحر في جميـــع العلـــوم فـــأكثرا**

**تنعم بقربي إنني عنك ذو رضـــا * وعن عبدي القوام في الليل مسعرا**

**كفا مسعراً عزاً بأن ســـيزورني * وأكشف عن وجهي الكريم لينظرا**

**وهذا فعالي بالذين تنسكـــوا * ولم يألفوا في سالف الدهر منكـــرا**

قال أحمد بن محمد اللبدي: رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت: يا أبا عبد الله ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ثم قال: يا أحمد ضربت فيّ ســـتين سوطًا[1] ، قلتُ: نعم يا رب، قال: هذا وجهي قد أبحتك فانظر إليه.

وقال أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج: حدثني رجـــل مـــن أهـــل طوسوس[2] قال: دعوت الله -عز وجل- أن يريني أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله بـــه؟ فرأيت بعد عشر سنين في المنام كـــأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادروني بالكلام فقالوا: يا هذا كم تدعو الله -عز وجل- أن يريك إيانا تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحليـــه الملائكة تحت شجرة طوبى، قال أبو محمد عبد الحق: وهذا الكلام من أهل القبور إنما هو إخبار عن علو درجـــة أحمد بن حنبـــل، وارتفـــاع مكانـــه وعظم منزلته، فلم يقدروا أن يعبروا عن صفـــة حاله وعن ما هو فيـــه إلا

---

(١) إشارة إلى العذاب الذي أصاب الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- على يـــد المعتصم وكان معتزليًا، فكان الجلاد يأمره أن ينطق بأن القرآن كلام الله المخلوق، فيجيب الإمام أحمد. القرآن كلام الله فقط، حتى أغمي عليه وهو ثابت صابر.

(٢) ولعلها طرسوس بالراء وليس بالواو.

بهذا وما هو في معناه.

وقال أبو جعفر السقاء صاحب بشر بن الحارث: رأيت بشرًا الحافي ومعروف الكرخي وهما جائيان[1] فقلت من أين؟ فقالا: من جنة الفردوس، زرنا كليم الله موسى.

وقال عاصم الجزري: رأيت في المنام كأني لقيت بشر بن الحارث فقلت: من أين يا أبا نصر؟ قال: من عليين، قلت: فما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدي الله -عز وجل- يأكلان ويشربان، فقلت له: فأنت؟ قال: علم قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه.

وقال أبو جعفر السقاء: رأيت بشر بن الحارث في النوم بعد موته فقلت: أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: ألطفني ورحمني وقال لي: يا بشر لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادي منك، وأباح لي نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت، ووعدني أن يغفر لمن تبع جنازتي، فقلت: ما فعل أبو نصر التمار؟ فقال: ذاك فوق الناس بصبره على بلائه وفقره.

قال عبد الحق: لعله أراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها؛ لأن نعيمها نصفان: نصف روحاني ، ونصف جسماني، فيتنعمون أولاً بالروحاني فإذا ردت الأرواح إلى الأجساد أضيف لهم النعيم الجسماني إلى الروحاني، وقال غيره نعيم الجنة مرتب على العلم والعمل وحظ بشر من العمل كان أوفى من حظه من العلم. والله أعلم.

وقال بعض الصالحين: رأيت أبا بكر الشبلي في المنام، وكأنه قاعد في مجلس الرصافة بالموضع الذي كان يقعد فيه، وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان، فقمت إليه، وسلمت عليه، وجلست بين يديه، فقلت له: من أقرب

---

(١) أي آتيان قادمان.

أصحابك إليك؟ قال: ألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله.

وقال أبو عبد الرحمن الساحلي: رأيت ميسرة بن سليم في المنام بعد موته فقلت له: طالت غيبتك، فقال السفر طويل، فقلت له فما الذي قدمت عليه؟ فقال: رخص لي لأنّا كنا نفتي بالرخص، فقلت: فما تأمرني به؟ قال: اتباع الآثار وصحبة الأخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار.

وقال أبو جعفر الضرير: رأيت عيسى بن زاذان بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ فأنشأ يقول:

**لو رأيت الحسان في الخلد حولي ... وأكاويب معها للشراب**

**يترنمن بالكتاب جميعاً ... يتمشين مسبلات الثياب**

وقال بعض أصحاب ابن جريج: رأيت كأني جئت إلى هذه المقبرة التي بمكة فرأيت على عامتها سرادقاً، ورأيت منها قبراً عليه سرادق[(١)] وفسطاط[(٢)] وسدرة[(٣)] فجئت حتى دخلت فسلمت عليه، فإذا مسلم بن خالد الزنجي، فسلمت عليه وقلت: يا أبا خالد ما بال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة؟ فقال: إني كنت كثير الصيام، فقلت: فأين قبر ابن جريج وأين محله؟ فقد كنت أجالسه، وأنا أحب أن أسلم عليه، فقال: هكذا بيده هيهات، وأدار إصبعه السبابة، وأين ابن جريج؟ قال: رفعت صحيفته في عليين.

ورأى حماد بن سلمة في النوم بعض الأصحاب فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي: طالما كددت نفسك في الدنيا، فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين.

---

(١) السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب.

(٢) الفسطاط: بيت من الشعر، أو مكان يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرهما.

(٣) السدرة: جمع السدر: شجر النبق.

وهذا باب طويل جدًّا، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير معصومة فتأمل من رأى صاحبًا له، أو قريبًا، أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، وأخبره بمال دفنه، أو حذره من أمر يقع، أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا فيقع كما أخبر، أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة أو مرض أو بغرض له فوقع كما أخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله، والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذاك عجائب.

وأبطل من قال: إن هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال، فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت، ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما، ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك.

وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد، بل كثير من مرائي الناس إنما هي مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق.

فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع: رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس.

والرؤيا الصحيحة أقسام. منها: إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره.

ومنها: مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها.

ومنها: التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا.

ومنها: عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له.

ومنها: دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من

جنس المحسوسات.

وهذا موضع اضطرب فيه الناس.

فمن قائل: إن العلوم كلها كامنة في النفس وإنما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها، فإذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها، ولما كان تجردها بالموت أكمل كانت علومها ومعارفها هناك أكمل وهذا فيه حق وباطل، فلا يرد كله ولا يقبل كله، فإن تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد، لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث به رسوله، وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والأمم الخالية وتفاصيل المعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الأمر والنهي والأسماء والصفات والأفعال وغير ذلك مما لا يعلم إلا بالوحي، ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنية.

ومن قائل: إن هذه المرائي علوم علقها الله في النفس ابتداءً بلا سبب، وهذا قول منكري الأسباب والحكم القوي وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة.

ومن قائل: إن الرؤيا أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداد ألفه على يد ملك الرؤيا، فمرة يكون مثلاً مضروبًا ومرة يكون نفس[1] ما رآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه.

وهذا أقرب من القولين قبله، ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها أسباب أخر كما تقدم من ملاقاة الأرواح وإخبار بعضها بعضًا ومن إلقاء الملك الذي في القلب والروع ومن رؤية الروح للأشياء مكافحة بلا واسطة[2] .

---

(١) والصواب قوله ما رآه الرائي نفسه، فيأتي بالتوكيد بعد المؤكد منه.

(٢) وهذا من الخطأ الشائع، والصواب: قوله بلا وساطة. أما الواسطة فهي الوسط =

وقد ذكر أبو عبد الله بن منده الحافظ في ( كتاب النفس والروح ) من حديث محمد بن حميد، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء الدوسي، حدثنا الأزهر ابن عبد الله الأزدي ، عن محمد بن عجلان ، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب، فقال له: يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت . ثلاث أسألك عنهن عندك منهن علم ؟ فقال علي بن أبي طالب: وما هن؟ فقال: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً، فقال علي: نعم سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشأم، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» فقال عمر: واحدة. قال عمر: والرجل يحدث الحديث إذ نسيه فبينا هو وما نسيه إذ ذكره؟ فقال: نعم، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ما في القلوب قلب إلا وله سحابة نسيه القمر بينا القمر مضيء إذا تجللته سحابة الظلم إذا تجلت فأضاء وبينا القلب يتحدث إذ تجللته سحابة فنسي إذ تجلت عنه فيذكر**» قال عمر: اثنتان. قال: والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب؟ فقال: نعم سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ما من عبد ينام يمتلئ نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق، والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب**» فقال عمر: ثلاث كنت في طلبهن، فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت.

وقال بقية بن الوليد: حدثنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر

---

= وواسطة العقد وسطه وأجوده.

الحضرمي قال: قال عمر بن الخطاب: عجبت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كآخذ بيد، ويرى الشيء فلا يكون شيئًا، فقال علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين يقول الله -عز وجل-: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾ قال: والأرواح يعرج بها في منامها، فما رأت وهي في السماء فهو الحق، فإذا ردت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها، فما رأت من ذلك فهو الباطل. قال: فجعل عمر يتعجب من قول علي. قال ابن منده: هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروي عن أبي الدرداء.

وذكر الطبراني من حديث علي بن أبي طالب أن عبد الله بن عباس قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمين أشياء أسألك عنها، قال: سل عما شئت. قال: يا أمير المؤمنين مم يذكر الرجل ومم ينسى، ومم تصدق الرؤيا ومم تكذب؟ فقال له عمر: إن على القلب طخاوة[1] كطخاوة القمر فإذا تغشت القلب نسي ابن آدم فإذا انجلت ذكر ما كان نسي وأما مم تصدق الرؤيا ومم تكذب فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾[2] فمن دخل منها في ملكوت السماء فهي التي تكذب.

وروى ابن لهيعة: عن عثمان بن نعيم الرعيني، عن أبي عثمان الأصبحي، عن أبي الدرداء، قال: إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش، فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود، وإن كان جنبًا لم يؤذن لها بالسجود.

وروى جعفر بن عون، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن

---

(١) أي سحابة.

(٢) سورة الزمر الآية:٤٢

عبد الله بن مسعود، أنه قال: إن الأرواح جنود مجندة تتلاقى فتشأم كما تشأم الخيل، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

ولم تزل الناس قديمًا وحديثًا تعرف هذا وتشاهده، قال جميل بن معمر العذري:

**أظل نهاري متهامًا وتلتقي * مع الليل روحي في المنام وروحها**

فإن قيل: فالنائم يرى غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه، وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرئي يقظان روحه لم تفارق جسده، فكيف التقت روحهما؟ قيل: هذا إما أن يكون مثلاً مضروبًا ضربه ملك الرؤيا للنائم أو يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه كما قال حبيب بن أوس:

**سقيًا لطيفك من زور أتاك به * حديث نفسك عنه وهو مشغول**

وقد تتناسب الروحان، وتشتد علاقة إحداهما بالأخرى، فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه، وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما، وقد شاهد الناس من ذلك عجائب.

والمقصود أن أرواح الأحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات.

قال بعض السلف: إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتذاكر، فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر، قال: وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكًا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها، فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر في دينه ودنياه، ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته، فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وينذره عن معصية ارتكبها أو همَّ بها، ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك

الأسباب بأسباب تـدفعها، ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحسانًا وتذكيرًا وتعريفًا، وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الأرواح وتذاكرها وتعارفها، وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة عن منام رآه أو رئي له، وكم ممن استغنى وأصاب كنزًا دفينًا عن منام.

وفي كتاب (المجالسة) لأبي بكر أحمد بن مروان المالكي، عن ابن قتيبة، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن المعتمر بن سليمان، عمن حدثه قال: خرجنا مرة في سفر وكنا ثلاثة نفر، فنام أحدنا، فرأينا مثل المصباح خرج من أنفه فدخل غارًا قريبًا منه ثم رجع فدخل أنفه فاستيقظ يمسح وجهه، وقال: رأيت عجبًا، رأيت في هذا الغار كذا وكذا ، فدخلناه فوجدنا فيه بقية من كنز كان.

وهذا عبد المطلب دل في النوم على زمزم، وأصاب الكنز الذي كان هناك.

وهذا عمير بن وهب أتي في منامه فقيل له: قم إلى موضع كذا وكذا من البيت فاحفره تجد مال أبيك، وكان أبوه قد دفن مالاً ومات ولم يوص به ، فقام عمير من نومه فاحتفر حيث أمره فأصاب عشرة آلاف درهم وتبرًا كثيرًا، فقضى دينه، وحسن حاله وحال أهل بيته، وكان ذلك عقب إسلامه، فقالت له الصغرى من بناته : يا أبت ربنا هذا الذي حيانا بدينه خير من هبل والعزى، ولولا أنه كذلك ما ورثك هذا المال، وإنما عبدته أيامًا قلائل.

قال علي بن أبي طالب القيرواني العابر: وما حديث عمير هذا واستخراجه المال بالمنام بأعجب مما كان عندنا وشاهدناه في عصرنا بمدينتنا من أبي محمد عبد الله البغانشي وكان رجلاً صالحًا مشهورًا برؤية الأموات وسؤالهم عن الغائبات ونقله ذلك إلى أهلهم وقراباتهم حتى اشتهر بذلك

وكثر منه، فكان المرء يأتيه فيشكو إليه أن حميمه قد مات من غير وصيـــة، وله مال لا يهتدي إلى مكانه، فيعده خيرًا ويدعو الله - تعالى - في ليلتـــه، فيتراءى له الميت الموصوف، فيسأله عن الأمر فيخبره به.

فمن نوادره: أن امرأة عجوزًا من الصالحات توفيت ولامرأة عندهـــا سبعة دنانير وديعة، فجاءت إليه صاحبة الوديعة وشكت إليه ما نــزل بهــا وأخبرته باسمها واسم الميتة صاحبتها، ثم عادت إليه في الغد فقال لها: تقول لك فلانة: عدي من سقف بيتي سبع خشبات تجدي الدنانير في الســابعة في خرقة صوف، ففعلت ذلك فوجدتها كما وصف لها.

قال: وأخبرني رجل لا أظن به كذبًا: استأجرتني امرأة من أهل الدنيا على هدم دار لها وبنائها بمال معلوم، فلما أخذتُ في الهدم لزمت الفعلة هي ومن معها فقلت: ما لك؟ قالت: والله ما لي إلى هدم هذه الدار من حاجـــة لكن أبي مات وكان ذا يسار كثير فلم نجد له كثير شيء، فخلت أن مالـــه مدفون، فعمدت إلى هدم الدار لعلي أجد شيئًا، فقال لها بعض من حضـــر: لقد فاتك ما هو أهون عليك من هذا، قالت: وما هو؟ قال: فلان تمضين إليه وتسألينه أن يبيت قصتك الليلة فلعله يرى أباك فيدلك على مكان ماله بـــلا تعب ولا كلفة، فذهبت إليه ثم عادت إلينا، فزعمت أنه كتب اسمها واسم أبيها عنده، فلما كان من الغد بكرت إلى العمل، وجاءت المرأة مـــن عنـــد الرجل، فقال: إن الرجل قال لي: رأيت أباك وهو يقول: المـــال في الحنيـــة. قال: فجعلنا نحفر تحت الحنية، وفي جـــوانبها حتى لاح لي شق وإذا المـــال فيه. قال: فأخذنا في التعجب والمرأة تستخف بما وجدت وتقول مال أبـــي كان أكثر من هذا، ولكني أعود إليه، فمضت فأعلمته ثم سألته المعـــاودة، فلما كان من الغد أتت، وقالت: إنه قال لها إن أباك يقول لـــك: احفـــري تحت الجابيـــة المربعة التي في مخزن الزيت، قـــال: ففتحت المخزن فإذا بجابية مربعة في الركن فأزلناها، وحفرنا تحتها، فوجدنا كوزًا كبيرًا، فأخذته، ثـــم

دام بها الطمع في المعاودة ففعلت، فرجعت من عنـــده وعليهـــا الكآبـــة ، فقالت: زعم أنه رآه وهو يقول له: قد أخذت ما قدر لها وأما ما بقي فقـــد جلس عليه عفريت من الجن يحرسه إلى من قدر له. والحكايات في هذا الباب كثيرة جداًّ.

وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه له في منامـــه فكثير جداًّ. وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليـــه مـــن مســـائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب.

وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هـــو أجهـــل النـــاس بـــالأرواح وأحكامها وشأنها، وبالله التوفيق.

## ٤- أن الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده ؟

اختلف الناس في هذا، فقالت طائفة تموت الروح وتذوق الموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت.

قالوا: وقد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا الله وحده قال تعالى: ﴿**كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾(١) وقال تعـــالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾(٢) قالوا : وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، قالوا: وقد قال تعالى عن أهل النار إنهم قالوا: ﴿**ربنـــا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾(٣) فالموتة الأولى هذه المشهودة وهـــي للبـــدن والأخرى للروح.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنمـــا تمـــوت

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧

(٢) سورة القصص الآية ٨٨

(٣) سورة غافر الآية ١١

الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم**﴾[1] . هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها. فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب كما سيأتي إن شاء الله -تعالى- بعد هذا وكما صرح به النص أنها كذلك حتى يردها الله في جسدها، وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله:

**تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم * إلا على شجب والخلف في الشجب**

**فقيل تخلص نفس المرء سالمة * وقيل تشرك جسم المرء في العطب**

فإن قيل: فعند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا؟ قيل: قد قال تعالى: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾[2] فقد استثنى الله سبحانه بعض من في السماوات ومن في الأرض من هذا الصعق.

فقيل: هم جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. وهذا قول مقاتل، وغيره.

وقيل: هم الذين في الجنة من الحور العين، وغيرهم، ومن النار من أهل العذاب وخزنتها، قاله: أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩

(٢) سورة الزمر الآية ٦٨

وقد نص الإمام أحمد على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿**لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى**﴾[1] وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الأولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان، وأما قول أهل النار ﴿**ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ فتفسير هذه الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى: ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾[2] كانوا أمواتًا وهم نطف في أصلاب آبائهم، وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها، ففي الحديث الصحيح: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور**»[3] .

فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله -تعالى- لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم ، قال تعالى: ﴿**فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون**﴾[4] . ولو كان هذا الصعق موتًا لكانت موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد الله

---

(١) سورة الدخان الآية ٥٦

(٢) سورة البقرة الآية ٣٨

(٣) رواه البخاري في الرقاق ٤٣ ومسلم في الفضائل ١٦٠ وأحمد في مسنده (٢/٢٦٤). وصعقة موسى -صلى الله عليه وسلم- يوم الطور ورد ذكرها في القرآن الكريم. قال تعالى ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾[الأعراف:١٤٣].

(٤) سورة الطور الآية ٤٥

القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يـــوم القيامـــة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور قال: وقد قال شيخنا أحمد بن عمـــرو: ظاهر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يدل على أن هذه الصعقة إنمـــا هي بعد النفخة الثانية ، نفخة البعث، ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق ، ولما كان هذا قال بعض العلمـــاء : يحتمـــل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء، وهذا باطل ، وقال القاضي عيـــاض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق الســـماوات والأرض، قال: فتستقل الأحاديث والآثار.

ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال: يـــرد هـــذا قولـــه في الحديـــث الصحيح: إنه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذًا بقائمة العرش، قـــال: وهذا إنما عند نفخة الفزع.

قال أبو عبد الله: وقال شيخنا أحمد بن عمرو: الـــذي يزيـــح هـــذا الإشكال إن شاء الله تعالى أن الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال مـــن حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عنـــد ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كـــان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى ، مع أنه قد صح عن النـــبي -صلى الله عليه وسلم- أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه -صلى الله عليه وسلم- اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقـــدس، وفي الســـماء وخصوصًا بموسى، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليـــه روحه حتى يرد عليه السلام، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بـــأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كـــانوا موجودين. جاءوا ذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحيـــاء موجـــودون ولا تراهم، وإذا تقرر أنهم أحيـــاء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كـــل من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فأما صعق غير الأنبيـــاء

فموت وأما صعق الأنبياء فالأظهر أنه غشية، فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه أفاق، ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث المتفق على صحته: «**فأكون أول من يفيق، فنبينا أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس إلا موسى**». فإنه حصل فيه تردد: هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقًا لأنه حوسب بصعقة يوم الطور ؟ وهذا فضيلة عظيمة لموسى، ولا يلزم من فضيلة واحدة أفضليته على نبينا مطلقًا؛ لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمرًا كليًّا، انتهى.

قال أبو عبد الله القرطبي: إن حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا إشكال، وإن حُمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذلك يوم القيامة يراد به أوائله، فالمعنى: إذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور.

قلتُ: وحمل الحديث على هذا لا يصح لأنه -صلى الله عليه وسلم- تردد هل أفاق موسى قبله أم لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور، فالمعنى لا أدري أصعق أم لم يصعق، وقد قال في الحديث: فأكون أول من يفيق، وهذا يدل على أنه -صلى الله عليه وسلم- يصعق فيمن يصعق، وأن التردد حصل في موسى هل صعق وأفاق قبله من صعقته أم لم يصعق، ولو كان المراد به الصعقة الأولى وهي صعقة الموت، لكان -صلى الله عليه وسلم- قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أم لم يمت، وهذا باطل لوجوه كثيرة، فعلم أنها صعقة فزع لا صعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على أن الأرواح كلها تموت عند النفخة الأولى، نعم تدل على أن موت الخلائق عند النفخة الأولى، وكل من لم يذق الموت قبلها فإنه يذوقه حينئذ. وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية. والله أعلم.

فإن قيل: فكيف تصنعون بقوله في الحديث: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عليه الأرض، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش**»، قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا. والحديثان هكذا:

**أحدهما**: «**أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق**» .

**والثاني هكذا**: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة**». ففي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فدخل على الراوي هذا الحديث في الحديث الآخر وكان شيخنا أبو الحجاج الحافظ[1] يقول ذلك.

فإن قيل: فما تصنعون بقوله: «**فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل؟**» والذين استثناهم الله إنما هم مستثنون من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيامة، كما قال الله -تعالى-: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾[2] ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة، قيل: هذا والله أعلم غير محفوظ، وهو وهم من بعض الرواة، والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله: «**فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**». فظن بعض الرواة أن هذه الصعقة هي صعقة النفخة ، وأن موسى داخل فيمن استثنى منها ، وهذا لا يلتئم على مساق الحديث قطعاً، فإن الإفاقة حينئذ هي إفاقة البعث،

---

(١) هو جمال الدين المزي محدث بلاد الشام (ت٧٤٢هـ).

(٢) سورة الزمر الآية ٦٨

فكيف يقول: لا أدري أبعث قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فتأمله، وهـــذا بخلاف الصعقة التي يصعقها الخلائق يوم القيامة إذا جاء الله سبحانه لفصـــل القضاء بين العباد ، وتجلى لهم، فإنهم يصعقون جميعًا. وأما موسى -صلـــى الله عليه وسلم - فإن كان لم يصعق معهم فيكون قد حوسب بصعقته يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا ، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضًا من صعقـــة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة.

فتأمل هذا المعنى العظيم، ولو لم يكن في الجواب إلا كشـــف هـــذا الحديث وشأنه لكان حقيقًا أن يعض عليه بالنواجذ، ولله الحمد والمنة، وبـــه التوفيق.

# المسألة الخامسة

**وهي أن الأرواح بعد مفارقة الأبدان إذا تجردت، بأي شيء يتمـــيز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى؟ وهل تشكل إذا تجردت بشـــكل بدنها الذي كانت فيه وتلبس صورته أم كيف يكون حالها؟**

هذه مسألة لا تكاد تجد من تكلم فيها، ولا يظفر فيها من كتب الناس بطائل ولا غير طائل ، ولا سيما على أصول من يقول: بأنها مجـــردة عـــن المادة وعلائقها، وليست بداخل العالم ولا خارجه، ولا لها شكل ولا قـــدر ولا شخص، فهذا السؤال على أصولهم مما لا جواب لهم عنه، وكذلك من يقول: هي عرض من أعراض البدن، فتميزها عن غيرها مشـــروط قيامهـــا ببدنها، فلا تميز لها بعد الموت، بل لا وجود لها على أصولهم، بـــل تعـــدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحي، ولا يمكن جـــواب هذه المسألة إلا على أصول أهل السنة التي تظاهرت عليهـــا أدلـــة القـــرآن والسنة، والآثار، والاعتبار، والعقل، والقول إنها ذات قائمة بنفسها تصعد، وتنزل، وتتصل ، وتنفصل، وتخرج، وتذهب، وتجيء، وتتحرك، وتســـكن، وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة الـــروح

والنفس، وبينا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وإن من قال غيره لم يعرف نفسه.

وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول، والخروج، والقبض، والتوفي، والرجوع، وصعودها إلى السماء، وفتح أبوابها لها، وغلقها عنها، فقال تعالى: ﴿**ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾. وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد. وقال تعالى: ﴿**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**﴾[2] فأخبر أنه سوى النفس كما أخبر أنه سوى البدن في قوله: ﴿**الذي خلقك فسواك فعدلك**﴾، فهو سبحانه سوى نفس الإنسان كما سوى بدنه، بل سوى بدنه كالقالب لنفسه، فتسوية البدن تابع لتسوية النفس، والبدن موضوع لها كالقالب لما هو موضوع له.

ومن هاهنا يعلم أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها، فإنها تتأثر، وتنتقل من البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها، فيكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها، وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب البدن وخبثه، فأشد الأشياء ارتباطًا وتناسبًا وتفاعلاً وتأثرًا من أحدهما بالآخر الروح والبدن، ولهذا يقال لها عند المفارقة: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب النفس، واخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث.

وقال الله -تعالى-: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣

(٢) سورة الشمس الآية ٨

فوصفها بالتوفي، والإمساك، والإرسال، كما وصفها بالدخول، والخروج، والرجوع ، والتسوية، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن بصر الميت يتبع نفسه إذا قبضت [1] . وأخبر أن الملك يقبضها، فتأخذها الملائكة من يده ، فيوجد لها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، أو كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض[2] . والأعراض لا ريح لها، ولا تمسك، ولا تؤخذ من يد إلى يد.

وأخبر أنها تصعد إلى السماء، ويصلي عليها كل ملك لله بين السماء والأرض، وأنها تفتح لها أبواب السماء، فتصعد من سماء إلى سماء حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله -عز وجل- فتوقف بين يديه، ويأمر بكتابة اسمه في ديوان أهل عليين، أو ديون أهل سجين، ثم ترد إلى الأرض، وإن روح الكافر تطرح طرحًا، وأنها تدخل مع البدن في قبرها للسؤال[3] .

وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن نسمة المؤمن -وهي روحه- طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يردها الله إلى جسدها[4] .

وأخبر أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها[5] وأخبر أن الروح تنعم وتعذب في البرزخ إلى يوم القيامة[6] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه عن أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨٧/٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٨٧/٤).

(٤) رواه النسائي في الجنائز (١١٧) وابن ماجه في كتاب الزهد (٣٢) ومالك في الموطأ باب الجنائز، وأحمد في مسنده (٤٥٥/٣).

(٥) رواه الترمذي في فضائل الجهاد (١٣) والدارمي في سننه باب الجهاد (١٨) وأحمد في مسنده (٣٨٦/٦).

(٦) وانظر أحمد في مسنده (٥٦/٢) والبخاري في الدعوات (٣٧) ومسلم في المساجد =

وقد أخبر سبحانه عن أرواح قوم فرعون أنها تُعرض على النار غدوًا وعشيًا قبل يوم القيامة، وقد أخبر سبحانه عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وهذه حياة أرواحهم، ورزقها دار[1]، وإلا فالأبدان قد تمزقت، وقد فسر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الحياة بأن أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا ؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا (فعل بهم ذلك ثلاث مرات)، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى[2] .

وصح عنه -صلى الله عليه وسلم- أن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة، وتعلق بضم اللام أي تأكل العلقة.

وقال ابن عباس: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ، ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله -تعالى- على رسوله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ الآيات**» رواه الإمام أحمد، وهذا صريح في

---

(١٢٥) والنسائي في الجنائز (١١٥).

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة (١٢١) والترمذي في تفسير سورة(١٩/٣) وابن ماجه في باب الجهاد (١٦).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٢١)، والترمذي في تفسير سورة (١٩/٣) وابن ماجه في الجهاد (١٦).

أكلها، وشربها، وحركتها، وانتقالها، وكلامها، وسيأتي مزيد تقرير لذلك عن قريب إن شاء الله تعالى.

وإذا كان هذا شأن الأرواح، فتميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان، والاشتباه بينها أبعد من اشتباه الأبدان، فإن الأبدان تشتبه كثيراً وأما الأرواح فقلما تشتبه.

يوضح هذا أنا لم نشاهد أبدان الأنبياء والصحابة والأئمة وهم متميزون في علمنا أظهر تميز، وليس ذلك التميز راجعًا إلى مجرد أبدانهم وإن ذكر لنا من صفات أبدانهم ما يختص به أحدهم من الآخر، بل التميز الذي عندنا بما علمناه وعرفناه من صفات أرواحهم وما قام بها، وتميز الروح عن الروح بصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته، ألا ترى أن بدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيراً وبين روحيهما أعظم التباين والتميز، وأنت ترى أخوين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين، فإذا تجردت هاتان الروحان كان تميزهما في غاية الظهور.

وأخبرك بأمر، إذا تأملت أحوال الأنفس والأبدان شاهدته عيانًا، قل أن ترى بدنًا قبيحًا وشكلاً شنيعًا إلا وجدته مركبًا على نفس تشاكله وتناسبه، وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها، ولهذا تأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من أشكال الأبدان وأحوالها، فقل أن تخطئ ذلك. ويحكى عن الشافعي -رحمه الله- في ذلك عجائب، وقل أن ترى شكلاً حسنًا وصورة جميلة، وتركيبًا لطيفًا، إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له، هذا ما لم يعارض ذلك ما يوجب خلافه من تعلم وتدرب واعتياد.

وإذا كانت الأرواح العلوية وهم الملائكة متميزاً بعضهم عن بعض من

غير أجسام تحملهم، وكذلك الجن، فتميزنا الأرواح البشرية أولى.

**٥- أن الروح هل تعاد إلى الميت في قبره وقت السؤال أم لا؟**

فقد كفانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر هذه المسألة، وأغنانا عن أقوال الناس، حيث صرح بإعادة الروح إليه، فقال البراء بن عازب: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي -صلى الله عليه وسلم- فقعد، وقعدنا حوله كأن على رءوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر -ثلاث مرات-**» ثم قال: «**إن العبد إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه ملائكة، كأن وجوههم الشمس، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله، ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها -يعني على ملأ من الملائكة- إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله -تعالى-، فيقول الله -عز وجل-: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به، وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة، قال: فيأتيه من**

ريحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب ، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول : أنا عملك الصالح، فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح[1] فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[2] من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريح الخبيث ؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح، ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾[3] فيقول الله -عز وجل- اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[4] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا

---

(١) المسوح: جمع المسح، البلاس وهو ثوب من الشعر غليظ، ويطلق على ثوب الراهب. واللفظ فارسي معرب.

(٢) السفود: الحديدة يندف بها الصوف ويشوى بها اللحم.

(٣) سورة الأعراف الآية ٤٠. والسم: كل ثقب ضيق: كثقب الإبرة والأذن والأنف.

(٤) سورة الحج الآية ٣١

**الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منـــاد مـــن السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًـــا إلى النـــار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعـــه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بـــالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجـــه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيـــث، فيقـــول: رب لا تقـــم الساعة»** رواه الإمام أحمد وأبو داود، وروى النسائي وابن ماجه أوله، ورواه أبو عوانة الإسفرائيني في صحيحه.

وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف.

وقال أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له: وأما من ظـــن أن الميت يحيا في قبره قبل يوم القيامة فخطأ. إن الآيات التي ذكرناها تمنع مـــن ذلك يعني قوله تعالى: ﴿**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتـــين**﴾[1] وقولـــه تعالى: ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحيـــاكم ثـــم يميتكـــم ثـــم يحييكم**﴾[2] قال: ولو كان الميت يحيا في قبره لكان تعالى قد أماتنـــا ثلاثًـــا وأحيانا ثلاثًا ، وهذا باطل، وخلاف القرآن، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء، كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهـــم الله: موتوا، ثم أحياهم، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشـــها، ومن خصه نص .

وكذلك قوله تعالى : ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرســـل الأخـــرى إلى أجـــل**

---

(١) سورة غافر الآية ١١

(٢) سورة البقرة الآية ٣٨

**مسمى﴾**[1].

فصح بنص القرآن أن أرواح سائر من ذكرنا لا ترجع إلى جسده إلا إلى الأجل المسمى وهو يوم القيامة، وكذلك أخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه رأى الأرواح ليلة أسري به عند سماء الدنيا من عن يمين آدم أرواح أهل السعادة، وعن شماله أرواح أهل الشقاوة، وأخبر يوم بدر إذ خاطب الموتى أنهم قد سمعوا قوله قبل أن تكون لهم قبور ولم ينكر على الصحابة قولهم قد جيفوا، واعلم أنهم سامعون قوله مع ذلك ، فصح أن الخطاب والسماع لأرواحهم فقط بلا شك، وأما الجسد فلا حس له وقد قال تعالى: **﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾**[2] فنفى السمع عمن في القبور وهي الأجساد بلا شك.

ولا يشك مسلم أن الذي نفى الله -عز وجل- عنه السمع هو غير الذي أثبت له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- السمع. قال: ولم يأت قط عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في خبر صحيح أن أرواح الموتى تُرد إلى أجسادهم عند المساءلة، ولو صح ذلك عنه لقلنا به، قال: وإنما تفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح في القبور إلى الأجساد المنهال بن عمرو وحده، وليس بالقوي. تركه شعبة وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي، وهو أحد الأئمة: ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الإسلام على ما قد نقل وسائر الأخبار الثابتة على خلاف ذلك.

قال وهذا الذي قلنا هو الذي صح أيضًا عن الصحابة.

ثم ذكر من طريق بن عيينة، عن منصور بن صفية، عن أمه صفية بنت

---

(١) سورة الزمر الآية ٤٢

(٢) سورة فاطر الآية ٣٢ وسيوضح المؤلف معنى السمع في الآية والحديث بعد قليل.

شيبة، قالت: دخل ابن عمر المسجد فأبصر ابن الزبير مطروحًا قبل أن يقبر فقيل له: هذه أسماء بنت أبي بكر الصديق، فمال ابن عمر إليها فعزاها وقال: إن هذه الجثث ليست بشيء وإن الأرواح عند الله، فقالت أمه: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

قلت: ما ذكره أبو محمد فيه حق وباطل أما قوله: (من ظن أن الميت يحيا في قبره فخطأ) فهذا فيه إجمال إن أراد به الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره، وتصرفه، وتحتاج معها إلى الطعام، والشراب، واللباس، فهذا خطأ كما قال: (والحس والعقل يكذبه، كما يكذبه النص).

وإن أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، ليسأل، ويمتحن في قبره، فهذا حق ونفيه خطأ، وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله - صلى الله عليه وسلم-: «**فتعاد روحه في جسده**» وسنذكر الجواب عن تضعيفه للحديث إن شاء الله تعالى.

وأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾[1] فلا ينفي ثبوت هذه الإعادة العارضة للروح في الجسد، كما أن قتيل بني إسرائيل الذي أحياه الله بعد قتله ثم أماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمساءلة معتدًا بها، فإنه يحيي لحظة بحيث قال: فلان قتلني، ثم خر ميتًا. فعلى أن قوله: «**ثم تعاد روحه في جسده**» لا يدل على حياة مستقرة وإنما يدل على إعادة لها إلىالبدن، وتعلق به، والروح لم تزل متعلقة ببدنها وإن بلي وتمزق.

وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام.

---

(١) سورة غافر الآية ١١

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ[1] ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها التفات إليه ألبتة، وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذا تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا.

وأما قوله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليه الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾[2] فإمساكه سبحانه التي قضى عليها الموت لا ينافي ردها إلىجسدها الميت في وقت ما ردًا عارضًا لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا.

وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي، وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه

(١) البرزخ : الحاجز بين شيئين، وفي علم الجغرافية: قطعة أرض ضيقة محصورة بين بحرين أو موصلة بين أرضين. ودينيًا: البرزخ: المنطقة أو الدار الفاصلة بين الدنيا والآخرة، أو بين الموت والبعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. وفي التنزيل العزيز: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[المؤمنون:١٠٠].

(٢) سورة الزمر الآية ٤٢

كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة.

وأما إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- عن رؤية الأنبياء ليلة أسري به فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم، قال: فإنهم أحياء عند ربهم، وقد رأى إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، ورأى موسى قائماً في قبره يصلي ، وقد نعت الأنبياء لما رآهم نعت الأشباح فرأى موسى آدماً[1] ضرباً[2] طوالاً[3] كأنه من رجال شنوءة[4] ، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنما أخرج من ديماس[5]، ورأى إبراهيم فشبهه بنفسه.

ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعاً، إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور لم يعدهم الله إليها بل كانت في الجنة، وقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن الله حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو، وهو أول من يستفتح باب الجنة، وهو أول من تنشق عنه الأرض على الإطلاق، لم تنشق عن أحد قبله.

ومعلوم بالضرورة أن جسده -صلى الله عليه وسلم- في الأرض طري مطرا، وقد سأله الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت[6] ؟ فقال:

---

( ١ ) أدم أدماً وأُدمةً: اشتدت سمرته فهو آدمٌ وهي أدماء جمع أُدمٌ.

( ٢ ) رجل ضرب خفيف اللحم ممشوق القد.

( ٣ ) طُوالاً: طويلاً.

( ٤ ) شنوءة: اسم علم. والشنوءة لغة أيضاً: المتقزز من المعايب.

( ٥ ) ديماس: بيت في الأرض. والمقصود أن باطن الأرض مصدر كثرة الماء والينابيع.

( ٦ ) أرم أرماً: فني.

إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[1] .

ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب.

وقد صح عنه أن الله وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام[2] .

وصح عنه أنه خرج بين أبي بكر وعمر وقال: هكذا نبعث[3] .

هذا مع القطع بأن روحه الكريمة في الرفيق الأعلى في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء.

وقد صح عنه أنه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره ليلة الإسـراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة. فالروح كانت هناك ولها اتصال بـالبدن في القبر، وإشراف عليه، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من سلم عليه وهي في الرفيق الأعلى.

ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وأنت تجد الروحين المتماثلين المتناسبتين في غاية التجاور والقرب وإن كان بينهما بعد المشرقين، وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين بينهما غاية البعد وإن كـان جسداهما متجاورين متلاصقين.

وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس مـا للبـدن، فإنها تصعد إلى ما فوق السماوات ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره، وهو زمن يسير لا يصعد البدن وينزل في مثلـه، وكذلـك

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٢٠١) والنسائي في الجمعة (٥) وابن ماجه في الجنـائز (٦٥) والدارمي في الصلاة (٢٠٦) وأحمد في مسنده (٨/٤).

(٢) ويشهد له ما روي له: (ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتـى أرد عليه السلام). رواه أبو داود في المناسك (٩٦) وأحمد في مسنده (٥٢٧/٢).

(٣) ولعل في هذا الحديث نبوءة فقد دفن كل من أبي بكر وعمر -رضي الله عنـه- بجانب قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيبعثون إذًا جميعًا مصداقًـا لقـول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

صعودها وعودها إلى البدن في النوم واليقظة، وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها فإنها في السماء وشعاعها في الأرض، قال شيخنا[1] : وليس هذا مثلاً مطابقًا، فإن نفس الشمس لا تنزل من السماء ، والشعاع الذي على الأرض ليس هو الشمس ولا صفتها، بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها. والروح نفسها تصعد وتنزل وأما قول الصحابة للنبي - صلى الله عليه وسلم- في قتلى بدر: كيف تخاطب أقوامًا قد جيفوا؟ مع إخباره بسماعهم كلامه، فلا ينفي ذلك رد أرواحهم إلى أجسادهم ذلك الوقت ردًّا يسمعون به خطابه والأجساد قد جيفت، فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التي قد فسدت.

أما قوله تعالى: ﴿**وما أنت بمسمع من في القبور**﴾[2] فسياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعًا ينتفع به، كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفعون به، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا ألبتة، كيف وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين، وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه، وشرع الإسلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع، وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام.

هذه الآية نظير قوله: ﴿**إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين**﴾[3] . وقد يقال نفي إسماع الصم مع نفي إسماع الموتى يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسماع. وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان إسماعها ممتنعًا بمنزلة خطاب الميت والأصم، وهذا حق ولكن

---

(١) أي الإمام ابن تيمية.

(٢) سورة فاطر الآية ٢٢

(٣) سورة النمل الآية ٨٠

لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفي، والله أعلم.

وحقيقة المعنى أنك لا تستطيع أن تُسمع من لم يشأ الله أن يسمعه، إن أنت إلا نذير أي إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه.

وأما قوله[1] : إن الحديث لا يصح لتفرد المنهال بن عمرو وحده به وليس بالقوي، فهذا من مجازفته -رحمه الله- فالحديث صحيح لا شك فيه وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان منهم عدي بن ثابت ومحمد ابن عقبة ومجاهد.

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده في كتاب (الروح والنفس):

أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف، حدثنا محمد بن إسحاق الصفار، أنبأنا أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلسنا وجلس، كأن على أكتافنا فلق الصخر، وعلى رءوسنا الطير فأرم قليلاً، والإرمام السكوت، فلما رفع رأسه قال: « **إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه ملائكة**[2] **معهم كفن من الجنة، وحنوط من الجنة، فجلسوا منه مد البصر، وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه، ثم قال: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي**

---

(١) أي ابن حزم

(٢) ولعلهم ملائكة الرحمة ؛ لأن هذه الفئة من الملائكة الكرام، هي الموكلة بحمل روح الإنسان المؤمن وتبشيره بالجنة والرضوان على حين أن ملائكة العذاب موكلة بحمل روح الإنسان الكافر أو الفاسق من أهل النار وتبشيره بها.

إلى رحمة الله ورضوانه فتنسل[1] نفسه كما تقطر القطرة من السقاء، فإذا خرجت نفسه صلى عليه كل من بين السماء والأرض إلا الثقلين[2] ، ثم يصعد به إلى السماء فتفتح له السماء، ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، إلى العرش مقربو كل سماء فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه في عليين ويقول الرب -عز وجل-: ردوا عبدي إلى مضجعه فإني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيرد إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير[3] يثيران الأرض بأنيابهما، ويفحصان الأرض بأشعارهما فيجلسانه، ثم يقال له: يا هذا من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: صدقت، ثم يقال له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: صدقت، ثم يقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد رسول الله، فيقولان: صدقت، ثم يفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، طيب الريح حسن الثياب، فيقول: جزاك الله خيراً، فوالله ما علمت إن كنت لسريعًا في طاعة الله بطيئًا عن معصية الله، فيقول: وأنت جزاك الله خيرًا فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة، وإن الكافر إذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزلت عليه من السماء ملائكة[4] معهم كفن من النار وحنوط من نار، قال: فيجلسون منه مد بصره، وجاء ملك الموت فيجلس عند رأسه ثم قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى غضب الله، وسخطه فتفرق روحه في جسده كراهية أن تخرج لما ترى وتعاين، فيستخرجها

---

(١) فتنسل: فتتسرب ، فتسيل.

(٢) الثقلين: الإنس والجن.

(٣) وهما فئتان من الملائكة موكلون بامتحان الإنسان في قبره عند الفراغ من دفنه.

(٤) ولعلهم ملائكة العذاب.

**كما يستخرج السفود من الصوف المبلول، فإذا خرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والأرض إلا الثقلين، ثم يصعد به إلى السماء فتغلق دونه فيقول الرب -عز وجل- ردوا عبدي إلىمضجعه فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فترد روحه إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران في الأرض بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيجلسانه ثم يقولان، يا هذا من ربك؟ فيقول: لا أدري، فينادى من جانب القبر لا دريت، فيضربانه بمرزبة[1] من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين[2] لم تقل، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: جزاك الله شرًّا فوالله ما علمت إن كنت لبطيئًا عن طاعة الله ، سريعًا في معصية الله، فيقول: ومن أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث ، ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة»** . رواه الإمام أحمد ومحمود بن غيلان وغيرهما عن أبي النضر.

ففيه أن الأرواح تعاد إلى القبر، وأن الملكين يجلسان الميت ويستنطقانه.

ثم ساقه ابن منده من طريق محمد بن سلمة، عن خصيف الجزري، عن مجاهد، عن البراء بن عازب، قال: كنا في جنازة رجل من الأنصار ومعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**إن المؤمن إذا احتضر أتاه ملك الموت في أحسن صورة وأطيبه ريحا[3] فجلس عنده لقبض روحه، وأتاه ملكان بحنوط من الجنة، وكفن من الجنة، وكانا منه على بعد، فاستخرج ملك الموت روحه من جسده رشحًا، فإذا صارت إلى ملك الموت ابتدرها**

---

(١) المرزبة أو الإرزبة: المطرقة الكبيرة التي تكسر بها الحجارة.

(٢) الخافقان: الأفقان أي المشرق والمغرب.

(٣) ولعل الصواب: أطيبها ريحًا.

الملكان فأخذاها منه، فحنطاها بحنوط من الجنة ، وكفناها بكفن من الجنة، ثم عرجا به إلى الجنة، فتفتح له أبواب السماء، وتستبشر الملائكة بهـــا، ويقولون: لمن هذه الروح الطيبة التي فتحت لها أبواب السماء؟ ويســمى بأحسن الأسماء التي كان يسمى بها في الدنيا، فيقال: هذه روح فـــلان، فإذا صعــد بها إلى السماء شيعها مقربو كل سماء حتى توضع بين يــدي الله عند العرش فيخرج عملها من عليــين فيقــول الله -عــز وجــل- للمقربين: اشهدوا أني قد غفرت لصاحب هذا العمل ويختم كتابه فيرد في عليين، فيقول الله -عز وجل-: ردوا روح عبـــدي إلى الأرض، فـإني وعدتهم أني أردهم فيها، ثم قرأ: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنهـــا نخرجكم تارة أخرى﴾(١) فإذا وضع المؤمن في قبره فتح له باب عند رجليه إلى الجنة فيقال له: انظر إلى ما أعد الله لك من الثواب، ويفتح له بـــاب عند رأسه إلى النار، فيقال له: انظر ما صرف الله عنك من العذاب، ثـــم يقال له: نم قرير العين، فليس شيء أحب إليه من قيام الســاعة، وقــال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : إذا وضع المؤمن في لحده تقول لــه الأرض: إن كنت لحبيبًا إليّ وأنت على ظهري فكيف إذا صرت اليوم في بطني؟ سأريك ما أصنع بك، فيفسح له في قبره مد بصره، وقال رســول الله -صلى الله عليه وسلم- : إذا وضع الكافر في قبره أتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له : من ربك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لادريت، فيضربانه ضربة فيصير رمادًا ، ثم يعاد فيجلس فيقال له: ما قولك في هذا الرجل؟ فيقول: أي رجل؟ فيقولان: محمد -صلى الله عليـــه وســلم- فيقول: قال الناس: إنه رسول الله -صلى الله عليه وســلم- فيضربانــه ضربة فيصير رمادًا» .

هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفـــاظ، ولا

(١) سورة طه الآية ٥٥

نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم وتلقوه بـــالقبول وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عـــذاب القبر ونعيمه ومســـاءلة منكـــر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعهـــا إلى القـــبر، وقول أبي محمد: لم يروه غير زاذان فوهم منه، بل رواه عن البراء غـــير زاذان ورواه عنه عدي بن ثابت ، ومجاهد بن جبر ، ومحمد بن عقبة، وغـــيرهم، وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد، وزاذان من الثقات روى عـــن أكابر الصحابة كعمر وغيره وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين: ثقة وقال حميد بن هلال وقد سئل عنه: هو ثقة لا تسأل عن مثل هـــؤلاء، وقال ابن عدي: لا بأس بها إذا روى عن ثقة.

وقوله: إن المنهال بن عمرو تفرد بهذه الزيادة وهي قوله: فتعاد روحه في جسده. وضعفه. فالمنهال أحد الثقات العدول، قال ابن معين: المنهـــال ثقة. وقال العجلي: كوفي ثقة. وأعظم ما قيل فيه إنه سمع من بيته صـــوت غناء وهذا لا يوجب القدح في روايته، وإطراح حديثه[1] ، وتضعيف ابـــن حزم له لا شيء فإنه لم يذكر موجبًا لتضعيفه غير تفرده بقوله: فتعاد روحه في جسده. وقد بينا أنه لم يتفرد بها بل قد رواها غيره، وقد روى ما هـــو أبلغ منها أو نظيرها كقوله : فترد إليه روحه، وقوله: فتصير إلى قبره فيستوي جالسًا ، وقوله فيجلسانه، وقوله فيجلس في قبره، وكلها أحاديث صحاح لا مغمز فيها ، وقد أعل غيره بأن زاذان لم يسمعه من البراء ، وهـــذه العلـــة باطلة فإن أبا عوانة الإسفرائيني رواه في صحيحه بإسناد، وقال: عن أبـــي

---

(١) والغريب أن ابن حزم يعتبر أن الأحاديث الواردة في الغناء كلها مثخنة بـــالجراح ولم يصح منها واحد حتى حديث البخاري بسنده كما ورد في صحيحه، فـــلا ندري كيف ضعفه من هذه الناحية، والجدير بالذكر أن العلماء تعقبوا ابن حـــزم وخطّأوه في تضعيفه هذا وصححوا رواية البخاري ومنهم الشيخ العلامة نـــاصر الدين الألباني -رحمه الله- مؤخرًا في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

عمرو زاذان الكندي قال: سمعت البراء بن عازب، وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء.

ولو نزلنا عن حديث البراء فسائر الأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك مثل حديث ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، قال: فيقول ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولان فلان[1] فيقولون: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله -عز وجل- وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق[2] وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقولون: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنها لن تفتح لك أبواب السماء، فترسل بين السماء والأرض، فتصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا معوق، ثم يقال: فما كنت تقول في الإسلام، ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من قبل الله فآمنا وصدقنا**»... وذكر تمام الحديث.

قال الحافظ أبو نعيم: هذا حديث متفق على عدالة ناقليه، اتفق

(١) وفي نسخة فلان ابن فلان. ويشهد له ما سيرويه المؤلف لاحقًا عن أبي داود الطيالسي.

(٢) الغساق: البارد المنتن.

الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج، عن ابن أبي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد بن يسار وهم من شرطهما، ورواه المتقدمون الكبار عن ابن أبي ذئب مثل ابن أبي فديك وعبد الرحيم بن إبراهيم. انتهى. ورواه عن ابن أبي ذئب غير واحد.

وقد احتج أبو عبد الله بن منده على إعادة الروح إلى البدن بأن قال:

حدثنا محمد بن الحسين بن الحسن، حدثنا محمد بن زيد النيسابوري، حدثنا حماد بن قيرط، حدثنا محمد بن الفضل عن يزيد بن عبد الرحمن الصائغ البلخي ، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس أنه قال: بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم قاعد تلا هذه الآية: **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم﴾**[1] الآية قال: «**والذي نفس محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة أو النار، ثم قال: فإذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كأن وجوههم الشمس، فينظر إليهم ما ترى غيرهم وإن كنتم ترون أنهم ينظرون إليكم مع كل منهم أكفان، وحنوط، فإن كان مؤمنا بشروه بالجنة وقالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى رضوان الله وجنته فقد أعد الله لك من الكرامة ما هو خير من الدنيا وما فيها، فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فهم ألطف وأرأف من الوالدة بولدها ثم يسلون**[2] **روحه من تحت كل ظفر ومفصل، ويموت الأول فالأول، ويهون عليه وكنتم ترونه شديداً حتى تبلغ ذقنه ، قال : فلهي أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم، فيبتدرها كل ملك منهم أيهم يقبضها ، فيتولى قبضها ملك الموت، ثم تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾**[3] **فيتلقاها بأكفان بيض، ثم يحتضنها إليه، فهو أشد**

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣

(٢) سل الشيء من الشيء سلاً: انتزعه وأخرجه برفق.

(٣) سورة السجدة الآية ١١

**لزومًا لها من المرأة إذا ولدتها، ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون : مرحبًا بالروح الطيبة والروح الطيب ، اللهم صلِّ عليه روحًا وعلى جسد خرجت منه، قال: فيصعدون بها ولله -عز وجل- خلق في الهواء لا يعلم عدتهم إلا هو، فيفوح لهم منها ريح أطيب من المسك فيصلون عليها، ويتباشرون، ويفتح لهم أبواب السماء فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى ينتهي بها بين يدي الملك الجبار فيقول الجبار جل جلاله: مرحبًا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه، وإذا قال الرب -عز وجل- للشيء مرحبًا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه، وإذا قال الرب -عز وجل- للشيء مرحبًا رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق، ثم يقول لهذه النفس الطيبة: أدخلوها الجنة، وأروها مقعدها من الجنة، واعرضوا عليها ما أعددت لها من الكرامة والنعيم، ثم اذهبوا بها إلى الأرض فإني قضيت أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فوالذي نفس محمد بيده لهي أشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول: أين تذهبون بي إلى ذلك الجسد الذي كنت فيه؟ قال: فيقولون إنا مأمورون بهذا فلابد لك منه، فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله، وأكفانه، فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه»**.

فدل هذا الحديث أن الروح تعاد بين الجسد والأكفان، وهذا عود غير التعلق الذي كان لها في الدنيا بالبدن وهو نوع آخر، وغير تعلقها به حال النوم، وغير تعلقها به وهي في مقرها، بل هو عود خاص للمساءلة. قال شيخ الإسلام : الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس وأنكره الجمهور، وقابلهم آخرون فقالوا: السؤال للروح بلا بدن وهذا قاله ابن مرة، وابن حزم، وكلاهما غلط، والأحاديث الصحيحة ترده، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص.

## وهذا يتضح بجواب المسألة

**وهي قول السائل: هل عذاب القبر على النفس والبدن؟ أو على النفس دون البدن؟ أو على البدن دون النفس؟ وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب أو لا؟**

وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن. وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام، وفي المسألة أقوال شاذاة ليست من أقوال أهل السنة والحديث. قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وإن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان لكن يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور، لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون : إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معًا، وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم، وهو اختيار ابن حزم وابن مرة فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة، ويثبت المعاد، ويثبت معاد الأبدان والأرواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على الروح فقط.

الثاني: أنه عليها وعلى البدن بواسطتها.

الثالث: أنه على البدن فقط، وقد يضم إلى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الأبدان مطلقًا، وقول من ينكر عذاب الروح مطقًا.

فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ قول من يقول إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبي بكر وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قول باطل، وقد خالف أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة، والفلاسفة الإلهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام.

والقول الثالث الشاذ قول من يقول: إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى.

## أين توجد روح الميت التقي:

أين توجد روح الميت التقي؟ هل حقيقة توجد في الجنة أم أنها لا تذهب إليها إلا يوم القيامة؟

## الجواب:

قد ذكر صاحب كتاب الروح ما يتعلق بمستقر الأرواح بعد الموت ولنذكر لك محصل ما قال هو وغيره باختصار رحمهم الله -تعالى- وهو أنه

قد وقع اختلاف بين العلماء في مستقر أرواح المؤمنين لا فرق بين شـــهداء وغيرهم في مدة البرزخ وهي ما بعد الموت إلى البعث فمنهم من قال: إنهـــا عند الله -تعالى- في الجنة يتنعمون فيها بنعيمها إذا لم يحبسهم عنها كبـــيرة ولا دين ومنهم من قال: إنها بفناء الجنة على بابها يـــأتيهم مـــن روحهـــا ونعيمها ورزقها، ومنهم من قال: إنها على أفنية قبورها. ومنهم من قـــال: إنها في عليين مرسلة تذهب حيث شاءت من السماء والأرض. ومنهم مـــن قال: إنها في السماء السابعة ، ومنشأ هذا الخلاف ورود ما يدل لكل قـــول من الكتاب والسنـــة الصحيحة والآثـــار الصريحـــة والراجـــح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت على حسب تفاوتها في أعمالها في الدنيا ومنازلها عند الله -تعالى- أما أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهي في أعلى عليين في المـــلأ الأعلى وهو أعلى الجنان تحت العرش وهم فيه متفاوتون في منازلهم وأما أرواح الشهداء خصوصًـــا الصديقـــين وأكـــابر الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- ، وكذا بعض الناس من غير الصحابـــة فهي في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فيهـــا حيث شاءت ما لم يحبس بعضهم عنها (أي بعض الشهداء) بكبيرة أو ديـــن كما ورد في بعض الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن الأرواح من يكون مقره على باب الجنة في السماء السابعة تنظر إلى منازلها في الجنـــة ولكنها لا تدخلها إلى يوم القيامة ، ومنها يكون مقره في الأرض محبوســـة فيها لم تعل إلى المـــلأ الأعلى حيث كانت أرواحًا سفلية أرضية لم تتطهـــر من دنس المعاصي ولا تصلح لأن تجامع الأنفس السماوية حيث لم تجامعهـــا في الدنيا بالعلوم والمعارف والطاعات.

وفقنا الله جميعًا لما فيه رضاه وحفظنا من فتنة المحيا والممات إنه سميـــع

قريب مجيب الدعوات.

ولنذكرك بعضًا مما ورد من الأدلة من الكتاب والسنة والآثار ثم نبين لك أنه لا تعارض بينها ولذا كان الراجح في مستقر الأرواح ما علمت قال الله -تعالى-: ﴿**فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم**﴾. حيث ذكر ذلك سبحانه وتعالى عقيب خروج الروح من البدن بالموت. وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام مقربين وأخبر أنها في جنة نعيم، وأصحاب يمين وحكم لها بالسلامة وهو يتضمن سلامتها من العذاب، ومكذبة ضالة وأخبر أن لها نزلاً من حميم وتصلية جحيم. قالوا: وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعًا.

وقال تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾ وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا وهذا لا ينافي كونه يقال لها أيضًا عند البعث بشرى لها من الله تعالى في منازل الخوف.

وروى الإمام مالك رحمه الله تعالى. في موطئه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**» هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في مسنده والنسائي وغيره.

وأخرج أحمد والطبراني في الكبير بسند حسن عن أم هانئ أنها سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أفنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يكون النسم طيرًا معلقًا بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها**» وأخرج مسلم وغيره من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «**أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى**

**قناديل تحت العرش»** .

وأخرج أحمد وعبيد في مسنديهما والطبراني بسند حسن عن محمود بن عبيد عن ابن عباس مرفوعًا: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشيًا**» .

## روح القتيل

**س: يعتقد أناس وخاصة في الريف أن من مات قتيلاً يظهر له شبح في المكان الذي قتل فيه يمثل حركاته ونبرات صوته كما كان في الحياة، فهل لذلك أصل في الدين؟**

ج: هذه الخرافة سببها تقصير من السادة العلماء الفضلاء الذين يظهرون في وسائل الإعلام، وهذه خرافة نهى الدين عن اعتقادها وقد كان العرب يزعمون أن أرواح الموتى أو عظامهم التي بليت تصير طيرًا يسمى الهامة أو الصدى. وأن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير طيرًا يسمى الهامة أو الصدى فتزقوا عند قبره تقول: اسقوني وما يزال كذلك حتى يدرك ثأره فعند ذلك تطير ولا تعود. وقد بدد الإسلام هذه العقيدة فيما يرد من المزاعم والأوهام وبين الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أنه لا حقيقة لما يزعمون.

روى أبو هريرة أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة**» قال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها أطباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينهما فيجربها. فقال: «**فمن أعدى الأول؟**» رواه البخاري ومسلم.

ومراده بالنفي والنهي عن هذا الاعتقاد الباطل ووجوب تطهير العقول من هذا الوهم الكاذب ومنه ما يزعمه جهلة العوام من الصوفية مع غرار

تلك الخرافة العتيدة من ظهور روح القتيل في المكان الذي قتل فيها ذهابًا ومجيئًا بحركات تماثل ما كان عليه في حياته وكل هذا وهم وخيال منهي عن اعتقاده بدلالة هذا الحديث. والله أعلم[1] .



(١) انظر ص (١٢٣) فتاوى الشيخ حسنين مخلوف و (١٧٦) الفتاوى الأمينية.

# الفصل الثالث

## الأنبياء وملك الموت

# الأنبياء وهادم اللذات

## الله -عز وجل- يصطفي رسله وأنبياءه:

لقد خلق اللطيف الخبير هذا الكون بجميع كائناته من أجـل عبادتـه وحده ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[1].

وكان لابد من وسيلة تصل بها مشيئته وإرادته في إخلاص العبادة لـه إلى البشر ليعلموا أن لهذا الكون خالقًا، وأن هذا الخـالق القـادر حـري بالعبادة، وأن هذه العبادة لابد أن تتسم بقواعد ونظم لا يجوز الخروج عليها أو مخالفتها لما يستتبع ذلك من حساب وعقاب، ولكن كيف يتسنى للإنسان الضعيف أن يعلم كل هذه الأمور؟ وهل يحاسب الخالق العدل الحكيم الناس دون أن يرسل إليهم من يهديهم ويرشدهم إلى سـبل الحـق والرشـاد ويعلمهم أصول العبادة والإيمان بالله تعالى؟ من هنا بعث الله -عز وجـل- رسله وأنبياءه إلى البشر ينقلون إليهم بلغتهم كلام الله مبشـرين ومنذريـن بحسن عاقبة المؤمنين العابدين، ومنذرين بسوء عاقبة المكذبين الكافرين وحتى لا يكون للناس على الله حجة ويزعمون أنهم لم يأتهم نذير.

قال تعالى: ﴿**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمـن آمـن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون**﴾[2] ولما أراد العليم الخبير أن يعلم الناس أمـور دينهم ودنياهم ووسائل معاشهم ومحياهم، اصطفى من بين عبـاده النخبـة المميزة والنفوس الطاهرة والعقول النيرة والقلوب الصافيـة أشـخاصًا لم تشب حياتهم شائبة في علاقاتهم مع الناس ومع أنفسهم، هؤلاء المصطفون

---

(١) الذاريات ٥٦

(٢) الأنعام: ٤٨ - ٤٩

الأبرار يختارهم الله -تعالى- بحكمته وإرادته وعلى علم وخبرة وقدرة ليكونوا رسله لهداية الناس، وتعليمهم وإرشادهم، هؤلاء الأخيار من بني البشر هم أنبياء الله ورسله وأحباؤه، هم حاملو لواء الحق، ومشاعل الهداية.

قال السميع العليم: ﴿**الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير**﴾[1] فالله -تبارك وتعالى- يختار رسله من الملائكة إلى البشر ويختار رسله من البشر إلى الناس.

وأيد الله -عز وجل- رسله وأنبياءه بكل ما يحتاجون إليه لتأدية رسالاتهم من معجزات وخوارق إلهية وهيأ لهم الأسباب، وحفظهم من كل مكروه، وذلك بما يناسب كل مجموعة من البشر وكل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿**إنا أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورًا * ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليمًا**﴾[2] ولم تكن مهمة الرسل والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- بالمهمة الهينة، بل كانت طرقهم مزروعة بالصعاب الناشئة عن جهل بعض البشر بالأهداف السامية التي يدعون إليها ، وتشبث البعض الآخر بما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من عبادات وعادات تتنافى والعقل السليم، وغطرسة وجبروت الحكام وأولي الأمر خوفًا على سلطانهم وملكهم الزائل ، وقد ابتلى الله رسله ليثبت إيمانهم وليكونوا قدوة صالحة للمؤمنين.

## خصائص الأنبياء:

اختص الله رسله وأنبياءه بخصائص: قال رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) الحج: ٧٥

(٢) سورة النساء: ١٦٣-١٦٤

وسلم-: «**لم يبعث الله -عز وجل- نبيًّا إلا بلغة قومه**» .

(رواه الإمام أحمد عن أبي ذر)

وقال خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم-: «**النبي لا يورث**» .

(رواه أبو يعلى في مسنده عن حذيفة)

وقال إمام الخير -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا أراد الله تعالى أن يبعث نبيًا نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة فبعث خيرها رجلاً**» .

(رواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً)

وقال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «**ما بعث الله نبيًّا إلا شابًا**» .

رواه ابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة عن عبد الله بن عباس)

وقال أبو القاسم -صلى الله عليه وسلم-: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم، وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط**» .

(أخرجه البخاري كتاب الإجارة باب رعي الغنم وابن ماجه عن أبي هريرة)

وقال الشافع المشفع -صلى الله عليه وسلم-: «**الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**» .

(رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس)

وقال السراج المنير -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**»

(أخرجه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن عائشة).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم-: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعدة من الجنة ثم يخبر**» .

(أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة والإمام أحمد في مسنده عـــــن عائشة)

وقال الذي أوتي جوامع الكلم -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من نـــبي إلا دفن حيث يقبض**» .

(رواه ابن ماجه عن أبي بكر)

وقال صاحب الخلق العظيم -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الأنبيـــاء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكن يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور**» .

(رواه الحاكم في تاريخه والبيهقي في حياة الأنبياء عن أنس)

وقال النبي الأمي -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله تعالىحرم علـــــى الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»

(أخرجه ابن ماجه كتاب الجنائز والإمام أحمد وأبو دواد والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه عن أوس بن أوس)



## فضائل الأنبياء:

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**آدم في السماء الدنيا تعرض عليه أعمال ذريته، ويوسف في السماء الثانية، وابنا الخالة يحيى وعيسى في السماء الثالثة ، وإدريس في السماء الرابعة ، وهارون في السماء الخامسة، وموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة**».

(رواه ابن مردويه عن أبي سعيد).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى سبط -السبط: الممتد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء- كأنه رجال الزط- جنس من السودان والهنود- وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم -يعني نفسه -صلى الله عليه وسلم-**» .

أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء عن عبد الله بن عباس)

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**أول الرسل آدم وآخرهم محمد، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول من خط بالقلم إدريس**»

(رواه الحكيم عن أبي ذر الغفاري)

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**أول الأنبياء آدم ثم نوح وبينهما عشرة أنبياء، والصلاة خير مفروض من شاء استكثر منها، والصدقة أضعاف مضاعفة، والصيام جنة، قال تعالى: الصيام لي وأنا أجزي به، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأفضل الصدقة جهد من مقل -قدر ما يحتمله حال القليل المال- وسر إلى فقير، وأفضل الرقاب أغلاها ثمنًا**» رواه الطبراني في الأوسط عن أبي ذر الغفاري.

وقال -صلى الله عليه وسلم- : «**سيد الناس آدم، وسـيد العـرب محمد، وسيد الروم صهيب، وسيد الفرس سلمان، وسيد الحبشة بـلال، وسيد الجبال طور سيناء، وسيد الشجر السدر، وسيد الأشهر المحـرم، وسيد الأيام الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسـيد البقرة آية الكرسي، وأما فيها خمس كلمات في كل خمسون بركة**» .

(رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي)

وقال الذي جعلت له الأرض مسجداً وطهـوراً -صلـى الله عليـه وسلم- : «**رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم- الآدم مـن النـاس: الأسمر والجمع أدمان- طوالاً جعداً كأنه من رجال شـنوءة، ورأيـت عيسى رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكًا خازن النار والدجال**»[1].

وقال -صلى الله عليه وسلم- : «**إن الله اصطفى موسـى بـالكلام وإبراهيم بالخلة**»[2] .

وقال -صلى الله عليه وسلم- : «**قال يحيى بن زكريا لعيسـى بـن مريم: أنت روح الله وكلمته وأنت خير مني، فقال عيسى: بل أنت خـير مني، سلم الله عليك وسلمت على نفسي**»[3] .

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**نبي كان آدم، وبينه وبـين نـوح عشرة قرون، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والرسل ثلاثمائة وخمسـة عشر**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري والإمام أحمد.

(٢) رواه الحاكم.

(٣) رواه ابن عساكر.

(٤) الطبراني.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر، وآدم نبي مكلم**»[1] .

وسأل أبو أمامة النبي -عليه الصلاة والسلام-: يا رسول الله كم عدد الأنبياء؟ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**»[2] .

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**بعثت على أثر ثمانية آلاف من الأنبياء منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل**».

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد**»[3].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**إني خاتم ألف نبي أو أكثر**»[4].

## الأنبياء صلوات الله عليهم وملك الموت

### آدم -عليه السلام-:

كان آدم -عليه السلام- نبيًّا مكلمًا، وكان ابنه شيث -هبة الله- نبيًّا.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف على شيث خمسين صحيفة ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك**». ويقال إن أنساب بني آدم اليوم كلها

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي.

(٢) رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي.

(٣) رواه ابن عساكر.

(٤) رواه ابن سعد والحاكم.

تنتهي إلى شيث، وسائر أولاد آدم -عليه السلام- غيره انقرضوا وبادوا... والله أعلم.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أوحى الله تعالى إلى آدم فقال: يا آدم حج هذا البيت قبل أن يحدث عليك حدث، قال: وما يحدث عليّ يا رب؟ قال: ما لا تدري وهو الموت، قال: وما الموت؟ قال: سوف تذوقه**» رواه الديلمي عن أنس.

وإن آدم -عليه السلام- لماحضره الموت قال لبنيه: أي بني، إني أشتهي من ثمار الجنة فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفئوس والمساحي والمكاتل-أدوات الحفر والدفن- فقالوا لهم: يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون؟ قالوا: أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة. فقالوا لهم: ارجعوا فقد قضي أبوكم. فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم فقال: إليك عني، فإني إنما أتيت من قبلك فخلي بيني وبين ملائكة ربي -عز وجل-.

فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه، وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه، كبرت الملائكة على آدم أربعًا، ثم أدخلوه قبره فوضعوه في قبره، ثم حثوا عليه، ثم قالوا: يا بني آدم هذه سنتكم في موتاكم وهذا سبيلكم. رواه عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبي بن كعب.

## أين دفن آدم -عليه السلام-؟

اختلف في موضع دفنه، فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط عليه في الهند. وقيل: بجبل أبي قبيس بمكة. ويقال: إن نوحًا -عليه السلام- لما كان الطوفان حمله هو وحواء ماتت حواء بعد آدم بسنة واحدة في تابوت فدفنهما ببيت المقدس. رواه ابن جرير.

قال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «**لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترًا، وألحدوا -اللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر**

**لوضع الميت-، له وقالوا: هذه سـنة آدم في ولـده**» رواه الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب.

وقال الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم-: «**إن آدم غسلته الملائكة بماء وسدر، وكفنوه، وألحدوا له ودفنوه وقالوا: هذه سنتكم يا بني آدم في موتاكم**» رواه الطبراني في الأوسط عن أبي.

## كم كان عمر آدم -عليه السلام-؟

اختلف في مقدار عمره -عليه السلام- فقال ابن عباس وأبو هريرة: إن عمره في اللوح المحفوظ ألف سنة.

وهذا لا يعارضه ما جاء في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة، لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود، إذ خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم -صلى الله عليه وسلم-.

وأيضًا فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث، فإن ما في التوراة -إن كان محفوظًا- محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط وذلك تسعمائة سنة وثلاثون سنة شمسية، وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة، ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الإهباط فيكون عمره ألف سنة. رواه ابن جرير.

ولما مات آدم -عليه السلام- بكت الخلائق عليه سبعة أيام. رواه ابن عساكر.

ولما مات آدم -عليه السلام- قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث -عليه السلام-.

## إدريس -عليه السلام-:

قام بالأمر بعد آدم -عليه السلام- ابنه شيث.. ثم بعده ولده قينن ثم من بعده ابنه مهلابيل فلما مات قام بالأمر بعده ابنه يرد الذي لما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده أخنوخ وهو إدريس -عليه السلام-.

قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقًا نبيًّا * ورفعناه مكانًا عليًّا﴾[1] .

فإدريس -عليه السلام- قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة**» .

وإدريس -عليه السلام- أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان لا يغرز إبرة، إلا قال: سبحان الله.

فكان يمسى وليس في الأرض أحد أفضل عملاً منه، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله -تعالى-.

## إدريس في السماء:

لما أسري برسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء رأى إمام المرسلين -صلى الله عليه وسلم- في السماء الرابعة إدريس[2] .

وإدريس أول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وقيل: إن الله أوحى إلى إدريس: إني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم -لعله من أهل زمانه- فأحب إدريس أن يزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة فقال له: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فكلم ملك الموت حتى أزداد عملاً. فحمله بين جناحيه ثم صعد إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً، فكلم ملك الموت في الذي فيه إدريس فقال: وأين إدريس؟ قال الملك: هو ذا على ظهري. فقال ملك الموت: ياللعجب بعثت -أرسلت- وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول:

---

(١) مريم: ٥٦ - ٥٧

(٢) رواه مسلم.

كيف روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه .. فذلك قول الله -تعالى-: ﴿ورفعناه مكانًا عليًّا﴾(١) .

وقيل: إن إدريس قال لذلك الملك: سل لي ملك الموت كم بقي من عمري؟ فسأله وهو معه - كان يحمله بين جناحيه -: كم بقي من عمره؟ قال ملك الموت: لا أدري حتى أنظر. فنظر... فقال: إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر(٢) .

وقيل: إن إدريس -عليه السلام- نام ذات يوم واشتد عليه حر الشمس فقام وهو منها -الشمس- في كرب فقال: اللهم خفف عن ملك الشمس حرها وأعنه على ثقلها فإنه يمارس نارًا حامية. فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون أمره أو عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس: يا رب من أين لي هذا؟ قال تبارك وتعالى: دعا لك رجل من بني آدم يقال له: إدريس. فسأل ملك الشمس إدريس: أتريد حاجة؟ قال إدريس -عليه السلام-: نعم وددت لو رأيت الجنة، فرفعه على جناحه ثم طار به فبينما هو في السماء الرابعة التقى ملك الشمس بملك الموت فسلم عليه ملك الشمس، وقال: يا إدريس هذا ملك الموت فسلم عليه. فقال ملك الموت: سبحان الله، ولأي معنى رفعته إلى هنا؟ قال ملك الشمس: رفعته لأريه الجنة، قال ملك الموت: فإن الله -تعالى- أمرني أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة قلت: يا رب وأين إدريس من السماء الرابعة؟ فنزلت فإذا هو معك.

فقبض ملك الموت روح إدريس -عليه السلام- فرفعها إلى الجنة:

(١) ابن جرير.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

﴿ورفعناه مكانًا عليًّا﴾ ذكره السدي.

## نوح -عليه السلام- وملك الموت:

ولد نوح -عليه السلام- بعد وفاة آدم -عليه السلام- بمائة وست وعشرين سنة[١].

## كان نوح -عليه السلام- (عبدًا شكورًا):

فقد كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فكان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء لأجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لأظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني، وإذا احتذى قال: الحمد لله الذي حذاني -الحذاء: النعل- ولو شاء لأحفاني، وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج مني الأذى ولو شاء لحبسه في.

وقيل: كان شكره إذا أكل قال: باسم الله، وإذا فرغ من الأكل قال: الحمد لله. فكان يحمد الله على طعامه ﴿إن كان عبدًا شكورًا﴾[٢].

قال خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله ليرضى من العبد أن ياكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**» رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك.

## وصية نوح -عليه السلام- لابنه عند الموت:

قال نوح -عليه السلام- لابنه لما حضرته الوفاة: إني قاص عليك وصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن

---

(١) ابن جرير.

(٢) الإسراء الآية ٣٣

في حلقة مبهمة ضمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإن بها صلات كل شيء، وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر. رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو.

يقول عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: إنه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة وإنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لما بعث الله نوحًا إلى قومه -بني راسب- وهو ابن خمسين ومائتي سنة فلبث في قومه ألفًا إلا خمسين عامًا، وبقي بعد الطوفان خمسين ومائتي سنة، فلما أتاه ملك الموت قال: يا نوح يا أكبر الأنبياء يا طويل العمر ويا مجاب الدعوات، كيف رأيت الدنيا؟ قال: مثل رجل بُني له بيت له بابان، فدخل من واحد، وخرج من الآخر**»[1] .

## إبراهيم -عليه السلام-

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور، خليل الرحمن، أبو الضيفان-أول من قرى الضيف- وأول الناس قص شاربه، وأول الناس اختتن وأول الناس رأى الشيب فقال: يا رب ما هذا؟ فقال الله -عز وجل-: وقار. فقال خليل الرحمن: يا رب زدني وقارًا. وأول من استحد، وأول من لبس السراويل.

## إبراهيم -عليه السلام- وملك الموت:

كان إبراهيم -عليه السلام- كثير الطعام يطعم الناس، ويضيفهم، فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ كبير يمشي في الحرة، فبعث إليه بحمار،

---

(١) رواه ابن عساكر.

فركبه حتى إذا أتاه أطعمه، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره، وكان إبراهيم -عليه السلام- قد سأل ربه -عز وجل- ألا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى: ما بك يا شيخ تصنع هذا؟ قال الشيخ: الكبر.

فتساءل إبراهيم -عليه السلام- ابن كم أنت؟ فزاد الشيخ على عمر إبراهيم سنتين.. فقال إبراهيم -عليه السلام-: إنما بيني وبينك سنتان، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك. قال الشيخ: نعم. قال إبراهيم -عليه السلام-: اللهم اقبضني إليك قبل ذلك. فقام الشيخ فقبض روحه ... وكان ملك الموت. رواه ابن جرير.

## كم كان عمر إبراهيم -عليه السلام- حين قبض؟

لما مات إبراهيم -عليه السلام- كان موته وهو ابن مائتي سنة.

وقيل: ابن مائة وخمس وسبعين سنة.

## قبر إبراهيم -عليه السلام-:

دفن خليل الرحمن عند قبر سارة -زوجه -في مزرعة حبرون -البلد المعروف بالخليل -اليوم-. وروى ابن عساكر أنه وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة خلقة:

**إلهي جهولاً أمله *** يموت من جاء أجله**

**ومن دنا من حتفه *** لم تغن عنه حيله**

**وكيف يبقى آخرا *** من مات عنه أوله**

**والمرء لا يصحبه *** في القبر إلا عمله**

## موسى وهارون ابني عمران -عليهما السلام-

بعث الله -عز وجل- موسى وأخاه هارون إلى فرعون وخص السميع العليم موسى بكلامه فكان كليم الله.

## هارون -عليه السلام- والموت:

إن الله -تبارك وتعالى- أوحى إلى موسى أني متوف هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل، فإذا هما بشجرة لم ير مثلها ، وإذا هما ببيت مبني ، وإذا هما بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه فقال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير. قال له موسى -عليه السلام-: فنم عليه، قال هارون -عليه السلام-: إن أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ. قال له موسى -عليه السلام-: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت، فنم. قال هارون -عليه السلام-: يا موسى بل نم معي، فإذا جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعًا. فلما ناما أخذ هارون الموت... فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني. فلما قبض هارون -عليه السلام- رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء.

## بنو إسرائيل يرمون كليم الله بقتل أخيه:

لما رجع موسى -عليه السلام- إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتل هارون وحسده على حب بني إسرائيل له. وكان هارون -عليه السلام- أكف عنهم وألين لهم من موسى، وكان في موسى -عليه السلام- بعض الغلظة عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم كان أخي أفترونى أقتله؟ فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض. فصدق بنو إسرائيل موسى -عليه السلام-[1].

---

(١) رواه السدي.

وقيل: لما دفن هارون -عليه السلام- انصرف موسى -عليه السلام- إلى بني إسرائيل فقالوا: ما فعل هارون؟ قال كليم الله: مات. قالوا: كذبت ولكنك قتلته لحبنا إياه. وكان محببًا في بني إسرائيل، فتضرع موسى -عليه السلام- إلى ربه، وشكا ما لقي من بني إسرائيل، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره، فإني باعثه حتى يخبرهم أنه مات موتًا و لم تقتله.

فانطلق موسى -عليه السلام- ببني إسرائيل إلى قبر هارون -عليه السلام- فنادى: يا هارون، فخرج من قبره ينفض رأسه. فتساءل موسى -عليه السلام- أنا قتلتك؟ قال هارون -عليه السلام-: لا، والله ولكني مت. قال موسى -عليه السلام-: فعد إلى مضجعك، وانصرفوا.

## موسى -عليه السلام- وملك الموت:

كره كليم الله الموت وأعظمه، وكان ملك الموت يأتي الناس عيانًا فأتى موسى فلما وجده في بيته فغضب موسى -عليه السلام- وكان من أعظم الناس غضبًا، لكنه سريع الفيئة كان إذا غضب طلع الدخان من

قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته، فقال الرجل: أجب ربك. فعرف موسى -عليه السلام- أنه ملك الموت فقال محتجًا: من أين تنزع روحي؟ أمن فمي وقد ناجيت به ربي؟ أم من سمعي وقد سمعت به كلام ربي؟ أم من يدي وقد قبضت منه الألواح ؟ أم من قدمي وقد قمت بين يديه أكلمه بالطور؟ أم من عيني وقد أشرق وجهي لنوره؟. فرجع ملك الموت إلى ربه مفحمًا. وجاء

ملك الموت إلى موسى -عليه السلام- فلطمه ففقأ عينه، فعرج ملك الموت فقال: يا رب إن عبدك موسى فعل بي كذا وكذا ولولا كرامته عليك لشققت عليه[1].

إن ملك الموت لما أتى موسى -عليه السلام- لم يعرفه كما جاء جبريل -عليه السلام- مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- في صورة أعرابي وسأل

---

(١) رواه الحاكم.

عن الساعة والإيمان والإحسان و...، وكما وردت الملائكة على إبراهيم ولوط -عليهما السلام- في صورة شباب، وكذلك موسى لعله لم يعرفه لذلك لطمه ففقأ عينه لأنه دخل داره بغير إذن، وهذا موافق لشريعتنا في جواز فقء عين من نظر في دارك بغير إذن.

وأراد العزيز الحكيم أن يحبب إلى موسى -عليه السلام- الموت ويكره إليه الحياة، فحولت النبوة إلى يوشع بن نون، فكان يغدو عليه ويروح فيقول موسى -عليه السلام- لفتاه: يا نبي الله ما أحدث الله إليك؟ فيقول له يوشع ابن نون: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة؟ فهل كنت أي شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدئ به وتذكره؟

فلا يذكر له شيئًا فلما رأى موسى -عليه السلام- ذلك كره الحياة وأحب الموت. وكان موسى عليه السلام يستظل في عريش -ظل عريش- ويأكل ويشرب في نقير من حجر، إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرع الدابة في ذلك النقير، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت. وخرج صفي الله يومًا من عريشه ذلك لبعض حاجته -حاجاته- لا يعلم به أحد من خلق الله فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرًا -حفرًا- فعرفهم وأقبل عليهم، فإذا هم يحفرون قبرًا لم ير شيئًا قط أحسن منه، ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا: نحفره لرجل كريم على ربه.

قال كليم الله: إن هذا العبد من الله لبمنزل، ما رأيت كاليوم مضجعًا، ولا مدخلاً. قالت له الملائكة: يا صفي الله أتحب أن يكون لك؟ قال موسى -عليه السلام-: وددت. قالوا: فأنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربك، ثم تنفس أسهل تنفس تنفسه قط. فنزل فيه، وتوجه إلى ربه، ثم تنفس فقبض الله -تعالى- روحه ، ثم سوت عليه الملائكة، وكان كليم الله زاهدًا في الدنيا راغبًا فيما عند الله.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى الله فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني، فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل: آلحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور -جلد ثور- فما وارت يدك من شعر ذلك تعيش بها - فله بكل شعرة وارتها كفه سنة- قال موسى: ثم مه؟ قال ملك الموت: ثم تموت، قال: فالآن من قريب. قال: أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر**»[1] .

## قبر كليم الله:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما اطلع أحد على قبر موسى إلا الرخمة -طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة وجمعه رخم- فنزع الله عقلها لكي لا تدل عليه**» رواه ابن عساكر عن محمد بن إسحاق.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**مررت ليلة أسري بي على موسى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره**»[2] .

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الأنبياء يتكاثرون بأممهم وكثرتهم إلا موسى بن عمران وإني لأرجو أن أكثره، ولقد أعطي موسى بن عمران ثلاث خصلات لم يعطهن نبي : إنه مكث يناجي ربه أربعين يوماً ولا ينبغي للمتناجين أن يتناجيا أطول من نجواهما، وإن ربك توحد بدفنه فلم يطلع عليه أحد، وهو يوم يصعق الناس قائم عند العرش لا يصعق معهم**»[3].

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي.

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن خزيمة والطبراني.

(٣) رواه الطبراني والحاكم.

## داواد -عليه السلام- وملك الموت:

دخل ملك الموت على داود -عليه السلام- فسأله: من أنت؟ قال: من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا -الرشوة-. قال داود -عليه السلام-: فإذاً أنت ملك الموت. قال: نعم، قال داود -عليه السلام-: أتيتني و لم استعد بعد؟ ، قال ملك الموت: يا داود أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟، قال داود -عليه السلام-: مات. قال ملك الموت: أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد؟.

وقيل: النذير الحمى.

ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**الحمى نذير الموت -أي رائد الموت-**».

فالحمى رسول الموت أي كأنها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه.

وقيل: موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان وذلك إنذار الرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**كان داود -عليه السلام- فيه غيرة شديدة وكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم وغلقت الأبواب فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة ؟ والله لتفتضحن بداود ، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله. فزمل -لف بثوبه- داود مكانه حيث قبضت نفسه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير:**

**اقبضي جناحًا جناحًا، وغلبت عليه يومئذ المضرحية -ضرح من الضرح الشق في الأرض-»[1].**

وقال السدي عن أبي مالك: مات داود -عليه السلام- وهو ابن مائة سنة، ومات يوم الأربعاء فجأة.

وقيل: إن الناس حضروا جنازة داود -عليه السلام- فجلسوا في الشمس في يوم صائف، وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس، ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون -عليهما السلام- أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعًا عليه منهم على داود، فأذاهم الحر فنادوا سليمان -عليه السلام- أن يعمل لهم وقاية لما أصابهم من الحر، فخرج سليمان -عليه السلام- فنادى الطير، فأجابت فأمرها أن تظل الناس، فتراص بعضها إلى بعضها من كل وجه، حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غمًا، فصاحوا إلى سليمان -عليه السلام- من الغم، فخرج سليمان -عليه السلام- فنادى الطير: أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي من ناحية الريح ففعلت فكان الناس في ظل تهب عليهم الريح، فكان ذلك أول ما رأوه -بنو إسرائيل- من ملك سليمان -عليه السلام-.

## سليمان -عليه السلام- وملك الموت:

دعا سليمان بن داود -عليهما السلام- الله تبارك وتعالى أن يريه ملك الموت، وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه، فبينما هو قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير لم يره أحد إلا سليمان -عليه السلام- كان في أتم خلقٍ، فقال سليمان -عليه السلام-: يا عبد الله ما

---

(١) رواه أحمد.

أدخلك داري؟ قال: أدخلني من أملك لها منك ومني. فعلم عند ذلك أنه من ملائكة الله، فقال له: من أنت من ملائكة ربي؟ قال: أنا ملك الموت.

فسمعوا من كلامه جلبة فصعق سليمان -عليه السلام- من خوفه ومن كان معه في الدار، فقال ملك الموت-عليه السلام-: يـــا رب، إن عبـــدك سليمان ونبيك سألك أن تأذن لي بالدخول عليه وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى، فألبسه من القوة ما يطيق النظر إلي.

فأوحى الله -تعالى- إلىملك الموت أن ضع يدك في صدر سليمان... ففعل، فأفاق سليمان -عليه السلام- ومن معه بإذن الله.

قال سليمان -عليه السلام-: يا ملك المـــوت، أتـــرى خلـــق الله في السماوات والأرض مثلك؟ قال ملك الموت -عليه السلام-: يـــا نـــبي الله، والذي بعثك بالحق إن رجلي الساعة على منكبي ملك، وذلك الملـــك هـــو الموت، قد خرق قرناه السماوات السبع، وارتفع فوق ذلك مسيرة ألف عام، ورجلاه قد جاوزا الثرى بخمسمائة عام فاتحًا فاه رافعًـــا صوتـــه بـــالتهليل والتقديس والتسبيح باسطًا يديه ، لو أذن الله له أن يقبضهما إلى صدره لضم السماوات وما فيهن وما عليهن ما خلا العرش، وأن فوقه ملكًا قائمًا قـــد أدخل رجليه تحت منكبي هذا الملك، وهذا من فوقه مسيرة ألف عام فاتحًـــا فاه، وإن شفته العليا ملتصقة بالعرش والسفلى تحت الـــثرى، لـــو أذن الله -تعالى- له أن يضع شفته العليا على السفلى لأطبق ما بينهما في جوفه، وإن لله ملكًا عنقه مثني تحت العرش. رجلاه قد جاوزتا رجلي هذيـــن الملكـــين مسيرة ألف عام يخرج الريح من أنفه لو أذن الله له أن يتنفس لأدخل جميـــع خلق الله في السموات والأرضين في نفسه سوى العرش. إن هؤلاء الملائكـــة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل، وإن لله ملكًا باسطًا كفه اليمنى منـــذ خلقـــه الله

-تعالى- رافعًا صوته بالتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض على جميع الخلائق ما خلا العرش.

فقال سليمان بن داود -عليهما السلام-: يا ملك الموت اكفف عني فلقد وصفت أمرًا أتخوف أن تطير روحي، ولا تثبت نفسي، ولا أطيق سماعه. فكف ملك الموت -عليه السلام- فعندها قال سليمان -عليه السلام-: يا رب، متى ألتقى مع الأحباب؟ يا رب، قد أحببت لقاءك والراحة من الدنيا.

وصار سليمان -عليه السلام- وملك الموت صديقين فسأل سليمان -عليه السلام- ملك الموت -عليه السلام- يومًا آية موته، فقال ملك الموت: أن تخرج من موضع سجودك شجرة يقال لها الخرنوبة. فلم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيسألها نبي الله سليمان - عليه السلام-: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا . فيقول سليمان -عليه السلام-: ولأي شيء أنت؟ فتقول لكذا ولكذا. فيأمر بقطعها، ويغرسها في بستان له، ويأمر بكتب منافعها ومضارها واسمها وما تصلح له في الطب.

وذات يوم وبينما سليمان بن داود -عليهما السلام- يصلي إذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة. قال سليمان -عليه السلام-: ولأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا المسجد. فقال سليمان -عليه السلام-: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكي وهلاك بيت المقدس. فنزعها وغرسها في بستانه ثم قال: اللهم عم عن الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب.

ولبس سليمان بن داود -عليهما السلام- كفنه وتحنط ودخل المحراب، وقام يصلي واتكأ على عصاه على كرسيه، فمات... ولم تعلم الجن إلى أن مضت سنة وتم بناء المسجد أن سليمان -عليه السلام- قد مات.

# موت الخضر وإلياس -عليهما السلام-

## ١- قول الإمام القرطبي(١) :

ذهب الجمهور من الناس إلى أن الخضر مات وقالت فرقة حي لأنه شرب من عين الحياة، وأنه باق في الأرض، وأنه يحج البيت ، قال ابن عطية: وقد أطنب النقاش في هذا المعنى، وذكر في كتابه أشياء كثيرة عن عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- وغيره، وكلها لا تقوم على ساق ولو كان الخضر -عليه السلام- حيًّا يحج لكان له في ملة الإسلام ظهور ، والله العليم بتفاصيل الأشياء لا رب غيره ، ومما يقضي بموت الخضر -عليه السلام- الآن قول النبي -صلى الله عليه وسلم - : «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**» .

قلت: إلى هذا ذهب البخاري واختاره القاضي أبو بكر بن العربي.

والحديث خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة صلاة العشاء في آخر أيام حياته فلما سلم قام فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**».

ورواه أيضًا من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول قبل أن يموت بشهر:«**تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة(٢) تأتي عليها مائة سنة**» .

وفي أخرى قال سالم: تذاكرنا أنها هي مخلوقة يومئذ وفي أخرى: (ما من منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ).

---

(١) تفسير القرطبي (ص٤٠٨٠/ج٦).

(٢) مولودة.

وحاصل ما تضمنه هذا الحديث أنه -عليه الصلاة والسلام- أخبر قبل موته بشهر أن كل من كان من بني آدم موجوداً في ذلك لا يزيد عمره عن مائة سنة . لقوله - صلى الله عليه وسلم-: «**ما من نفس منفوسة**»

وهذا اللفظ لا يتناول الملائكة ولا الجن إذ لم يصح عنهم أنهم كذلك، ولا الحيوان غير العاقل ، لقوله: «**ممن هو على الأرض أحد**» وهذا إنما يقال بأصل وضعه على ما يفعل، فيتعين أن المراد بنو آدم.

ثم نقل الإمام[1] كلاماً طويلاً بدون دليل وبدون معنى عن حياة الخضر وهذا الذي نقله لا يصدقه ذولب فارجع إليه إن شئت.

قال السهيلي: واختلف في اسم الخضر اختلافًا متباينًا، فعن ابن منبه أنه قال: إيليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح -عليه السلام- وقيل: هو ابن عاصيل بن سماقحين بن أريا بن علقما بن عصو بن إسحاق -عليه السلام- وإن أباه كان ملكًا، وأن أمه كانت بنت فارس واسمها ألمى ، وأنها ولدته في مغارة وأنه وجد هناك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية، فأخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب الملك -أبوه- كاتبًا وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي أنزلت على إبراهيم وشيث -عليهما السلام- كان فمن أقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه، فلما استحسن خطه ومعرفته، وبحث عن جلية أمره عرف أنه ابنه فضمه إلى نفسه وولاه أمر الناس، ثم إن الخضر فر من الملك لأسباب يطول شرحها.

وقال الإمام البخاري وطائفة من أهل الحديث منهم شيخنا أبو بكر ابن العربي -رحم الله الجميع- أنه مات قبل انقضاء المائة سنة من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إلى رأس مائة عام لا يبقى على هذه الأرض ممن هو عليها أحد**» يعني: من كان حيًّا حين قال هذه المقالة. اهـ.

---

(١) القرطبي (ص٤٠٨٢-٤٠٨٣/ج٦).

## ٢- قول صاحب صفوة التفاسير:

﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾[1] أي وما جعلنا لأحد من البشر قبلك يا محمد البقاء الدائم والخلود في الدنيا ﴿**أفإن مت فهم الخالدون**﴾ أي فهل إذا مت يا محمد سيخلدون بعدك في هذه الحياة؟ لا، لن يكون لهم ذلك بل كل إلى الفناء، قال المفسرون: هذا رد لقول المشركين: ﴿**شاعر نتربص به ريب المنون**﴾. فأعلم -تعالى- بأن الأنبياء -عليهم السلام- قبله ماتوا وتولى الله -تعالى- دينه بالنصر والحياطة، فهكذا نحفظ دينك وشرعك ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ أي كل مخلوق إلى الفناء ولا يدوم إلا الحي القيوم ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾ أي ونختبركم بالمصائب والنعم لنرى الشاكر من الكافر، والصابر من القانط، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، وقال ابن زيد: نخبركم بما تحبون لنرى كيف شكركم، وبما تكرهون لنرى كيف صبركم[2] ﴿**وإلينا ترجعون**﴾ أي وإلينا مرجعكم فنجازيكم بأعمالكم.اهـ.

## ٣- قول صاحب تفسير أبي السعود:

﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ أي في الدنيا لكونه مخالفًا للحكمة التكوينية والتشريعية ﴿**أفإن مت**﴾ بمقتضى حكمتنا ﴿**فهم الخالدون**﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لإنكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك

---

(١) الأنبياء: ٣٤ - ٣٥

(٢) تفسير أبي السعود (ص ٦٦/ج٦).

والمراد بإنكار خلودهم ونفيه إنكار ما هو مدار له وجودًا وعدمًا من شماتتهم بموته -صلى الله عليه وسلم- فإن الشماتة بما يعتريه أيضًا لا ينبغي أن يصدر عن العاقل كأنه قيل: أفإن مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ ﴿**ونبلوكم**﴾ الخطاب إما للناس كافة بطريقة التلوين أو للكفرة بطريق الالتفات أي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون أو لا. ﴿**فتنة**﴾ مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه ﴿**وإلينا ترجعون**﴾ لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكًا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال فهو على الأول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريف للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات. اهـ.

## ٤- بحث في موضوع إلياس والخضر -عليهما السلام-(١)

﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا**﴾(٢) نحمده سبحانه حيث أنزل إلينا: ﴿**كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون**﴾(٣) له الحمد سبحانه ذلك بقوله: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾(٤) ثم الحمد لله كل الحمد، حيث تعهد بحفظ القرآن، ولم يوكل ذلك إلى غيره، وأرسل إلينا خاتم أنبيائه وخاصة رسله وأصفيائه سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، الذي جاهد حتى أتاه اليقين، بلغ رسالة ربه

---

(١) أخذناه من مجلة التوحيد، لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية، الإعداد: جمادى الآخرة ورجب وشوال ١٤٢٠هـ، وأوصيك عزيزي القارئ قراءته بتدبر وعلى مهل لأنه بحث شيق جدًا ومفيد.

(٢) الكهف: ١

(٣) فصلت: ٣

(٤) الأنعام: ٣٨

ونصح لقومه، شرح لهم الدين وبينه لهم أوضح تبيين، وفصل لهم حقائقـــه، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[1] .

وأشهد أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- اختار الرفيق الأعلى بعـــد أن أكمل رسالته وأتم أركانها، وأحل حلالها وحرم حرامها، وأقـــر منهجهـــا ومهد طريقها، وماترك سبيلاً يقرب إلى الله -تعالى- إلا ودلنا عليه، ومـــا خاف على أمته من ذنب صغير أو كبير إلا وحذرها منه، وأشهد أصحابـــه على ذلك يوم الحج الأكبر، فشهدوا أنهم تلقوا عنه الدين واضحًا جليًّـــا لا لبس فيـــه ولا غموض، ليله كنهاره، فما ترك أمته إلا على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، اللهم صل وسلم وبارك على سيد ولد آدم المبعوث رحمة للعالمين، الشفيع يوم الهول الأكبر، صاحب لواء الحمد يوم المثول بـــين يدي الله -عز وجل- والعرض، فاللهم اجز عنا نبيك أفضل ما جزيت نبيًّـــا عن قومـــه، واحشرنا يا مولانا في زمرته وتحت لوائه، وصل اللهـــم عليـــه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فقصة موسى والخضر -عليهما السلام- من القصص الغنية التي شغلت المسلمين عامة، والصوفية والباطنية خاصة، حتى جعلوا منها عمود الرحـــى الذي تدور حوله أفكارهم ومعتقداتهم، بل إنهم قسموا الدين إلى ظـــاهر وباطن، اعتمادًا على الوقائع التي أجراها الله -تبارك وتعالى- علـــى يـــدي العبـــد الصالح، وقد شغلتني هذه القصة منذ سنة ١٩٧١م، كمـــا شـــغلت غيري من السالكين إلى الله -عز وجل- وكان يشدني أي كتاب يتنـــاول هذه القصة ، وقـــد اطلعت على أكثر الكتب المطبوعة للمؤلفين المعاصرين أو القدامى مثل: (الزهر النضر في نبأ الخضر)، و(الخضر عليه السلام وشأنه في الأنام) لحسين السلواوي، و(حياة الخضر) لمحمود شلبي، وغيرهما ممـــا لا

---

(١) النحل: ٤٤

يتسع المجال لحصرها، بخلاف أمهات الكتب التي بحثت الموضوع من جوانب متعددة ، وكانت تستوقفني أخبار هذا اللقاء المتناثرة في أمهات كتب التفسير والحديث الشريف وكتب الرقائق والتصوف وغيرها ، وقد لاحظت أن هذه الكتب تتناول القصة مجردة عن النتائج التي بنيت عليها ، كما أن مؤلفيها إما صوفي مؤيد لحياة الخضر وولايته ، وإما منكر معارض للصوفية ، ولم أجد في هذه الكتب ما يشفي غليلي ويغطي جوانبه بما يحسم القضية ، وهذا لا يتأتى إلا بمناقشة أفكار كل طرف وأدلته، وقياسها على هدي الكتاب والسنة، ثم مناقشة الآثار المترتبة على هذه الأفكار.

وقد بدأ اهتمامي بهذه القصة لأنها تمثل حجر الأساس عند الصوفية، وكل من يعتقد بتقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، ومن أهم عناصر هذه القصة معرفة من هو الخضر ؟ وهل هو حي حتى اليوم؟ وما هي مهمته؟ أهو نبي أو ولي؟ وما الهدف من لقائه موسى؟ وبالتالي ما هو العلم اللدني؟.

وسنتناول بتوفيق الله -تعالى- هذه الأسئلة بالدراسة والتحليل حتى نصل إلى البيان الموافق لفهم السلف الصالح عن هذه القضايا.

## أولاً: اسم العبد الصالح:

ولتكن بداية دراستنا هذه المعرفة اسم العبد الصالح، والمعروف أن القرآن الكريم لم يذكر اسمًا للعبد الذي لقى موسى عليه السلام، وإنما أشارت الآيات إلى وصفه بالصلاح واختصاصه بعلم من لدن الحق -تبارك وتعالى- ، في حين نصت السنة النبوية المطهرة أن اسمه الخضر، وسبب تسميته يرويه البخاري وأحمد والترمذي وابن حبان، حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث يقول:«**إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**» واتفق في الصحاح على أن كنيته أبو العباس.

وعن مجاهد قال: إنما سمي الخضر، لأنه أينما صلى اخضر حوله.

قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس. لأبي إسحاق النيسابوري المعروف بالثعالبي[1] .

## ثانيًا: بدء أمر الخضر:

لم يتوقف المغرمون بغرائب الأمور عند القدر الذي صرحت به مصادر الدين الأصلية، بل شغلوا أنفسهم بأمور كثيرة لا تقدم ولا تؤخر في صلب قصة موسى والخضر - عليهما السلام-، منها ما هو بدء أمر الخضر؟ ويجيبنا على هذا التساؤل الحكيم الترمذي في كتابه (ختم الأولياء) فبعد أن وصف الأولياء وأوضح علاماتهم نراه يقول: اتفاق الألسنة بالثناء عليهم، إلا من ابتلي بحسدهم، استجابة الدعوة وظهور الآيات: مثل طي الأرض والمشي على الماء، ومحادثة الخضر -عليه السلام- الذي تطوى له الأرض، برها وبحرها، وسهلها وجبلها، في طلب مثلهم والشوق إليهم، وللخضر عليه السلام قصة عجيبة في شأنهم، وقد عاين شأنهم في البدء، ومن وقت المقادير، فأحب أن يدركهم، فأعطي الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرتهم، حتى يكون تبعًا لمحمد -صلى الله عليه وسلم-، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل، وذي القرنين كان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاتته، وأصابها الخضر في قصة طويلة (ختم الأولياء) للحكيم الترمذي (٣٦٢).

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه: (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة): إن الحكيم الترمذي أول من افترى القصص الصوفية للخضر. انظر ص (٢١٨).

وتقرر هذه القصة أمورًا غريبة أهمها بدء شأن الخضر في يوم كتابة المقادير، وحبه للصالحين هو سبب بقائه إلى قيام الساعة وأنه عاش في زمن إبراهيم الخليل وأنه شرب من ماء الحياة.

---

(١) أحذر كل عاقل بعدم اقتناء عرائس المجالس.

## ثالثًا: نسب العبد الصالح:

ومما اختلف الناس فيه اختلافًا كثيرًا قولهم حول القضايا الآتية: نسب الخضر ومن يكون؟ متى ولد؟ وكم عاش من السنين؟ هل وافته المنيـــــة، أم مازال يحيا إلى اليوم؟ هل سيموت قبل قيام الساعة مباشرة؟ قـــد اختلفـــت أقوالهم وفاقت العشرة أقوال لم تتفق على أول تساؤل يعرفنا من هو الخضر؟ وسنورد الآن هذه الآراء، ثم نناقشها تفصيليًّا فيما بعد، فقد قالوا: الخضـــر هو:

١- ابن آدم -عليه السلام- لصلبه نسئ له في أجلـــه حتـــى يقتـــل الدجال[1].

٢- ابن قابيل اسمه خضرون.

٣- ابن نوح -عليه السلام-.

٤- من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.

٥- ابن أرميا بن خلقيا.

٦- ابن فرعون، وقيل: ابن بنت فرعون.

٧- من سبط هارون -عليه السلام-.

٨- هو المعمر بن مالك بن عبد الله بن الأزد.

٩- هو اليسع.

١٠- أمه رومية وأبوه فارسي، وقيل: من ولد فارس.

ويا ترى أي الأقوال السالفة هي الصواب، هذا ما سنعرفه فيما يلي:

## حياة الخضر -عليه السلام-:

يقرر القول الأول من الأقوال العشرة التي ذكرناها آنفًا أن حياة الخضر

---

(١) الذي يقتل الدجال هو سيدنا عيسى -عليه السلام- راجع كتابنا التقاء المسيحين وبه أحاديث صحيحة على أن عيسى -عليه السلام- هو الذي يقتل الدجال.

-عليه السلام- ممتدة منذ آدم -عليه السلام- إلى قيام الساعة، ولاشك أنها حياة أطول من أن نتأملها دفعة واحدة، لذا سندرس الأقوال التي وردت عن هذه الحياة بعد تقسيمها إلى مراحل ثلاث:

١- حياة الخضر قبل الطوفان.

٢- حياة الخضر بعد الطوفان.

٣- حياة الخضر بعد بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وسنحاول دراسة هذه المراحل على ضوء الكتاب والسنة فنعرض الآيات القرآنية ، ثم الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، مع تخريج الآيات من القرآن الكريم، وكذا نخرج الحديث وبيان موضعه من مصادر السنة المعتمدة.

## أولاً: حياة الخضر قبل الطوفان:

تضاربت الأقوال الثلاثة الأول حول حياة الخضر -عليه السلام- قبل الطوفان، فقالوا: أبوه آدم، ومنهم من قالوا: أبوه قابيل وقال آخرون: إنه ابن نوح -عليه السلام.

## القول الأول: الخضر ابن آدم:

رواه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (١٤٥/٥) ، والدارقطني في (الأفراد) من طريق رواد بن الجراح، وعقب بقوله: وهذا حديث محال عن ابن عباس، ثم تتبع رواة الحديث بقوله: رواد بن الجراح ضعيف، وقال البخاري: رواد لا يكاد أن يقوم به حديث.

كما ذكره النسائي في (الضعفاء) ترجمة رقم (١٩٤)، وقال: ليس بالقوي، روى غير حديث منكر، وكان قد اختلط. قال: حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: الخضر بن آدم لصلبه ونسئ له أجله حتى يقتل (وفي رواية: حتى يكذب) الدجال، ومقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، هو أبو الحسن البلخي، المفسر، كذبوه وهجروه،

توفي سنة ١٠٥هـ. وقال عنه الذهبي في (المغني في الضعفاء) ترجمة رقم (٦٤٠٠) هالك كذبه وكيع والنسائي، ذكره العقيلي في الضعفاء، وترجم له ابن حجر في التهذيب (٢٥١/١٠) ترجمة رقم (٥٠٣) وذكره الدارقطني في الضعفاء ترجمة رقم (٥٢٧)، وقال: خراساني يكذب، وقد كذبوه وهجروه. قد أكثر العلماء في تجريح مقاتل بين سليمان، فقد قال النسائي عنه: لا شيء ألبتة. وقال وكيع بن الجراح: مقاتل كذاب. وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء. وقال السعدي وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: مقاتل كان دجالاً جسوراً. وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال أبو داود: تركوا حديثه، وقال زكريا الساجي: كذاب متروك الحديث، وقال النسائي: هو من الكذابين المعروفين يضع الحديث. وقال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء. وقال أحمد بن سيار: هو متروك الحديث، ومهجور القول، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه. أما الضحاك فهو ابن مزاحم، وكان شعبة: لا يحدث عن الضحاك وينكر أن يكون لقي ابن عباس. وقال يحيى بن سعيد: الضحاك عندنا ضعيف. ويقول ابن حجر العسقلاني في (الروض النضر) (ص ١٩): ورواد ضعيف، ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس. راجع تهذيب التهذيب (٣٩٨/٤). درجة الحديث: ضعيف ومنقطع وغريب، وقيل: إسناده موضوع.

## القول الثاني: الخضر بن قابيل بن آدم:

ذكره أبو حاتم سهل بن عثمان السجستاني في كتاب المعمرين، قال: حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره، قالوا: إن أطول بني آدم عمراً الخضر، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم. درجة الخبر: إسناده معضل، كما وصفه ابن حجر في (الزهر النضر) (ص١٩)، وللتعريف بالإسناد المعضل نقول: أعضل بمعنى أعيا وأوهن، وذلك لوجود سقط راويين غير متتاليين في السند، والسقط الأول في بداية السند، حيث أبهم الراوي الشيخ الذي تلقى

عنه الحديث، والسقط الثاني في إرساله الخبر من شيخه أبي عبيدة دون أن ينسبه إلى تابعي أو صحابي أو يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومثل هذا السند لا ينظر إليه، والسند المعضل يعد من أوهى أنواع ضعف الإسناد.

## **القول الثالث: الخضر بن نوح -عليه السلام-:**

وهذا القول من الإسرائيليات التي رواها كل من ابن قتيبة والطبري والنووي وابن عساكر عن وهب بن منبه، وورد فيها أن اسم الخضر بليا أو إيليا بن ملكان ، وقيل كلمان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح، رواه الطبري في (تاريخه) (١/١٨٦) وابن عساكر (٥/١٤٥) وابن عربي في (الفتوحات المكية) (٣ /٣٣٦) ، ذكره ابن حجر في (الزهر النضر) (ص١٩)، وقال: وهذا حديث معضل.

ويحاول أصحاب هذه الآراء تفسير سبب تعمير الخضر ومخالفة حياته لسنة الله -تبارك وتعالى- مع موت البشر.

## **هل عاش الخضر قبل الطوفان؟**

يبرر القائلون أن الخضر ابن لآدم -عليه السلام- رأيهم هذا. بقصة ذكرها ابن إسحاق في (المبتدأ) قال: حدثنا أصحابنا أن آدم لما حضره الموت، جمع بنيه وقال: إن الله منزل على أهل الأرض عذاباً فليكن جسدي معكم في المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام ، فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه: إن آدم دعا الله أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة، فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي دفنه وأنجز الله له ما وعده ، فهو يحيا إلى ما شاء الله أن يحيا.

وسند القصة معلق ولا يعرف قائلها ولا نقلت عمن؟ ومثل هذه الحكايات لا تعد علماً، كما أن متن القصة ينطوي على ما يلي:

١- أيخالف آدم -عليه السلام- سنة الله -عز وجل- في التعجيل بدفن الموتى؟!

٢- كيف يخشى آدم -عليه السلام- سنة الله -عز وجل- في التعجيل بدفن الموتى؟!

٣- لو قال آدم لبنيه: لا تدفنوني، أيجرؤ الناس بعد ذلك على دفـــن موتاهم ويعرضونهم للعذاب الذي حذر منه أبوهم آدم.

٤- كيف لم يبادر نوح نفسه أو بنوه إلى دفن آدم -عليهما السلام- حتى يظفر أحدهم بطول العمر، كما تعد الرواية.

٥- القول أن الخضر بن آدم -عليهما السلام- يستلزم معاصرة الخضر لرسالة نوح -عليهما السلام- وإيمانه بها، ثم ركوبه السفينة ونجاتـــه مـــن الطوفان وبقاؤه حيًّا بعد وفاة نوح - عليه السلام- وهذا يتعارض مع القرآن الكريم الذي يقرر أن الناجين من الطوفان هم فقط ذرية نوح، قال تعـــالى: ﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾[1] ، فالقول بأن الخضر ابن لآدم من صلبه قول على الله -تعالى- بغير علم، وليس له دليل ثابت من الكتاب والسنة، ومـــن المعلوم أن دين الله -تبارك وتعالى- لا يستند علـــى حكايـــات القصـــاص والمغفلين.

## ثانيًا: حياة الخضر بعد الطوفان:

تشير الأقوال الثمانية التي ذكرها ابن حجر العسقلاني في (الإصابـــة) وفي (الزهر النضر) إلى حياته بعد الطوفان نناقشها فيما يلي:

١- الخضر بن عمائيل بن النون بن العيص بن إسحاق، حكاه ابـــن قتيبة أيضًا، وكذا سمي أباه عمائيل مقاتل، ورواه ابن عساكر، ونقله عنه ابن كثير وابن حجر.

٢- الخضر بن أرميا بن خلقيا: رواه محمد بن إسحاق بن يسار، عـــن وهب بن إسحاق بن يسار، عن وهب بن منبه، وقد ورد ذلك القول لابن جرير الطبري.

---

(١) الصافات: ٧٧

٣- الخضر بن فرعون أو ابن بنته: رواه محمد بن أيوب عن أبي لهيعة، وقال ابن الجوزي: وهما ضعيفان، يتسم هذا الخبر بالغرابة والسذاجة، إذ كيف يكون الخضر ابن فرعون أو ابن بنته ولا يعرفه موسى -عليه السلام- وهو الذي نشأ في بيت فرعون وبين أفراد أسرته، ثم ما الداعي إلى سفر موسى وفتاه إلى مجمع البحرين للقاء الخضر؟

٤- الخضر من سبط هارون: روي عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جدًّا، ويعلق ابن حجر على هذا الخبر بقوله: وهو بعيد.

٥- الخضر بن معمر بن مالك بن عبد الله بن أزد: رواه إسماعيل بن أبي أويس.

٦- الخضر هو إلياس: روي عن مقاتل، وروى ابن عساكر بإسناده إلى السدي أنه أخوه، ويقول ابن حجر: وحكي عن مقاتل أيضًا وهو بعيد أيضًا.

٧- أمه رومية وأبو فارسي: رواه الثعلبي في (العرائس) والسهيلي وابن عساكر وابن كثير.

٨- أنه من ولد فارس: أخرجه الطبري عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب.

### أسطورة عين الحياة:

تكثر الروايات المدونة في الكتب عن أسطورة عين الحياة التي شرب منها الخضر، فكانت سببًا في حياته، وقد أشار إليها ابن عربي وغيره في كتاباتهم، ونروي عن السهيلي حكاية طويلة نختصرها خشية الملل، يقول فيها : كان أبو الخضر ملكًا وأمه فارسية واسمها الهاء، وأنها ولدته في مغارة، وأنه وجد هناك شاة ترضعه...ثم تحكي القصة كيف رباه رجل غير أبيه،

إلى أن التقى بأبيه ، ثم فر منه إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها، فهو حي إلى أن يخرج الدجال، فإنه الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه. اهـ.

إلا أن أشهر أساطير شرب الخضر من عين الحياة رواها خيثمة بن سيلمان من طريق جعفر الصادق عن أبيه، نقلاً عن (الإصابة في تمييز الصحابة) (١/٤٣٠) ويكرره شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي في (الفتوحات) (٣/٣٣٦) نذكر منها : أن ذا القرنين كان له صديق من الملائكة فطلب منه أن يدله على شيء يطول به عمره، فدله على عين الحياة، وهي داخل الظلمات. فسار إليها والخضر في مقدمته، فظفر بها الخضر دونه.

وفي رواية مطولة لنفس القصة تتناول العلاقة بين الخضر وذي القرنين تقول: حين طلب ذو القرنين من الملك أن يدله على شيء يطول به عمره، فأجابه الملك بقوله: إن لله عيناً تسمى عين الحياة، من شرب منها شربة لم يمت أبداً، حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت، فقال ذو القرنين: فهل تعلم موضعها ؟ قال: لا، غير أنا نتحدث في السماء أن لله -تعالى- ظلمة في الأرض لم يطأها إنس ولا جان، فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة، فجمع ذو القرنين علماء الأرض فسألهم عن عين الحياة، فقالوا: لا نعرفها. قال: فهل وجدتم في علمكم أن لله ظلمة؟ فقال عالم منهم: لم تسأل عن هذا؟ فأخبره، فقال: إني قرأت في وصية آدم ذكر هذه الظلمة، وأنها عند قرن الشمس ، فتجهز ذو القرنين، وسار اثنتي عشرة سنة، إلى أن بلغ طرف الظلمة، فإذا هي ليست بليل، وهي تفور مثل الدخان، فجمع العساكر وقال: إني أريد أن أسلكها فمنعوه، فسأله العلماء الذين معه أن يكف عن ذلك لئلا يسخط الله عليهم، فأبى، فانتخب من عسكره ستة

آلاف رجل على ستة آلاف فرس أنثى بكر، وعقد للخضر على مقدمته في ألفي رجل فسار الخضر بين يديه وقد عرف ما يطلب ، وكان ذو القرنين يكتمه ذلك. فبينما هو يسير إذ عارضه واد، فظن أن العين في ذلك الوادي،

فلما أتى شفير الوادي استوقفه أصحابه وتوجه، فإذا هو على حافة عين من ماء، فنزع ثيابه، فإذا ماء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من الشهد، فشرب منه وتوضأ واغتسل، ثم خرج، فلبس ثيابه وتوجه ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة[1] .

هذه القصة رواها ابن عساكر في ترجمة ذي القرنين من طريق خيثمة ابن سليمان قال: حدثنا أبو عبيدة ابن أخي هناد، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي جعفر عن أبيه ، وأوردها ابن كثير في (البداية والنهاية) (١٠٧/٢) وقد ترجم الذهبي لسفيان بن وكيع بن الجراح في (المغني في الضعفاء) ترجمة رقم (٢٤٨٩) وقال: ضُعِّف. وقال أبو زرعة كان يتهم بالكذب. وقيل: كان صدوقًا ابتلى بوراقه (وهو من يكتب له الحديث). أفسد حديثه، وأدخل فيه ما ليس عنده فكلم في ذلك فلم يراجع. راجع (ميزان الاعتدال) للذهبي (١٧٣/٢) ترجمة رقم (٣٣٣٤).

## مناقشة أسطورة عين الحياة:

لاشك أن هذه الأسطورة لا يقبلها العقل والفطرة السليمة وهي من جنس حكايات العجائز عن الغول والشاطر حسن، كما أنها تتضمن مخالفات عديده نوجزها فيما يلي:

١- أن حديثًا يدور بين الملائكة في السماء عن ظلمة في الأرض -فيها بئر- لم يطأها إنس ولا جان.

٢- الملائكة مشغولة بعين الحياة، وتظن أنها في الظلمة.

٣- أن لآدم وصية مكتوبة، قرأها أحد علماء ذي القرنين.

٤- تحديد وصية آدم للظلمة، وأنها عند قرن الشمس، وبرغم تقدمنا

---

(١) العجب كل العجب؟ الدول تتقدم إلى الأمام ونحن نتقهقر إلى الخلف مع خرافات وخزعبلات.

إلا أننا مازلنا لا نجد في الأرض ظلمة ليست بليل وتفور مثل الدخان.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: إن الروايات التي تزعم أن الخضر شرب من عين الحياة، كلها من الإسرائيليات التي يرويها وهب بن منبه وغيره كما ضعف في كتابه (الإصابة) كل هذه الروايات، وقال: هي ضعيفة جداً.

## لقاءات الخضر وإلياس -عليهما السلام-:

يحدثنا القرآن الكريم عن إلياس -عليه السلام- في آيات مباركات، منها قوله -تعالى-: ﴿**وإن إلياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إل ياسين * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين**﴾[(١)]

تقرر هذه الآيات نبوة إلياس -عليه السلام- وتصفه أنه من المخلصين والمحسنين، ومن عباد الله المؤمنين، برغم أن القرآن لم يميزه على غيره من الرسل، إلا أن الأساطير والإسرائيليات التي روجت لحياة الخضر امتدت إلى إلياس -عليه السلام- وجمعت بينهما، بل وجعلت منهما شقيقين.

يروي ابن عساكر بسنده إلى السدي: أن الخضر وإلياس أخوان، وكان أبوهما ملكًا، فقال إلياس لأبيه: إن أخي الخضر لا رغبة له في الملك، فلو أنك زوجته لعله يجيء منه ولد يكون الملك له، فزوجه أبوه بامرأة حسناء بكر، فقال لها الخضر: إنه لا حاجة لي في النساء، فإن شئت أطلقت سراحك، وإن شئت أقمت معي تعبدين الله -عز وجل- وتكتمين علي سري، فقالت: نعم، وأقامت معه سنة، فلما مضت السنة دعاها الملك، فقالت: إنما الولد من عند الله، إن شاء كان، وإن شاء لم يكن، فأمره أبوه

---

(١) الصافات: ١٢٣ - ١٣٢

فطلقها، وزوجه بأخرى ثيبًا قد ولد لها، فلما زُفت إليه قال لها كما قال للتي قبلها، فأجابت إلى الإقامة عنده، فلما مضت السنة سألها الملك عن الولد، فقالت : إن ابنك لا حاجة له بالنساء، فتطلبه أبوه فهرب، فأرسل وراءه فلم يقدروا عليه.

فيقال: إنه قتل المرأة الثانية لكونها أفشت سره، فهرب من أجل ذلك، وأطلق سراح الأخرى، فأقامت تعبد الله -تعالى- في بعض نواحي تلك المدينة، فمر بها رجل يومًا فسمعته يقول: باسم الله، فقالت له: أنى لك بهذا الاسم ؟ فقال: إني من أصحاب الخضر، فتزوجته فولدت له أولادًا، ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون، فبينما هي يومًا تمشطها، إذ وقع المشط من يدها ، فقالت : باسم الله ، فقالت بنت فرعون: أبي؟ فقالت: لا، بل ربي وربك ورب أبيك، الله، فأعلمت أباها، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها فألقيت فيه، فلما عاينت ذلك تقاعست أن تقع فيها، فقال لها ابن معها صغير: يا أمه، اصبري فإنك على الحق، فألقت نفسها في النار، فماتت -رحمها الله-. رواه ابن عساكر عن السدي (١٥١/٥) والألوسي في (روح المعاني) (٣١٩/٥) وابن كثير في (البداية) (٣٠٨/١).

هذه قصة واهية مفككة ملفقة تمامًا، فهي تنسب الكيد والدسيسة لإلياس -عليه السلام- حيث طلب من أبيه أن يزوج أخاه الخضر، ولا رغبة له في الزواج، وتنسب الكذب والقتل والهرب للخضر، وتنسب الجبروت والظلم لأبيه ، والقصة تطفح منها الدعوة إلى الرهبانية والعزوف عن النساء، زوجة ابنه الأخرى ، فأقامت في بعض نواحي المدينة فتزوجها رجل وصارت ماشطة بنت فرعون، ولا نعرف كيف تحول الملك إلى فرعون، وما دخل الخضر وإلياس بابنة فرعون وماشطتها ؟ ومن العجيب أن يروي الثعالبي هذه القصة متداخلة مع قصة الإسراء والمعراج، ونترك نقلها خشية الملل.

## لقاءات مزعومة بين الخضر وإلياس:

تحدد الروايات الثلاث التالية مواعيد اللقاءات الدورية بين الخضر وإلياس -عليهما السلام- ويرويها جميعًا ابن عساكر من ثلاثة أسانيد مختلفة تلتقي في طريق واحد عن عبد العزيز بن أبي رواد، وهو متهم بالكذب، كما قرر علماء الجرح والتعديل ، وتروي هذه الأخبار تلك الصحبة العجيبة بين الخضر وإلياس - عليهما السلام- تحدد أولى هذه الروايات معدل اللقاء، فتقول:

١- الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويوافيان الموسم في كل عام ، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٦/٥) من طريق علي بن الحسين بن ثابت الدوري ، عن هشام بن خالد، عن الحسن بن يحيى الخشني، عن عبد العزيز بن أبي رواد ميمون.

درجة الحديث: هذا إسناد ضعيف.

٢- وتحدد الرواية الثانية شرابهما طوال العام، فتقول: إن إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويحجان في كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل (أي العام القادم) . رواه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (١٥٦/٥) من طريق هشام بن خالد، عن الحسن بن يحيى الخشني، عن عبد العزيز بن أبي رواد ميمون. ويعلق بقوله: والحديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في (زوائده على الزهد).

درجة الحديث: وهذا إسناد معضل.

٣- وتحدد رواية ثالثة ما يفطران عليه طوال شهر رمضان المبارك فتقول: يجتمع الخضر وإلياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله إلى آخره، ويفطران على الكرفس، ويوافيان الموسم كل عام. رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على الزهد ، عن مهدي بن جعفر، عن ضمرة عن

السمري بن يحيى، عن عبد العزيز بن أبي رواد، وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة): هو حديث معضل (٢٧).

درجة الحديث: ضعيف، وإسناده معضل.

٤- وفي رواية أخرى: أن الخضر في البحر، واليسع في البر يجتمعان كل يوم عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل.

درجة الحديث: وهذا واهٍ، وقيل: موضوع. وقالوا: إسناده ضعيف جدًّا. وفي رواته متروكان.

قال الحارث بن أبي أسامة في مسنده: حدثنا عبد الرحيم بن واقد، حدثني محمد بن بهرام، حدثنا أبان عن أنس، يعقب ابن حجر العسقلاني بقوله: عبد الرحيم وأبان متروكان، وإسناده ضعيف جدًّا، وربما كان من الموضوعات على أنس، فإن أبان كان يسمع كلام الحسن فيرفعه عن أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- (الإصابة) (١/٤٣٦) وأبان هو ابن أبي عياش، قال عنه أحمد: متروك الحديث. وقال يحيى بن معين: متروك. وقال مرة: ضعيف. وذكر البخاري في (الضعفاء الصغير) (٣٢) وأورده السخاوي في (المقاصد) وقال عنه: واهٍ واعتقاد هؤلاء أن الخضر في البحر ربما استفادوه من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿**حتى أبلغ مجمع البحرين**﴾[1] .

٥- ويروي الثعالبي: الخضر من ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل، يلتقيان في كل عام في الموسم. رواه الثعالبي في العرائس (٢٢٤): عن محمد ابن المتوكل هو ابن أبي السري العسقلاني من الطبقة العاشرة ، ذكره الذهبي في (المغني في الضعفاء) (٥٩٣٨) وقال: صدوق. وقال أبو حاتم: لين، وهو صدوق عارف، له أوهام كثيرة.

---

(١) الكهف: ٦٠

وروي أيضًا عن عمرو بن دينار قوله: إن الخضر وإلياس لايزالان حيين في الأرض ما دام القرآن فيها، وإذا رفع القرآن ماتا. رواه الثعالبي في (العرائس) (٢٢٤). عن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن يعقوب، قال: أخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي[1] وأخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: وأحمد بن محمد بن يعقوب هو أبو بكر الفارسي الوراق الكاغدي، قال ابن أبي الفوارس: ضعيف جدًّا فيما يدعى عن ابن منيع، وكان رديء المذهب أيضًا، الذهبي في (الميزان) (١/١٥٣) ترجمة رقم (٦٠٦).

درجة الحديث: أورده العلامة السخاوي في كتابه (المقاصد الحسنة) حديث (٢٧) (ص٦٢) قصة اجتماع الخضر وإلياس -عليهما السلام- علق عليها بقوله: إلى غير ذلك مما هو ضعيف كله، مرفوعه وغيره، ولا يثبت منه شيء.

## أين يقيم الخضر وإلياس الآن؟

يا ترى أين يقيم حاليًا الخضر وإلياس في ظن من يؤمنون بحياتهما؟ هذا ما يخبر به هذا الحديث الموضوع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يجتمع البري والبحري وإلياس والخضر كل عام بمكة**» .

ويروى عن الحسن البصري أنه قال: وكل إلياس بالفيافي، والخضر بالبحور، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى، وإنهما يجتمعان في كل عام. السخاوي في (المقاصد الحسنة) حديث رقم (٢٧) وعلق بقوله: وهو ضعيف كله، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى، من طريق أحمد بن عمار عن محمد بن مهدي بن هلال عن ابن جريج، ثم قال: وابن عمار متروك عند الدارقطني، ومهدي بن هلال مثله.

---

(١) واسط من قرى العراق.

وذكر الدارقطني في (الضعفاء والمتروكين) ترجمة رقم (٤٧) والذهبي في (المغني في الضعفاء) ترجمة رقم (٣٨٧) وفي (الميزان) ترجمة رقم (٤٩٧) وقال ابن حبان: مهدي بن هلال يروي الموضوعات، وذكره البخاري في (الضعفاء الصغير) (٣٦٣) وقال: قال يحيى بن سعيد: مهدي غير ثقة، وكذبه ابن معين، وقال عنه: صاحب بدعة. وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء. ترجمة رقم (٦٤٦٦) وقال: تركوه وكذبه بعضهم. وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أصله رومي نصراني، أسلم على ما عنده من معارف مسيحية وأخبار إسرائيلية، ومن العلماء من وثقه، ومنهم من اتهمه بالتدليس، قال الدارقطني: تجنب تدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح، وقال عنه أحمد بن حنبل: بعض الأحاديث التي يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان الإمام مالك يرى أن ابن جريج لا يبالي من أين أخذ الحديث، وقد روي عنه أنه قال: ابن جريج محتطب بليل.

وفي رواية عن كعب الأحبار: أن الخضر على منبر من نور في البحر.

ويروى عن ابن عباس الخبر مذكور في جزء المزكى شيخ الشافعي، وهو حديث لا يصح، وفي إسناده الحسن بن رزين ليس بشيء، كما أخرجه الدارقطني في (الأفراد) قال: ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا محمد بن أحمد بن زيد، ثنا عمر بن عاصم، ثنا الحسن بن رزين عن عطاء، عن ابن عباس ، لا أعلمه إلا مرفوعًا، قال الدارقطني: لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن بن رزين . قال أبو جعفر العقيلي في (الضعفاء الكبير) (١/٢٢٤): لم يتابع عليه مسندًا ولا موقوفًا، وهو مجهول في النقل، وحديثه غير محفوظ، قال الحافظ ابن المنادي: هو حديث واهٍ بالحسن بن رزين، وترجم الذهبي في (الميزان) فقال: الحسن بن رزين عن ابن جريج ليس بشيء، وهو منكر، والحسن فيه جهالة (١/٤٩٠) وأورده ابن الجوزي في (الموضوعات الكبرى)

(١/١٩٥) وروى ابن عساكر نحوه من طريق ابن الحسن الجهضمي، وهو كذاب، عن ضمرة بن حبيب المقدسي عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيري عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعًا، قال: يجتمع كل يوم عرفة بعرفات: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، والخضر. وذكر حديثًا موضوعًا فيه عدة مجاهيل لا يعرفون، تركنا إيراده قصدًا، يعلق السخاوي في (المقاصد الحسنة) (ص٦٢) عن طرق هذا الحديث عن مهدي ابن هلال، وعن ابن جريج بقوله: وهو منكر من الوجهين، وثانيها أشد وهاء، ومهدي كان يضع الأحاديث، وأورده الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة. (١/٢٣٥).

وفي رواية لابن عباس تروى تفصيلات أكثر عن هذا اللقاء جاء فيها: يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات:

**بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله**

**بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله**

**بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله**

**بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله**

وقال ابن عباس: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات أمنه الله من الغرق والحرق والسرق، قال: ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب.

درجة الحديث: واهٍ شديد الوهن: منكر من وجهيه، ذكره العلماء في الموضوعات، وهذا الدعاء يردده كثير من الصوفية في أورادهم، ويقول المشايخ لأتباعهم قصة افتراق الخضر وإلياس على هذا الدعاء، ومن هذا الطرق:

## الطريقة الخلوتية العونية العيونية

وتعليقنا على هذه الغرائب أنها تضم متناقضات عجيبة، إذ كيف يعيش الخضر في البحر، وإلياس في البر، ثم يجتمعان يوميًا عند الردم، كما ورد في الروايات السابقة، وما هو دورهما وأهمية وجودهما يوميًا عند الردم؟ ومع هذا يتركانه طوال شهر رمضان ويعتكفان في بيت المقدس، ولا نعرف إن كانا لايزالان يعتكفان فيه بعد احتلاله ومحاولات حرقه من الصهاينة. أم تراهم انتقلوا إلى مسجد آخر أكثر أمنًا؟!

ثم ما حكمة اعتكافهما في بيت المقدس دون بيت الله الحرام؟ ولازلنا لا نفهم سر الكرفس الذي لا يفطران إلا عليه، وسر مخالفتهم لسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كل شيء، حتى في الإفطار[1] .

وبرغم كثرة قصص عين الحياة وحكايات دفن آدم -عليه السلام- التي يروج لها من تستهويه غرائب الأمور، إلا أننا لم نجد رواية واحدة تشرح لنا سبب تعمير إلياس -عليه السلام- وفي نفس الوقت يربط هؤلاء بين الخضر وإلياس، حتى إنهما لا يكادان يفترقان.

### مناقشة لقاءات الخضر وإلياس:

ولا يفوتنا قبل أن ننتقل إلى موضوع آخر أن نعلق على هذه اللقاءات المزعومة بين العبد الصالح الخضر ونبي الله إلياس -عليهما السلام-:

١- كيف لا يحتمل موسى صحبة الخضر -عليهما السلام- ويفارقه بعد ثلاث وقائع، ويستمر إلياس -عليه السلام- في صحبة دائمة للخضر، وإلى أن تقوم الساعة، ومع هذا لا يشير القرآن إلى هذه الخصوصية، فاحتمال إلياس أولى بالذكر من فراق الخضر لموسى -عليهما السلام- بعد ثلاث وقائع فقط.

---

(١) كان -صلى الله عليه وسلم- يفطر على التمر.

٢- إلياس -عليه السلام- نبي مرسل بنص القرآن، فهل تقولون بنبوة الخضر؟

٣- ماهي مهمة إلياس الآن؟ هل هو نبي أم ولي؟

إن من يقول بولايته يدخل نفسه في سلسلة من التساؤلات.

-كيف تحول إلياس -عليه السلام- من النبوة إلى علم الباطن حتى صار كالخضر؟

-أين الدليل على رفع النبوة عنه؟ فإذا انعدم الدليل، فهل مازال نبيًّا حتى الآن؟

-هل مازال إلياس -عليه السلام- يبلغ شريعته للناس حتى الآن؟

-أم تراه اتبع خاتم الأنبياء والمرسلين -صلى الله عليه وسلم- يبلغ شريعته إلى الناس حتى الآن؟

إذا أجاب الباطني أن إلياس -عليه السلام- مازال يبلغ رسالته إلى اليوم فقد اقترف إثمًا كبيرًا ، وأوقعه جهله في مأزق عظيم ، حيث أنكر ختام النبوة والرسالة بنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا كفر يحتاج إلى الاستبانة والرجوع إلى الإسلام من جديد، أما إذا أجاب بقوله: لقد ترك إلياس رسالته واتبع نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- طالبناه بالدليل الصحيح على ذلك، ثم كيف شغل الباطنيون أنفسهم بلقاء الخضر ومحمد -صلى الله عليه وسلم- ولم يرد خبر واحد ولو ضعيف أو حتى موضوع عن محاولة لقاء مماثل بين إلياس ومحمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم أين لقاء مماثل بين إلياس -عليه السلام- بالصحابة والصوفية؟ أم تراه ترك ذلك للخضر -عليه السلام- وحده، ثم كيف يترك البري إلياس لقاءات الناس إلى البحري الخضر. ألم يكن من الأيسر أن يتبادل الخضر وإلياس -عليهما السلام- أماكنهما في هذه القصص؟

نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. انتهى.

### ٥- قول الحافظ ابن كثير[1]:

يقول تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفـإن مـت فهـم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنـة وإلينـا ترجعون**﴾[2] . أي يا محمد (الخلد) أي في الدنيا بل: ﴿**كل من عليها فـان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[3] .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلمـاء إلى أن الخضـر -عليه السلام- مات وليس بحي إلى الآن لأنه بشر سواء كان وليًّا أو نبيًّا أو رسولاً، وقد قال تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ قوله ﴿**أفـإن مت**﴾ أي يا محمد ﴿**فهم الخالدون**﴾ أي يؤملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل إلى الفناء ولهذا قال تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ وقد روي عن الشافعي -رحمه الله- أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين:

**تمنى رجل أن أمـوت وإن أمـت *** فتلك سبيل لست فيها بأوحد**

**فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى *** تهيأ لأخرى مثلها فكـأن قد**

وقوله تعالى: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾ أي نختبركم بالمصـائب تارة وبالنعم أخرى فننظر من يشكو ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كمـا قال على بن طلحة عن ابن عباس: ونبلوكم يقول نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعـة والمعصية والهدى والضلال وقولـه: ﴿**إلينـا ترجعـون**﴾ أي فنجـازيكم بأعمالكم. اهـ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ص١٨٣/ج٣).

(٢) الأنبياء: ٣٤

(٣) الرحمن:٢٧

## ٦- كتاب الإبداع يجزم بموت الخضر وإلياس:

قال[١] : وكثيرًا ما يسأل الناس عن الخضر -عليه السلام- هل هو نبي أو ولي؟ وهل هو حي أو لا؟ والجواب: أن جمهور العلماء على أنه نبي لا رسول ، وأنه العبد الموصوف في قوله تعالى: ﴿**فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا**﴾[٢] وقيل: هو ولي وعليه الإمام القشيري وجماعة، والمنصور ما عليه الجمهور، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين، والخضر: لقبه وكنيته أبو العباس، واسمه بنيا بن ملكا، وكما اختلف في نبوته اختلف في حياته اليوم، فذهب جمع من المحققين إلى أنه ليس بحي اليوم، وسئل عنه الإمام البخاري وعن إلياس -عليهما السلام- هل هما حيان؟ فقال كيف هذا وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- أي قبل وفاته بقليل، لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد. والذي في صحيح مسلم عن جابر -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قبل موته: «**ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية**» وسئل عن ذلك غيره من الأئمة فقرأ: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾[٣] .

وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يأتي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه، وقد قال يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**»[٤]

---

(١) الشيخ على محفوظ -رحمه الله- (ص٢٤٩-٢٥٠).

(٢) الكهف: ٦٥

(٣) الأنبياء: ٣٤

(٤) رواه أحمد في مسنده وغيره.

فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبـــائلهم فأين كان الخضر يومئذ؟ .اهـــ.

ونقل في البحر عن شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي القـــول بموته أيضًا. ونقله ابن الجوزي عن علي بن موسى الرضا -رضي الله عنهما- وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب محمد.

وكيف يعقل وجود الخضر -عليه السلام- ولا يصلي مع رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- الجمعة والجماعة ولا يشهد معه الجهاد مـــع قولـــه -صلوات الله وسلامه عليه-: «**والذي نفسي بيده لو أن موسى حيًّـــا مـــا وسعه إلا أن يتبعني**» رواه أحمد في مسنده من حديث جـــابر -رضـــي الله عنه- وقوله تعالى : ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم مـــن كتـــاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنـــه قـــال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكـــم من الشاهدين**﴾[1].

وعند القوم من المعقول وجوه كثيرة على عدم حياته الآن.

منها أنه لو صح بقاء بشر من لدن آدم إلى قرب خراب الدنيا لحســـن ذكر هذا الأمر العظيم في القرآن الكريم مرة على الأقل لأنـــه مـــن آيـــات الربوبية في النوع الإنساني لاسيما وقد ذكر تعمير عدو الله إبليـــس -لعنـــه الله- فإذا ذكر يكون القرآن مشتملاً على ذكر معمر من الجن مبعد وذكـــر معمر من الإنس مقرب.

ومنها أن القول بحياة الخضر قول على الله -تعالى- بغير علـــم وهـــو حرام بنص القرآن أما المقدمة الثانية فظاهرة، وأما الأولى فلأن حياتـــه لـــو كانت ثابتة لدل عليها القرآن الكريم والسنة أو إجماع الأمة وهذا كتاب الله -تعالى- فأين فيه حياة الخضر -عليه السلام-؟ وهذه سنة رسوله -صلوات

---

(١) آل عمران: ٨١

الله وسلامه عليه- فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه؟ وهؤلاء علماء الأمة فمتى أجمعوا على حياته؟

واتفقت الصوفية على أنه حي موجود بين أظهرنا واستدلوا على ذلك بأخبار كثيرة، قال فيها الإمام ابن القيم: إن الأحاديث التي يذكر فيها الخضر -عليه السلام- وحياته كلها كذب ولم يصح في حياته حديث واحد من ادعى الصحة فعليه البيان.

وصفوة القول: إن الأحاديث الصحيحة والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته.

وخلاصة القول:

**إلى الذين ينبحون النبح كالكلاب　　طريقكم ليس على الصواب**
**وليس فيكم فتى مطيع　　فلعنة الله على الجميع**

يا من تأكلون أموال الناس بالباطل يا عباد القبور، اسمعوا إني أبلغكم يا أهل الضلال بنبأ وفاة الخضر وإلياس للأدلة السابقة، اتقوا الله -تعالى- في دينكم وفي هدي نبيكم -عليه الصلاة والسلام- ابتعدوا عن الأهواء والخرافات والخزعبلات والفوضى التي عودتم أنفسكم عليها. كل الدول تقدمت إلى الإمام ونحن تقهقرنا إلى الوراء بسببكم يا عيلة القوم، يا من تأكلون أموال الناس بالباطل، يا كسالى هيا إلى العمل الجاد لكي ننهض ببلدنا ونرقى بها ، لكي تكون لها الريادة والإمامة والزعامة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

## رسالة إلى الطرق الصوفية:

فضيلة الأستاذ الشيخ/ شيخ مشايخ الطرق الصوفية والسادة مشايخ السجاجيد بمصر المحروسة.

السلام على من اتبع الهدى.

**أما بعد:**

أريد أن أحدثكم عن الخضر -عليه السلام-، اختلف في اسمه ونسبه ونبوته وحياته إلى الآن، وكثرت حوله الروايات منها الصحيح ومنها الباطل، وجاء ذكره في سورة الكهف.

١- دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه العبد الصالح الذي لقيه موسى -عليه السلام- بمجمع البحرين، قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عمرو قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر فقال: كذب عدو الله حدثنا أبيّ بن كعب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قام موسى النبي خطيبًا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم فعتب الله عليه إن لم يرد العلم إلى الله فأوحى الله إليه أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك قال: يا رب وكيف به فقيل له: احمل حوتًا في مكتل فإذا فقدته فهو ثم.. إلى بقية الحديث: فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فقال: الخضر.. إلى تمام الحديث.

٢- نبوة الخضر: قال ابن كثير في قصص الأنبياء: إن نبوة الخضر جاءت من سياق القصة في القرآن. لقوله تعالى: ﴿**فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدًا**﴾ فإذا كان وليًا و لم يكن نبيًا لما خاطبه موسى بهذه المخاطبة وهو رسول له شأن بين الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

٣- أن الخضر أقدم على قتل غلام وذلك بوحي من الله -تعالى- وهذا دليل نبوته وإذا كان وليًا كما تدعون ما أقدم على قتل الغلام بمجرد ما يلقي في خلده.

٤- قول الخضر: رحمة من ربك وما فعلته عن أمري. وأما كونه ملكًا

فنقول: غريب جدًّا.

٥- الخلاف في وجوده إلى زماننا هذا سبق وأن قلنا بالأدلة الدامغة: أن الأحاديث التي وردت في أن الخضر -عليه السلام- موجود حتى الآن كلها تخاريف، وخزعبلات، ومن أراد المزيد فعليه بالكتب الذي ذكرناها في المراجع. أما الكلام الصحيح الحق الذي يقال: إن الخضر ومعه إلياس -عليهما السلام- توفيا إلى -رحمة الله تعالى- وسبق أن قدمت لكم العزاء فيهما، وأذكركم بحديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال بعد أن صلى العشاء: «**أرأيتم ليلتكم هذه؟ فإنه إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد**» متفق عليه.

وقال العلماء: الأحاديث الصحيحة تقطع دابر حياة إلياس والخضر -عليهما السلام- والله الموفق، والسلام على من اتبع الهدى.

## ذكر رفع عيسى -عليه السلام- إلى السماء:

في حفظ الرب، وبيان كذب اليهود والنصارى في دعوة الصلب قال الله -تعالى: ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥].

وقال تعالى: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم**

**شهيداً ﴾** [النساء: ١٥٥-١٥٩].

فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطو به ، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان.

قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق: كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحصروه في دار بيت المقدس، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت، فلما حان وقت دخولهم ألقي شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة من ذلك البيت إلى السماء، وأهل البيت ينظرون، ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له، وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً.

وأخبر تعالى بقوله: **﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾** أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، كما بينا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء، وكما سنورد ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال، فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدي -عليه السلام- من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية، عن المنهال ابن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أرد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتا عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقى عليه

شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًّا فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا. فقال: أنت هو ذاك. فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتا عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق.

فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء. وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه.

وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا -صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن عباس: وذلك قوله تعالى: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾[الصف:١٤].

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم، ورواه النسائي عن أبي كريب، عن أبي معاوية به نحوه، ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن أبي معاوية.

وهكذا ذكر غير واحد من السلف، وممن ذكر ذلك مطولاً محمد بن إسحاق بن يسار.

قال: وجعل عيسى -عليه السلام- يدعو الله -عز وجل- أن يؤخر أجله يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله.

قيل: وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلاً: بطرس، ويعقوب بن زابدا، ويحنس أخو يعقوب، وأندراوس، وقليبس، وابرثلما، ومتى، وتوماس، ويعقوب بن حلقيا، وتداوس، وفتاتيا، ويودس كريايوطا، وهذا هو الذي

دل اليهود على عيسى.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذي ألقي شبه المسيح عليه فصلب عنه.

قال: وبعض النصارى يزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقي عليه شبهه هو يودس بن كريايوطا، والله أعلم.

وقال الضحاك عن ابن عباس: استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي ألقي عليه الشبه.

وقال أحمد بن مروان: حدثنا محمد بن الجهم، قال: سمعت الفراء يقول في قوله: ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾.

قال: إن عيسى غاب عن خالته زمانًا فأتاها، فقام رأس الجالوت اليهودي فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى، ثم خرج إلى أصحابه فقال: لم أره، ومعه سيف مسلول.

فقالوا: أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه، فأخذوه فقتلوه وصلبوه، فقال جل ذكره: ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**﴾.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن هارون ابن عنترة عن وهب بن منبه.

قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم، فلما دخلو عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتمونا لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعًا. فقال عيسى لأصحابه: من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة فقال رجل: أنا. فخرج إليهم فقال: أنا عيسى. وقد صوره الله علىصورة عيسى، فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى، فظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى، ورفع الله عيسى

من يومه ذلك.

قال ابن جرير: وحدثنا المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبًا يقول: إن عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه، فدعا الحواريين وصنع لهم طعامًا فقال: احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة.

فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه، فتعاظموا ذلك وتكارهوه، فقال: من رد عليّ شيئًا الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا منه. فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة، فإنكم ترون أني خيركم فلا يتعظم بعضكم على بعض، وليبذل بعضكم لبعض نفسه، كما بذلت نفسي لكم، وأما حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي.

فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها؟ فقالوا: والله ما ندري ما لنا، والله لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرًا، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال: يذهب بالراعي وتتفرق الغنم، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه.

ثم قال: الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني. فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا: هذا من أصحابه، فجحد وقال: ما أنا بصاحبه. فتركوه ثم أخذه آخرون فجحد كذلك، ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه.

فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لي إن

دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهمًا فأخذها ودلهم عليه، وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون: أنت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون، أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبهه لهم فمكث سبعًا.

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب فجاءهم عيسى فقال: علام تبكيان؟ قالتا عليك. فقال: إني قد رفعني الله إليه ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم.

فأمرا الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا. فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وفقد الذي كان باعه ودل عليه اليهود، فسأل عنه أصحابه فقالوا إنه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه، فقال: لو تاب لتاب الله عليه.

ثم سألهم عن غلام كان يتبعهم يقال له يحيى فقال: هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم.

وهذا إسناد غريب عجيب، وهو أصح مما ذكره النصارى من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تبكي عند جذعة فأراها مكان المسامير من جسده، وأخبرها أن روحه رفعت وأن جسده صلب.

وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة في الإنجيل على خلاف الحق ومقتضى الدليل.

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب، فيما بلغه، أن مريم سألت من بيت الملك بعدما صلب المصلوب بسبعة أيام، وهي تحسب أنه ابنها، أن ينزل جسده، فأجابهم إلى ذلك ودفن هنالك، فقالت مريم لأم يحيى : ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح ؟ فذهبتا فلما دنتا من القبر قالت مريم

لأم يحيى: ألا تستترين؟ قالت: وممن أستتر؟ فقالت: من هذا الرجل الذي هو عند القبر .

فقالت أم يحيى: إني لا أرى أحدًا فرجت مريم أن يكـون جـبريل، وكانت قد بعد عهدها به، فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل، وعرفته: يا مريم أين تريدين؟

فقالت: أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهدًا به. فقال: يا مريم إن هذا ليس المسيح، إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا.

ولكن هذا الفتى الذي ألقي شبهه عليه وصلب وقتل مكانه، وعلامـة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يبكون عليه فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فإنك تلقين المسيح.

قال: فرجعت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة، فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل، وقال: يا أمه، إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقـائك والموت يأتيك قريبًا فاصبري واذكري الله كثيرًا.

ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت.

قال: وبلغني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة.

وقال الحسن البصري: كان عمر عيسى -عليه السلام- يوم رفع أربعًا وثلاثين سنة.

وفي الحديث: «**إن أهل الجنة يدخلونها جردًا مردًا مكحلـين أبنـاء ثلاث وثلاثين**» .

وفي الحديث الآخر: «**على ميلاد عيسى وحُسن يوسف**» وكذا قـال حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، أنه قال: رفع عيسى

وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

فأما الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه، عن سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن يزيد، عن عمارة بن غزية، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول: أخبرتني فاطمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله، وأنه أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهب على رأس ستين.

هذا لفظ الفسوي. فهو حديث غريب.

قال الحافظ ابن عساكر: والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر، وإنما أراد به مدة مقامه في أمته.

كما روى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة، قال: قالت فاطمة: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة**» وهذا منقطع.

وقال جرير والثوري عن الأعمش، عن إبراهيم: مكث عيسى في قومه أربعين عاماً.

ويروى عن أمير المؤمنين علي أن عيسى -عليه السلام- رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام.

وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة فدنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر وألقى إليها عيسى برداء له.

وقال: هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة وألقى عمامته على شمعون، وجعلت أمه تودعه بأصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها، وكانت تحبه حبًّا شديدًا، لأنه توفر عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له،

وكانت لا تفارقه سفراً ولا حضراً.

وكانت كما قال بعض الشعراء:

**وكنت أرى كالموت من بين ساعة *** فكيف ببين كان موعده الحشر**

وذكر إسحاق بن بشر، عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك، تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمـــان ، فقيل له إن اليهـــود تســـلطوا علـــى أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله.

وكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويفعل العجائب، فعـــدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحبسوهم فبعث فجيء بهم وفيهم يحيى بـــن زكريا وشمعون وجماعة، فسألهم عن أمر المسيح فأخبره عنـــه، فبـــايعهم في دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم، وبعث إلى المصلوب فوضع عن جذعه وجـــيء بالجذع الذي صلب عليـــه ذلك الرجل فعظمه فمن ثم عظمت النصارى الصليب.

ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم.

**وفي هذا نظر من وجوه:**

أحدها: أن يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى، فإنـــه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق.

الثاني: أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلاثمائة سنة، وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن باني المدينة المنسوبة إليه على ما سنذكره.

الثالث: أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم ألقوه بخشبته جعلوا مكانه مطرحاً للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات.

فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين المذكور فعمدت أمـــه هيلانة الحرانية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح، ووجدوا الخشبة التي صُلب عليها المصلوب، فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفي.

فالله أعلم أكان هذا أم لا، وهل كان هذا لأن ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان صالحًا أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصارى في ذلك اليوم، حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللآلئ، ومن هذا اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلها وقبلوها، وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة، فهي هذه المشهورة اليوم ببلدة بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها، ويسمونها القيامة يعنون التي يقوم جسد المسيح منها.

ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناستة وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس، فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخباث[1] والأنجاس، و لم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء بالأنبياء وهو المسجد الأقصى.

قال الله تعالى: ﴿**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة**﴾ [المائدة:٧٥].

قيل: سمي المسيح لمسحه الأرض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان، لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام.

وقيل: لأنه كان ممسوح القدمين.

وقال تعالى: ﴿**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور**﴾ [المائدة:٤٦].

وقال تعالى: ﴿**وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس**﴾ [البقرة: ٤٧]. والآيات في ذلك كثيرة جدًا.

---

(١) الأخباث: الأقذار.

وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين: «**ما من مولود إلا والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا إلا مريم وابنها، ذهب يطعن فطعن في الحجاب**».

وتقدم حديث عمير بن هانئ عن جنادة، عن عبادة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» رواه البخاري وهذا لفظه، ومسلم.

وروى البخاري ومسلم من حديث الشعبي، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران ، وإذا آمن بعيسى بن مريم ثم آمن بي فله أجران ، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران**». هذا لفظ البخاري.

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا هشام، عن معمر (ح) وحدثني محمود حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن الزهري، أخبرني سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**ليلة أسري بي لقيت موسى، قال: فنعته فإذا رجل -حسبته قال- مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة قال: ولقيت عيسى فنعته النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس، يعني الحمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به**» الحديث. وقد تقدم في قصتي إبراهيم وموسى.

ثم قال: حدثنا محمد بن كثير، أنبأنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط**» تفرد به البخاري.

وحدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا أبو ضمرة، حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، قال: قال عبد الله بن عمر: ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال: «**إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال ترب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعًا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت : من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم. ثم رأيت رجلاً وراءه جعدًا قططًا أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن. واضعًا يده على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت : من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح الدجال**» . ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة. .

ثم قال البخاري: تابعه عبد الله بن نافع، ثم ساقه من طريق الزهري عن سالم بن عمر قال الزهري: وابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية. فبين -صلوات الله وسلامه عليه- صفة المسيحين: مسيح الهدى ومسيح الضلالة، ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت عيني**» وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق.

وقال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن الحسن وغيره، عن أبي هريرة قال: ولا أعلمه إلا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**رأى عيسى رجلاً يسرق فقال: يا فلان أسرقت؟ فقال: لا والله ما سرقت. فقال: آمن بالله وكذبت بصري**» .

وهذا يدل على سجية طاهرة، حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحدًا لا يحلف بعظمة الله كاذبًا على ما شهده منه عيانًا ، فقبل عذره ورجع على نفسه، فقال: آمنت بالله. أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾ فأول الخلق يُكسى إبراهيم، ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي ، فيقال: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: ﴿وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيت عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾** [المائدة:١١٧-١١٨] تفرد به دون مسلم من هذا الوجه.

وقال أيضًا: حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان، سمعت الزهري يقول: أخبرني عبد الله بن عبد الله، عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» .

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعة فعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقيل لها: ممن؟ فقالت: من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى**

**ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: فلان الراعي. قالوا: أنبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنًا لها في بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديها يمصه. -قال أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يمص إصبعه- ثم مر بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه. فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها. فقالت: لم ذلك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت وزنت. ولم تفعل»**.

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي**» تفرد به البخاري من هذا الوجه.

ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي داود الحفري، عن الثوري عن أبي الزناد عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان هو الثوري، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أنا أولى الناس بعيسى -عليه السلام- والأنبياء إخوة أولاد علات، وليس بيني وبين عيسى نبي**» . وهذا إسناد صحيح على شرطهما و لم يخرجوه من هذا الوجه: وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بنحوه، وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه.

قال أحمد: حدثنا يحيى، عن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن عبد الرحمن ابن آدم، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الأنبياء إخوة لعلات ودينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن**

مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين مخصرتين، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى تهلك في زمانه كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتفع الإبل مع الأسد جميعًا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضًا فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه)) . ثم رواه أحمد عن عفان، عن همام، عن قتادة، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة فذكر نحوه، وقال: فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ورواه أبو داود عن هدبة بن خالد، عن همام ابن يحيى به نحوه.

وروى هشام بن عروة، عن صالح مولى أبي هريرة عنه، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: ((**فيمكث في الأرض أربعين سنة**)) .

وسيأتي بيان نزوله –عليه السلام– في آخر الزمان في كتاب الملاحم.

كما بسطنا ذلك أيضًا في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا** ﴾ [النساء:١٥٩].

وقوله: ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ [الزخرف:٦١]. الآية وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له إمام المسلمين: تقدم يا روح الله فصل. فيقول: لا، بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة.

وفي رواية فيقول له عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلي خلفه. ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة.

وذكرنا أنه قوي الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي

هي من حجارة بيض، وقد بنيت أيضًا من أموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى بن مريم - عليه السلام- فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، وأنه يخـــرج مـــن فجـــر الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو لثنتيهما، ويقيم أربعين سنة، ثم يموت فيدفـــن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رســـول الله -صلـــى الله عليـــه وســـلم- وصاحبيه.

وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المســـيح - عليه السلام- في كتابه عن عائشة مرفوعًا، أنه يدفن مع رسول الله -صلـــى الله عليه وسلم- وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح إسناده.

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا زيد بن أخزم الطائي، حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة، حدثني أبو مودود المدني، حدثني عثمان بن الضحاك، عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده، قال: مكتوب في التوراة: صفة محمد وعيسى ابن مريم -عليهما السلام- يدفن معه.

قال أبو مودود: وقد بقي من البيت موضع قبر. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن. كذا قال. والصواب: الضحاك بن عثمان المدنـــي. وقـــال البخاري: هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه.

وروى البخاري عن يحيى بن حماد، عن أبي عوانـــة، عـــن عـــاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، قال: الفترة ما بـــين عيســـى ومحمد -صلى الله عليه وسلم- ستمائة سنة وعن قتادة خمسمائة وســـتون سنة، وقيل: خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة. والمشهور ستمائة سنة.

ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية، لتكـــون ســـتمائة بالشمسية، والله أعلم.

وقال ابن حبان في صحيحه: ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على

هديه. حدثنا أبو يعلى، حدثنا أبو همام، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الهيثم ابن حميد، عن الوضين بن عطاء، عن نصر بن علقمة، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته ودينه مائتي سنة**» . وهذا حديث غريب جدًّا، وإن صححه ابن حبان.

وذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق، أن عيسى -عليه السلام- قبل أن يرفع أوصى الحواريين بأن يدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب، فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم.

وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة: لوقا، ومتى، ومرقس، ويوحنا، وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة، وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة إلى الأخرى، وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما: متى، ويوحنا. ومنهم اثنان من أصحابه وهما: مرقس، ولوقا.

وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له ضينا، وكان مختفيًا في مغارة داخل الباب الشرقي قريبًا من الكنيسة المصلبة خوفًا من بولس اليهودي، وكان ظالمًا غاشمًا مبغضًا للمسيح ولما جاء به.

وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد. ثم رجمه حتى مات -رحمه الله-.

ولما سمع بولس أن المسيح -عليه السلام- قد توجه نحو دمشق جهز بغاله وخرج ليقتله، فتلقاه عند كوكبا، فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه، فلما رأى ذلك وقع في نفسه

تصديق المسيح فجاء إليه واعتذر مما صنع، وآمن به فقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره، فقال: اذهب إلى ضينا عندك بدمشق في طـــرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك فجاء إليه فدعا فرد عليه بصـــره وحسن إيمان بولس بالمسيح -عليه السلام- أنه عبد الله ورسوله وبنيت لـــه كنيسة باسمه فهي كنيسة بولس المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة -رضي الله عنهم- حتى خربت في الزمان الذي سنورده إن شاء الله -تعالى-.

وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه: (الرد على النصارى) لبعضهم يرد عليهم في قولهم: بصلب المسيح، وتسليمهم ذلك لليهود مـــع دعواهم أنه ابن الله، تعالىعن قولهم علوًا كبيرًا:

**عجبًا للمسيح بـــين النصـــارى *** وإلى أي والـــد نســـــبوه**

**أســلموه إلى اليهـــود وقـــالوا *** إنهم بعـــد قتلـــه صلبـــوه**

**فإذا كـــان مـــا يقولـــون حقًّـــا *** وصحيحًا فأين كـــان أبـــوه**

**حين خلى ابنه رهـــين الأعـــادي *** أتراهم أرضوه أم أغضبـــوه؟**

**فلئن كـــان راضيًـــا فـــاحمدوهم *** لأنهـــــم وافقـــــوه**

**ولئن كـــــان ســـاخطًا فاتركوه *** واعبدوهم لأنهـــم غلبوه**

## اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه:

اخلتف أصحاب المسيح -عليه السلام- بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال، كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند قولـــه: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾ [الصف:١٤].

قال ابن عباس وغيره: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورســـوله فرفع إلى السماء وقال آخرون: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله.

فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم، كما قال: ﴿**فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم**﴾.

وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان

وتحريف وتبديل.

ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى اختلف البطاركة الأربعة وجميع الأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهبان في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضبط. واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم المجمع الأول، فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات، فسموا الملكية ودحض من عداهم وأبعدهم ، وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن أريوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله، فسكنوا البراري والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات، وقنعوا بالعيش الزهيد و لم يخالطوا أولئك الملل والنحل وبنت الملكية الكنائس الهائلة، عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان، فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي.

## الوفاة النبوية

الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلامات التي تشير إلى قرب وقوعها، وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تقر بالإسلام أو تعطي الجزية عن يد وهم صاغرون، وأرهب جيش العسرة الذي خرج به النبي -صلى الله عليه وسلم- جحافل الروم حتى فروا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام ، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي - صلى الله عليه وسلم- المتواصل وصحابته الكرام -رضي الله عنهم-، فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فكان النبي -صلى الله

عليه وسلم- يعرض بقرب أجله.

فمن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لما بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن، خرج معه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: (( **يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري، فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا** ))[1].

ومن ذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يعتكف كل سنة عشرًا في رمضان فاعتكف في السنة الأخيرة عشرين ليلة وكان جبريل يعارضه القرآن مرة في رمضان فعارضه في السنة الأخيرة مرتين.

وخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- للحج في السنة العاشرة وقال: (( **خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس** ))[2].

ونزل عليه بعرفة: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ [المائدة:٣].

وفي ثاني أيام التشريق نزل عليه قوله عز وجل: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾.

عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٥) قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان مجمع الزوائد (٩/ ٢٢).

(٢) تقدم تخريجه في حديث جابر الطويل.

وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: عمر: إنه من حيث علمتم. فدعا ذات يوم فأدخلني معهم، قال: فما رؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قوله الله -تعالى-: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾. قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يابن عباس؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعلمه له، قال: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[1].

وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يموت يكثر أن يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، استغفرك وأتوب إليك**» قال: إني أمرت فقرأ: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[2].

ومن هذه العلامات تتابع الوحي علي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: إن الله تابع الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل وفاته، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي[3].

قال الحافظ: والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك[4].

ومن هذه العلامات أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يرغبهم في كثرة

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٦٠٦، ٦٠٧) التفسير.

(٢) أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣) وقال: رواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري (٨/ ٦١٨) فضائل القرآن، ومسلم (١٨/ ١٠٢) التفسير.

(٤) فتح الباري (٨/ ٦٢٣).

ملازمته والجلوس إليه قبل أن يحرموا ذلك، ويتمنى أحدهم لـو رآه بأهلـه وماله. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**والذي نفس محمد بيده ليأتين علي أحدكم يوم ولا يراني، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم**». فأولوه علي أنه نعى نفسه إليهم وعرفهم ما يحدث لهم بعده من تمني لقائه عند فقدهم ما كانوا يشاهدون من بركاته عليه السلام(١).

قال النووي: وتقدير الكلام يأتي علي أحدكم يوم لأن يراني فيه لحظة لا يراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعًا، ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بآدابه وتعلم الشرائع وحفظها ليبلغوها، وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته(٢).

ومن هذه العلامات أنه -صلى الله عليه وسلم- خرج إلى أحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إني فرطكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**»(٣).

ومن هذه الإشارات القوية ما رواه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: «**إن الله خير عبداً بين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله**» قال: فبكى أبو بكر فعجبنا

---

(١) رواه مسلم (١٥/١١٨) الفضائل.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم هامش (١٥/١١٨، ١١٩).

(٣) روى حديث الصلاة على قتلى أحد أبو داود (٣٢٠٧ ، ٣٢٠٨) الجنائز ، وروي الحديث مختصرًا النسائي (١٤/٦١، ٦٢) الجنائز، وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم (١٨٤٦).

لبكائه أن يخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن عبد خير فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر**»[1].

**ابتداء شكوى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:**

عن عائشة قالت: رجع النبي -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم من جنازة من البقيع فوجدني، وأنا أجد صداعًا وأنا أقول: وارأساه، قال: «**بل أنا يا عائشة وارأساه**» قال: «**وما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك**» فقلت: كأني بك والله لو فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي فعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه[2].

وعن أسماء بنت عميس قالت: أول ما اشتكى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيت ميمونة فاشتد مرضه حتى أغمي عليه فتشاور نساؤه، في لده فلدوه، فلما أفاق قال: «**ما هذا**» فقلنا: هذا فعل نساء جئن من هاهنا وأشار إلى أرض الحبشة وكانت أسماء بنت عميس فيهن. قالوا: كنا نتهم بك ذات الجنب يا رسول الله، قال: «**إن ذلك لداء ما كان الله -عز وجل- ليقذفني به، لا يبقين في البيت أحد إلا يُلَدَّ إلا عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-**» يعني العباس: قالت: لقد التدّت ميمونة وإنها لصائمة لعزيمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[3].

---

(١) رواه أحمد (١٨/٣) وابن أبي شيبة (٦/١٢) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٧)، وابن سعد وهو في الصحيحين من طرق أخرى.

(٢) رواه الدارمي (٣٧/١) المقدمة، وابن ماجه (١٤٦٥) الجنائز، مختصرًا وحسنه الألباني صحيح ابن ماجه (١١٩٧).

(٣) رواه أحمد (٤٣٨/٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله ثقات (٣٣/٩) مجمع

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: كان ابتداء مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً في المشهور وقيل: أربعة عشر يوماً وقيل: اثنا عشر يوماً، وقيل: عشرة أيام وهو غريب، وكانت خطبته التي خطب بها في حديث أبي سعيد في ابتداء مرضه ففي المسند وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال خرج إلينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي مات فيه وهو معصوب الرأس فقام على المنبر فقال: «**إن عبداً** ...» الحديث[1] .

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: وذكر الخطابي أنه ابتدأ يوم الاثنين، وقيل يوم السبت، وقال الحاكم أبو أحمد: يوم الأربعاء. واختلف في مدة مرضه فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه، وقيل: عشرة أيام وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح، وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعاً وكان له -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة وستون عاماً.

فلما كان الخميس قبل خمسة أيام من الوفاة النبوية اشتد الوجع برسول الله -صلى الله عليه وسلم - فأمرهم بأن يحضروا أدوات الكتابة حتى يكتب لهم كتاباً لا يختلفوا بعده ، فأشفق بعضهم على النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: كتاب الله حسبنا، فتنازعوا أمرهم بالخروج عنه[2].

عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، فقلت: يابن عباس وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله - صلى الله عليه وسلم- وجعه فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي**» فتنازعوا، وما ينبغي عند نبي تنازع، وقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟

---

الزوائد. واللدود: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.

(١) لطائف المعارف (١٠٥، ١٠٦) والحديث تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري (٧/٧٣٦).

استفهموه، قال: «**دعوني، فالذي أنا فيه خير أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» قال: وسكت عن الثالثة أو قال: فأنسيتها[1].

وفي رواية عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما حضر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي البيت رجال، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده**» فقال بعضهم: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**قوموا**» قال عبيد الله فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم[2].

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد صلى بالناس مغرب هذا اليوم وقرأ بالمرسلات عن أم الفضل بنت الحارث قالت: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفًا ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله.

وعند العشاء اشتد عليه -صلى الله عليه وسلم- المرض بحيث لم يستطع الخروج، وكان -صلى الله عليه وسلم- قد استأذن أزواجه في أن يمرض في بيت عائشة -رضي الله عنها- فأذن له.

عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة قالت: لما ثقل النبي -صلى الله عليه وسلم - واشتد به وجعه، استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي فأذن

---

(١) رواه البخاري (٧/٧٣٨) المغازي، ومسلم (١١/٨٩،٩٠) الوصية.

(٢) رواه البخاري (٧/٧٣٨، ٧٣٩) المغازي، ومسلم (١١/٩٥) وأحمد (١/٣٣٦) وابن حبان رقم (٦٥٩٧) من الإحسان.

له ، فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- بين رجلين تخط رجلاه في الأرض، بين عباس ورجل- قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بن عباس فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ قال: لا، قال: هو عليّ، وكانت عائشة -رضي الله عنها- تحدث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال بعدما دخل بيته واشتد وجعه: **«هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس»** وأجلس في مخضب لحفصة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم طفقنا نصب عليه تلك حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن ثم خرج إلى الناس[1].

قال الحافظ: تقدم في فضل أبي بكر من حديث ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خطب في مرضه فذكر الحديث وقال فيه: **«لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر»** الحديث. وفيه: إنه آخر مجلس جلسه. ولمسلم من حديث جندب أن ذلك كان قبل موته بخمس فعلى هذا يكون يوم الخميس ولعله كان بعد أن وقع عنده اختلافهم ولغطهم كما تقدم قريبًا وقال لهم: قوموا، فلعله وجد بعد ذلك خفة فخرج[2].

## وصايا النبي -صلى الله عليه وسلم- في مرض وفاته:

تقدم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوصى بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفد كما كان يجيزهم -صلى الله عليه وسلم- وأوصى بثالثة فنسيها الراوي وقال العلماء لعله أوصى بإنفاذ جيش أسامة.

- أوصى بأن تغلق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر فقال -صلى الله عليه وسلم-: **«لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»**[3]. وهذه من الإشارات لاستخلافه -رضي الله عنه-.

(١) رواه البخاري (٢/٢٠٣) الأذان، ومسلم (٤/١٣٥- ١٣٧) الصلاة.

(٢) فتح الباري (٧/٣٤٨).

(٣) رواه البخاري (٧/١٥) فضائل الصحابة، ومسلم (١٥/١٥١) الفضائل.

ومن هذه الإشارات حرصه -صلى الله عليه وسلم- وتأكيده بأن يصلي أبو بكر -رضي الله عنه- بالناس. عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مرضه: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**» قالت عائشة: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس. فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس. ففعلت حفصة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مه، إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً[1].

**- وأوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأنصار خيراً.**

عن أنس قال: مر أبو بكر والعباس -رضي الله عنهما- بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون ، فقال: ما يبكيكم ؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- فينا فدخل على النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد عصب على رأسه حاشية بُرد، قال: -فصعد المنبر-ولم يصعد بعد ذلك اليوم- فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**»[2].

(١) رواه البخاري (٢/١٩٢، ١٩٣) الأذان، ومالك في الموطأ(١/١٧٠) قصر الصلاة في السفر.

(٢) رواه البخاري (٧/١٥١) مناقب الأنصار، ومسلم (١٦/٦٨) الفضائل. وقوله: كرشي وعيبتي: أي موضع سري وأماني. وقيل: جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمدهم في أموري.

- وأوصى -صلى الله عليه وسلم- بتعظيم الرب -عز وجل- في الركوع والاجتهاد في الدعاء في السجود كما أوصى -صلى الله عليه وسلم- بالصلاة.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كشف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «**أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم**»[1].

وعن أم سلمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**» . فمازال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه[2].

- ومن ذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- نهى عن بناء المساجد على القبور. عن عائشة وابن عباس -رضي الله عنهم- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما حضرته الوفاة جعل يلقي علي وجهه طرف خميصة فإذا

(١) رواه مسلم (٤/١٩٦) الصلاة. وقوله: (قمن) قال النووي: معناه حقيق وجدير وفيه الحث على الدعاء في السجود، شرح النووي على صحيح مسلم هامش٤ (١٩٧، ١٩٨).

(٢) رواه أحمد (٣/١١٧)، وابن ماجه (٢٦٩٧)، الوصايا، والحاكم (٣/٥٧) المغازي، وقال الحاكم: قد اتفقا على إخراج هذا الحديث وقال الذهبي: فلماذا أوردته، وقال الألباني: وكل ذلك وهم فإنهما لم يخرجاه. وقد ذكره الألباني في الإرواء ولم ينسبه للصحيحين أو أحدهما وللحديث شاهد عند أبي داود وعنه البيهقي من حديث علي (كان آخر كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) وانظر إرواء الغليل رقم (٢١٧٨).

اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» تقول عائشة: يحذر مثل الذي صنعوا[١].

قال الحافظ: وكأنه -صلى الله عليه وسلم- علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم[٢].

- ومن ذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- أوصى عثمان -رضي الله عنه- بالصبر على البلاء الذي سيصيبه وأن لا يتنازل عن الخلافة.

عن عائشة قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مرضه: «**وددت أن عندي بعض أصحابي**» قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان: قال: نعم. فجاء فخلا به، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يكلمه ووجه عثمان يتغير . قال قيس : فحدثني أبو سهلة مولى عثمان أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عهد إليّ عهداً فأنا صائر إليه، وقال علي في حديثه: وأنا صابر عليه. قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم[٣].

---

(١) رواه البخاري (٧/٧٤٧) المغازي، ومسلم (٥/١٢، ١٣) المساجد.

(٢) فتح الباري (١/٦٣٤).

(٣) رواه ابن ماجه (١١٣) المقدمة وابن أبي عاصم في السنة (١١٧٥)، وابن سعد (٣/٦٦)، وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سهلة مولى عثمان وهو ثقة كما قال ابن حبان والعجلي والعسقلاني وانظر ظلال الجنة في تخريج السنة (٢/٥٦٠).

## وفاة خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم-

### الشاة المسمومة:

بعد أن فتح الله خيبر واطمأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جاءت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وسألت أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؟ فقيل لها: الذراع. فذبحت زينب بنت الحارث اليهودية شاة وأكثرت في ذراعها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها وأهدت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- الشاة، فلما وضعتها بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تناول الذراع، فلاك منها مضغة ، فلم يستسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فأما بشر بن البراء فقد استساغها، وأما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلفظها ثم قال: «**إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم**» ثم دعا بزينب بنت الحارث ... فاعترفت فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**وما حملك على ذلك؟**» قالت زينب بنت الحارث: بلغت من قومي -يهود خيبر- ما لم يخف عليك فقلت: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيخبر. فتجاوز عنها نبي الرحمة -صلى الله عليه وسلم- ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل. رواه الطبري في تاريخه.

### مرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

ظل أبو القاسم -صلى الله عليه وسلم- يشتكي ألم الطعام الذي أكل بخيبر حتى عاد من مكة بعد أداء فريضة الحج، حجة الوداع أو حجة الشرائع، وذات ليلة خرج الشافع المشفع -صلى الله عليه وسلم- إلى البقيع فاستغفر لموتى المسلمين ثم رجع إلى أهله فوجد عائشة وهي تجد صداعًا في رأسها وهي تقول وارأساه.

فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**وما يضرك لو مت فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك**» فقالت بنت أبي بكر: واثكلاه، والله إنك لتحب موتي، فلو كان ذلك لظللت يومك معرسًا ببعض أزواجك. فتبسم الهادي البشير -صلى الله عليه وسلم-، وقال: «**بل أنا وارأساه**».

ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: «**يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري** -عرق في الصلب أو في الذراع أو باطن القلب تتشعب منه سائر الشرايين إذا انقطع مات صاحبه، يعني أنه نقض عليه سم الشاة المسمومة يوم خيبر- **من ذلك السم**»(١).

ودخلت أم بشر بن البراء بن معرور على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مرضه فمسته فقالت : ما وجدت مثل وعكك عليك على أحد. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**كما يضاعف لنا الأجر - الأنبياء- كذلك يضاعف علينا البلايا ، ما يقول الناس؟**» قالت: زعموا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصابه ذات الجنب.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ما كان الله ليسلطها عليّ -ذات الجنب- إنما هي همزة من الشيطان ولكنه من الأكلة التي أكلت أنا وابنك -بشر بن البراء- يوم خيبر، ما زال يصيبني منها عداد -اهتياج وجع اللديغ وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ هاج به الألم حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري**» رواه ابن سعد.

## الساعات الأخيرة من حياة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-:

اشتد وجع النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك لمضاعفة أجره ورفع درجته.

---

(١) رواه البخاري.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قال فقلت: ذلك أن لك أجرين. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أجل**» ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»[١].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٢].

وخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- في صبح اليوم الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبوه وأحبهم نظرة وداع فكادوا يفتنون من الفرحة به -صلى الله عليه وسلم- ظنًا منهم أنه -صلى الله عليه وسلم- قد عوفي من مرضه و لم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقي بهم على حوضه وفي جنة الله -عز وجل- ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة، كشف النبي -صلى الله عليه وسلم- ستر الحجرة، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي - صلى الله عليه وسلم -، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن أتموا صلاتكم

(١) رواه البخاري (١٠/١١٦) المرض، ومسلم (١٦/١٢٧) البر والصلة والآداب.

(٢) رواه البخاري (١٠/١١٥) المرض، ومسلم (١٦/١٢٦) البر والصلة والآداب.

وأرخى الستر فتوفي من يومه. ثم لم تأت على النبي صلاة أخرى[١].

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرأيته ينظر إليه: وعرفت أنه يحب السواك. فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته فاشتد عليه ، قلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فلينته، فأمره وبين يديه ركوة أو علبة - يشك عمر- فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بهما وجهه يقول : «**في الرفيق الأعلى**» حتى قبض - صلى الله عليه وسلم- ومالت يده[٢].

وفي رواية : قالت: مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-[٣].

وكان آخر ما تكلم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: اللهم الرفيق الأعلى.

عن عائشة قالت: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه علي فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى** -فقلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها-: **اللهم الرفيق الأعلى**»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢/١٩٢) الأذان، ومسلم (١/٣١٥) الصلاة.

(٢) رواه البخاري (٧/٧٤٥) المغازي. والركوة: وعاء من جلد.

(٣) رواه البخاري (٧/٧٤٧) المغازي. والحاقنة: ما سفل من الذقن، والذاقنة ما علا منه أو الحاقنة نقرة الترقوة. وقال ثابت الذاقنة. طرف الحلقوم.

(٤) رواه البخاري (٧/٧٥٦، ٧٥٧) المغازي.

وعن أنس قال: لما ثقل النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل يتغشاه فقالت فاطمة -رضي الله عنها-: واكرب أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل تنعاه، فلما دفن قالت فاطمة -رضي الله عنها-: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التراب[1] كل المصائب تهون عند هذه المصيبة.

كانت الجمادات تتصدع من فراق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكيف بقلوب المؤمنين، لما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه حن إليه وصاح كما يصيح الصبي، كان الحسن يقول: خشبة تحن إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

قال في تسلية أهل المصائب: ومن أعظم المصائب في الدين موت النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم لأن بموته -صلى الله عليه وسلم- انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد الذين ارتدوا عن الدين من الأعراب، فهذا أول انقطاع عرى الدين ونقصانه وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى.

قال أبو العتاهية مسلياً بعض إخوانه في ولد له اسمه محمد:

**اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد**
**أوما ترى أن المصائب جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد**
**من لم يصب ممن ترى بمصيبة ... هذا سبيل لست فيه بأوحد**
**فإذا ذكرت محمداً ومصابه ... فاذكر مصابك بالنبي محمد**[2]

---

(١) رواه البخاري (٧/٧٥٥) المغازي، وأحمد (٣/٢٠٤) مختصراً، والدارمي (١/٤٠،٤١) وابن ماجه (١٦٣٠) الجنائز.

(٢) تسلية أهل المصائب لأبي عبد الله محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، (ص ١٧،١٨) طـ. مكتبة الفرقان، ١٤٠٣هـ.

عن أنس -رضي الله عنه- قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا[١].

**قال الأستاذ سعيد حوى -رحمه الله-**: قوله: وما نفضنا عن النبي الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا. فيه رد على من ادعى أن حال الصحابة ورقيهم الروحي لا يفسر بوجود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على رأسهم وهو قول انتشر في هذا العصر ويكفي في رده قوله جل جلاله في حق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿**ويزكيهم**﴾ كما أن في هذا الحديث ما يدل على أن الرقي القلبي منوط بالاجتماع مع أهل الحق والارتباط الروحي فيهم ومن هاهنا نؤكد على الانتساب للعلماء العاملين والربانيين المخلصين ونؤكد على الأخذ منهم ومجالسة الصالحين من عباد الله[٢] .

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: لما توفي -صلى الله عليه وسلم- اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال : إنما بعث إليه[٣] .

**وقال الأستاذ منير محمد الغضبان ما ملخصه**: ونقف قليلاً عند بعض المعاني التي يحسن أن نستشعرها ونتأسى بها في وفاة رسول الله -صلى الله

---

(١) رواه الترمذي (١٣/١٠٤، ١٠٥) المناقب. وقال: هذا حديث غريب صحيح. وابن ماجة (١٦٣٠) الجنائز، والحاكم مختصراً (٣/٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وأقره الذهبي وصححه الألباني في مختصر الشمائل وصحيح ابن ماجه.

(٢) الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية (٢/١٠٤٦) دار السلام.

(٣) لطائف المعارف (١١٣، ١١٤) باختصار.

عليه وسلم- .

-حادث الوفاة نفسه وأثره الوجداني والشعوري على نفوس المسلمين وأن يغيب عن الدنيا أكمل إنسان فيها وأعظم إنسان فيها، وما فقدته البشرية ورزئت به من غياب شخصه -صلوات الله عليه- عنها وهو أمر جلل لا يعدله مصيبة لقد غاب عن هذه الأرض سيد ولد آدم ، أعظم القادة وأعظم المربين وأعظم الدعاة وأعظم الأخلاقيين وأعظم الحكام وأعظم العلماء وأعظم المفكرين وأعظم البشر خاتم النبيين ورسول رب العالمين.

وكانت هذه السنوات القليلة من تاريخ البشرية هي أعظم سنواتها وأبرك حياتها وتكون أعظم جيل في هذا الوجود.

ولابد أن يستشعر الداعية المسلم دائمًا وأبدًا هذا المعنى وأن مصابه بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يعدله مصاب[١].

**قال الشيخ محمد الغزالي**: ويتسرب النبأ الفادح من البيت المحزون وله طنين في الآذان وثقل ترزح تحته النفوس وتدور به البصائر والأبصار . وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة أظلمت فتركتهم لوعة الثكل حيارى، لا يدرون ما يفعلون[٢].

## مواقف الصحابة - رضي الله عنهم - واختيار ا لخليفة قبل دفن الجسد الشريف:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مات، وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل: تعني بالعالية- فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فيقطعن أيدي رجال

---

( ١ ) باختصار من فقه السيرة لمنير محمد غضبان ( ٧٢٧ ) ط. جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

( ٢ ) فقه السيرة للغزالي ( ٤٩٠ ).

وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقبله فقال: بأبي أنت طبت حيًّا وميتًا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج، فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً - صلى الله عليه وسلم - فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ [الزمر:٣٠]، وقال: ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ [آل عمران:١٤٤]. قال فنشج الناس يبكون. قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر. وكان عمر يقول: ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب ابن المنذر: لا والله، لا نفعل منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم والوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله[1].

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٣، ٢٤) فضائل الصحابة: وقوله: (قتلتم سعد بن عبادة)، أي بالازدحام على بيعة أبي بكر وطئتم سعد بن عبادة -رضي الله عنه- وكان مريضًا. وقول عمر -رضي الله عنه-: (قتله الله) دعاء عليه لتخلفه عن بيعة أبي بكر وكاد بطلبه الخلافة يفرق كلمة المسلمين وقد فارق سعد بن عبادة المدينة بعد ذلك إلى الشام حتى مات بها -رضي الله عنه-.

## تجهيز الجسد الشريف:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما أرادوا غسل النبي -صلى الله عليه وسلم- قالوا: والله لا ندري أنجرد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله تبارك وتعالى عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت - لا يدرى من هو: أن غسلوا النبي -صلى الله عليه وسلم- وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، ويدلكون بالقميص دون أيديهم، وكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه[1]. وكفن -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة أثواب سحولية بيضاء.

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كفن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة أثواب سحول كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة[2]. والسحول نسبة إلى قرية باليمن والكرسف هو القطن.

وعنها -رضي الله عنها- قالت: غطي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حلة يمانية كانت لعبد الله بن أبي بكر، ثم نزعت منه، فكفن في ثلاثة أثواب سحول يمانية، وليس فيها عمامة ولا قميص، فنزع عبد الله الحلة

---

(١) رواه أبو داود (٣١٢٥) الجنائز، وابن حبان (٥٩٦/١٤) رقم (٦٦٢٨) من الإحسان وأحمد (٢٦٧/٦) والبيهقي في السنن (٣٨٧/٣) وفي الدلائل (٢٤٢/٧) وابن ماجه مختصراً مقتصراً على الجزء الأخير ١٤٦٤) وقال السندي: حديث محمد بن إسحاق هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات، ومحمد بن إسحاق قد صرح بالتحديث. وقال محقق الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: إسناده قوي.

(٢) رواه البخاري (١٦٧/٣) الجنائز، ومسلم (٨،٧/٧) الجنائز، ومالك في الموطأ (٢٢٣/١) الجنائز، والنسائي (٣٥/٤) الجنائز.

وقال: أكفن فيها، ثم قال: لم يكفن فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأكفن فيها، فتصدق بها[1]

ولحد للنبي -صلى الله عليه وسلم- في قبره، ونصب اللبن عليه نصبًا، ووضعت له قطيفة حمراء، ودخل قبره العباس، وعليّ، والفضل، وسوى لحده رجل من الأنصار وهو الذي سوى لحود الشهداء يوم بدر، وكان ذلك ليلة الأربعاء ثاني عشر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة وكانت فاطمة -رضي الله عنها- تقول: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التراب[2].

قال الحافظ: أشارت -رضي الله عنها- بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره.

ونختم بقول أبي العتاهية:

**ليبك رسول الله من كان باكيا ** فلا تنس قبرًا بالمدينة ثاويًا**

**جزى الله عنا كل خير محمدًا ** فقد كان مهديا وقد كان هاديا**

---

(١) رواه مسلم (٩/٧) الجنائز، وابن حبان (١٤/٥٩٨) رقم (٦٦٢٩) الإحسان، قال النووي: فيه أن السنة في الكفن ثلاثة أثواب للرجل وهو مذهبنا ومذهب الجماهير والواجب ثوب واحد كما سبق والمستحب في المرأة خمسة أثواب. وهذا الحديث يتضمن أن القميص الذي غسل فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- نزع عنه عند تكفينه وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لأنه لو بقي مع رطوبته لأفسد الأكفان. قلت: ويؤيده ما رواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً ملبدًا وإزارًا غليظًا فقالت: قبض رسول الله في هذين. رواه مسلم (١٤/٥٧١) اللباس.

(٢) تقدم تخريجه.

وكان رسول الله روحًـــا ورحمـــة ** ونورًا وبرهانًـــا مـــن الله باديـــا

وكان رســـول الله بالخـير آمـــرًا ** وكان عن الفحشاء والسوء ناهيًا

وكان رسول الله بالقســـط قائمًـــا ** وكان لما استرعاه مـــولاه راعيـــا

وكان رسول الله يدعو إلى الهـــدى ** فلبى رســـول الله لبيـــه داعيـــا

أينسى أبر الناس بالنـــاس كلهـــم ** وأكرمهم بيتًـــا وشـــعبًا وواديـــا

تكدر مـــن بعـــد النـــبي محمـــد ** عليه سلام الله ما كـــان صافيـــا

ركنـــا إلى الدنيـــا الدنيـــة بعـــده ** وكشف الأطماع منـــا مســـاويا

وكم من منار كان أوضحـــه لنـــا ** ومن علم أمسى وأصبـــح عافيـــا

إذا المرء لم يلبس ثيابًا مـــن التقـــى ** تقلب عريانًا وإن كـــان كاســـيا

وخير خصال المرء طاعة ربـــه ** ولا خير فيمن كـــان لله عاصيـــا

❀❀❀

وقد أجمع أهل العلم أنه -صلى الله عليه وسلم- توفي عن ثلاثة وستين عامًا قضى منها أربعين قبل البعثة وثلاثة عشر عامًا بعد البعثة بمكة وعشـــر سنين في المدينة بعد الهجرة وكانت وفاته في ربيع من السنة الحادية عشرة من الهجرة وما ترك دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة إلا بغلته التي كان يركبها وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة فصلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم تسليمًا.

## الفوائد والآثار الإيمانية:

١- قال الأستاذ سعيد حوى تحت عنوان (نظرة عامة على أحـــداث السنتين العاشرة والحادية عشرة) ما ملخصه:

وصلت الأمة في هاتين السنتين إلى مرحلة النضج، وكان ذلك يقتضي لمسات أخيرة، وكانت من علامة النضج أن ترك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للأمة بعده أن تسير من خلال شوراها، ومن أهم اللمســـات الـــتي

احتاجتها مرحلة الإنضاج إشارته إلى الرجل المؤهل بعده، وإزالة كل ما يمكن أن يستند إليه المغرضون ، وإيجاد التطلع نحو العمل الخارجي من خلال بعث أسامة .

- وسع -صلى الله عليه وسلم- في هاتين السنتين دائرة التلقي المباشر منه من خلال استقباله الوفود، ومن خلال رحلة الحج، فأوجد قاعدة عريضة تحمل دعوته وقد تلقت عنه مباشرة، وكان لذلك أكبر الأثر في أن تبقى رحى الإسلام دائرة وإلى الأبد .

- عندما تنجح الدعوات الصادقة يتوضح على هامشها دعوات كاذبة ولقد بدأت دعاوي النبوة تظهر في أخريات حياته عليه الصلاة والسلام فظهر مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن.

- وبقدر ما أعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للإسلام حيوية في القلوب بفضل الله فقد كان هناك تيار معاكس -هو تيار الردة- ينتظر الفرصة للظهور وما أن توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى ظهر هذا التيار على أشده حاوياً كل أولئكم الذين لم يدخل الإسلام إلى قلوبهم والذين قطعت هيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نياط قلوبهم فأسلموا لأنهم لم يكن أمامهم إلا أن يسلموا فبدأ صرا جديد بين التيارين، تيار الإيمان الصادق وتيار الجهل الماحق وتغلب تيار الإيمان وهذا وحده كافٍ للدلالة على أن قوة التأسيس كانت أكبر من كل قوة أخرى وذلك توفيق الله أولاً وأخيراً وفيه يظهر ما أكرم الله به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من خيرات وبركات.

- ولم يتوف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا وقد أوجد سوابق حركية في كل جانب من الجوانب التي تتطلبها الحركة الإسلامية: دعوياً وتربوياً وثقافياً وتعليمياً ، وجهادياً ، لقد كانت السوابق على منتهى

الجلال، فسجلت أرفع التضحيات وأعلى أنواع القدوة ولذلك ذاب جيل الصحابة في العالم وأعطى هذا الإسلام دفعة الحياة إلى قيام الساعة[1].

**٢- وقال الأستاذ محمد سعيد رمضان ما ملخصه:**

في أحداث هذا القسم الأخير من سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- تلوح قصة الحقيقة الكبرى في هذا الوجود التي يسقط عندها جبروت المتجبرين وعناد الملحدين وطغيان البغاة والمتألهين.

حقيقة تسربل بها العصاة والطائعون، والرؤساء والمتألهون، والرسل والأنبياء، والمقربون والأصفياء والفقراء ودعاة العلم والاختراع ولقد كان من اليسير على الله -عز وجل- أن يجعل مرتبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فوق مستوى الموت وآلامه ولكن الحكمة الإلهية شاءت أن يكون قضاء الله -تعالى- في تجرع هذا الكأس بشدتها وآلامها عامًا لكل أحد مهما كانت درجة قربه من الله جل جلاله، حتى يعيش الناس في معنى التوحيد وحقيقته، وحتى يدركوا جيداً أن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً فليس لأحد أن يتمطى ليعلو بنفسه عن مستوى العبودية

بعد أن عاش رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاضعًا لحكمها، ونزل به قضاؤها، وليس لأحد أن لا يكثر من ذكر الموت وسكرته بعد أن عانى حبيب الله -تعالى- من برحائها وغشيته آلامها وهذا المعنى هو ما أوضحه كلام الله جل جلاله: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [الزمر:٣٠].

﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾[الأنبياء:٣٤،٣٥].

---

(١) الأساس في السنة وفقهها (٢/١٠٥٤، ١٠٥٥) باختصار.

# أقوال الصالحين في ذكر الموت

## أقوال الخلفاء الراشدين عند الموت:

### أبو بكر الصديق:

كان سبب موت الخليفة الأول وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كمدا -الكمد: الحزن المكتوم- فما زال جسمه يجري -ينقص- حتى مات.

وقيل: إن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة -لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق- وإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة - أهديت لأبي بكر فقال الحارث بن كلدة لأبي بكر الصديق:

ارفع يدك يا خليفة رسول الله إن فيها لسم سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد.

فرفع الخليفة الأول يده، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة. رواه ابن سعد.

وتقول أم المؤمنين عائشة: كان بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة كان يومًا بارداً فحُمَّ -أصابته حمى- خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وله ثلاث وستون سنة.

وقيل: إن أبا بكر في مرضه قالوا له: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال الصديق: قد نظر إليّ. فقالوا: ما قال لك؟ قال خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إني فعال لما أريد.

ودخلت عليه ابنته عائشة فتمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقض:

**وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ** ثمال اليتامى عصمة للأرامل**

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. رواه ابن أبي شيبة والإمام أحمد وابن سعد.

ثم قال خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين. قال: فإن مت في ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فإن أحب الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. رواه الإمام أحمد عن عائشة.

فقالت عائشة:

**لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ** إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر**

فقال خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

لا تقولي هكذا يا بنية ولكن قولي: ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾[1].

ثم قال أبو بكر الصديق: انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما، لأن الحي أحوج إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهلة- القيح والصديد الذي يذوب فيسيل من الجسد-. رواه الإمام أحمد في الزهد.

ولما احتضر أبو بكر الصديق حضره ناس من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا خليفة رسول الله زودنا فإنا نراك لما بك. قال الصديق: كلمات من قالهن حين يمسي ويصبح جعل الله روحه في الأفق المبين. قالوا: وما الأفق المبين؟.

قال خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قاع تحت العرش فيه رياض وأشجار وأنهار يغشاه كل يوم ألف رحمة- أو قال: مائة رحمة- فمن مات على ذلك القول جعل الله روحه في ذلك المكان: اللهم إنك ابتدأت الخلق بلا حاجة بك إليهم فجعلتهم فريقين: فريقًا للنعيم وفريقًا للسعير،

---

(١) ق: ١٩

فاجعلني للنعيم، ولا تجعلني للسعير. اللهم إنك خلقت الخلق فرقًا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيًا وسعيدًا وغويًا ورشيدًا. فلا تشقني بمعاصيك، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس من قبل أن تخلقها فلا محيص -مهرب- مما علمت، فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك، اللهم إن أحدًا لا يشاء حتى تشاء، فاجعل مشيئتك لي أن أشاء ما يقربني إليك، اللهم إنك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك، فاجعل حركاتي في تقواك، اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به، فاجعلني من خير القسمين، اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلاً فاجعلني من سكان جنتك، اللهم إنك أردت بقوم الهدى وشرحت صدورهم، وأردت بقوم الضلالة وضيقت صدورهم، فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي، اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك، فأحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك زلفى، اللهم من أصبح وأمسى ثقته رجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذا كله في كتاب الله -عز وجل-. رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن سعيد بن المسيب.

### عمر بن الخطاب:

خطب الفاروق الناس يوم الجمعة .. فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس، إني رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت أن ديكًا أحمر نقرني نقرتين فحدثتها أسماء بنت عميس فحدثتني أنه يقتلني رجل من الأعاجم. رواه ابن سعد عن سعيد بن أبي هلال.

فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال: مضى يومان وبقي يوم. فلما كان أمير المؤمنين عمر يصلي صلاة الصبح من يوم الأربعاء. لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ضربه أبو لؤلؤة -فيروز- المجوسي بخنجر ثلاث ضربات فخر عمر من قامته.

يقول عمرو بن ميمون: شهدت عمر يوم طعن فما منعني أن أكون في الصف المقدم إلا هيبته وكان رجلاً مهيبًا فكنت في الصف الذي يليه، وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المقدم بوجهه، فإن رأى رجلاً متقدمًا من الصف أو متأخرًا ضربه بالدرة، فذلك الذي منعني منه، وأقبل عمر فعرض له أبو لؤلؤة فطعنه ثلاث طعنات، فسمعت عمر يقول هكذا بيده قد بسطها: دونكم الكلب قد قتلني، وماج الناس بعضهم في بعض، فصلى بنا عبد الرحمن بن عوف بأقصر سورتين: ﴿**إذا جاء نصر الله**﴾ و﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ رواه ابن سعد والحارث.

وجاء الناس يثنون على أبي حفص ويودعونه فقال: أبالإمارة تزكوني؟ لقد صحبت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقبض الله رسوله وهو عني راضٍ ثم صحبت أبا بكر فسمعت وأطعت فتوفي أبو بكر وأنا سامع مطيع وما أصبحت أخاف على نفسي إلا إمارتكم هذه. رواه ابن سعد وابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد.

وقال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله: يا بني إذا حضرتني الوفاة فاحرفني واجعل ركبتيك في صلبي وضع يدك اليمنى على جنبي -أو جبيني- ويدك اليسرى على ذقني، فإذا قبضت فأغمضني، واقصدوا في كفني، فإنه كان لي عند الله خير أوسع لي فيها مد بصري، وإن كنت على غير ذلك ضيقها عليّ حتى تختلف أضلاعي، ولا تخرج معي امرأة، ولا تزكوني بما ليس فيّ، فإن الله هو أعلم بي، فإذا خرجتم فأسرعوا المشي، إن كان لي عند الله خير قدمتموني إلى ماهو خير لي، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شرًا تحملونه. رواه ابن سعد وابن أبي الدنيا في القبور.

وقال الفاروق: هذا حين لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع. فقال عبد الله بن عباس: يا أمير المؤمنين والله إن كان إسلامك لنصرًا، وإن كانت إمارتك لفتحًا ولقد ملأت الأرض عدلاً.

فقال عمر بن الخطاب: أتشهد لي بهذا عند الله يوم تلقاه؟ قال ابـــن عباس: نعم. ففرح بذلك عمر وأعجبه. رواه ابن سعد وابن عساكر عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

يقول عمرو بن ميمون: رأيت عمر لما طعن عليه ملحفـــة صفـــراء وضعها في جرحه وهو يقـــول: **﴿وكـــان أمـــر الله قـــدرًا مقـــدورًا﴾** [الأحزاب:٣٨]. رواه ابن سعد وأبن أبي شيبة.

وسمع عمر بن الخطاب جلساءه يثنون عليه فقال: إن من غره عمـــره لمغرور، وإنه لوددت أن أخرج منها كما دخلت فيها، لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع. رواه ابن ســعد والعســكري في المواعظ عن الشعبي.

وكان آخر كلمات الفاروق: ويلي وويل لأمي إن لم يغفـــر الله لي، وويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، وويلي وويل أمي إن لم يغفـــر الله لي. رواه ابن سعد عن عثمان بن عفان.

## عثمان بن عفان:

لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان صعد ذو النورين المنبر فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شرًا، أذعتم السيئة وكتمتم الحسنة وأغريتم بي غوغاء الناس، أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم ما الذي نقموا؟ وما الذي يريدون -قالها ثلاث مرات-؟

فلم يجبه أحد، فقام أبو الحسن فقال: أنا. فقال عثمان بن عفان: أنت أقربهم رحمًا وأحقهم بذلك. فأتى علي بن أبي طالب المتمردين فرحبوا بـــه وقالوا: ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك. فتساءل أبو الحسن: ما الـــذي نقمتم؟ قالوا: نقمنا أنه محا كتاب الله، وحمى الحمى، واســـتعمل أقربـــاءه، وأعطى مروان مائتي ألف، وتناول أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فعاد علي إلى ذي النورين فرد عليهم: أما القرآن فمن عند الله، إنمـــا

نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف فاقرءوا على أي حرف شئتم وأما الحمى فوالله ما حميته لإبلي ولا غنمي وإنما حميته لإبل الصدقة لتسمن وتصلح وتكون أكثر ثمنًا للمساكين، وأما قولكم: إني أعطيت مروان مائتي ألف فهذا بيت مالهم فيستعملوا عليه من أحبوا، وأما قولهم: تناول أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فإنما أنا بشر أغضب وأرضى، فمن ادعى قبلي حقًا أو مظلمة فهذا أنا، فإن شاء قود -القود: القصاص وقتل القاتل بدل القتيل-، وإن شاء عفو وإن شاء أرضى.

فرضي الناس واصطلحوا ودخلوا مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكتب بذلك إلى أهل البصرة وأهل الكوفة: فمن لم يستطع أن يجيء فليوكل وكيلاً. رواه أبي دواد وابن عساكر عن إسماعيل بن أبي خالد.

ولكن ما أصلح عليه لم ينفذ. فعاد المتمردون وحاصروا دار ذي النورنين فأشرف عليهم وقال: إني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المنام فقال: إنك تفطر عندنا الليلة، فأصبح صائمًا وقتل من يومه [1].

ودخل المصريون على عثمان والمصحف في حجره يقرأ فيه فضربوه بالسيف على يده فوقعت يده على: ﴿**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾[2]. فمد يده وقال: والله إنها لأول يد خطت المفصل. رواه ابن راهويه وأبو داود في المصاحف وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر عن أبي سعيد مولى بني أسد.

قال عثمان بن عفان: يا قوم... بم تستحلون قتلي؟ وإنما يحل القتل على ثلاثة: من كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفسًا بغير نفس، ولم آت من ذلك شيئًا والله لئن قتلتموني لا تصلوا جميعًا ولا تجاهدوا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى والحاكم.

(٢) البقرة: ١٣٧.

عدواً جميعًا إلا عن أهواء متفرقة. رواه نعيم بن حماد في الفتن عن عبد الرحمن بن جبير.

يقول الصحابي الجليل النعمان بن بشير: حدثتني نائلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان فقالت: لما حوصر عثمان ظل يومه صائمًا، فلماكان عند الإفطار سألهم الماء العذب فقالوا: دونك هذا الركي - البئر وجمعها ركايا- وإذا ركى يلقى فيه النتن، فبات تلك الليلة على حاله لم يطعم.

فلما كان من السحر أتيت جارات لنا فسألتهم الماء العذب فجئته بكوز من ماء فأيقظته فقلت: هذا ماء عذب قد أتيتك به. قال ذو النورين: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أطلع عليّ من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال اشرب عثمان فشربت حتى رويت، ثم قال: ازدد، فشربت حتى تملأت، فقال: إن القوم سيكثرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم فطرت عندنا.

قالت نائلة بنت الفرافصة: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه. رواه ابن منيع وابن ابي عاصم.

## علي بن أبي طالب:

تنبأ الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم- بمقتل ربيبه فقال لعلي بن أبي طالب: من أشقى الأولين؟ قال أبو الحسن: عاقر الناقة. فتساءل الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: فمن أشقى الآخرين؟ قال علي ابن أبي طالب: لا أدري. قال أبو القاسم -صلى الله عليه وسلم-: الذي يضربك على هذا -أشار إلى مقدم رأسه الأيسر- فتخضب هذه منها بدم. ثم أخذ بلحيته وقال له: يقتلك أشقى هذه الأمة كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود. رواه ابن عساكر عن علي.

وتحققت نبوءة خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم- بعد ثلاثين سنة فقد خرج أبو الحسن ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان للصلاة فنادى:

أيها الناس الصلاة الصلاة. فضربه عبد الرحمن بن ملجم على قرنه بالسيف وقال: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك. فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: لا يفوتنكم الرجل. فشد الناس على ابن ملجم فأخذوه وتأخر الإمام عليّ وقدم جعدة بن هبيرة يصلي بالناس الغداة.

وأقبل الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين استخلف علينا. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أترككم كما ترككم رسول الله -صلى الله عليه وسلم، قلنا: يا رسول الله استخلف علينا: قال: إن يعلم الله فيكم خيراً يول عليكم خياركم، فعلم الله فينا خيراً فولى علينا أبا بكر. رواه الحاكم في مستدركه وابن السني في كتاب الإخوة عن صعصعة بن صوحان.

ثم تساءل أبو الحسن: ما فعل بضاربي؟ قالوا: أخذناه. قال ربيب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي، فإذا عشت رأيت فيه رأي، وإن أنامت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها. ثم أوصى ابنه الحسن أن يغسله وقال: لا تغال في الكفن، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((**لا تغالوا في الكفن فإنه يسلبه سلبًا سريعًا**)) رواه أبو داود في سننه.

ثم أضاف قائلاً: امشوا بين المشيتين لا تسرعوا بي ولا تبطئوا، فإن كان خيراً عجلتموني إليه، وإن كان شراً ألقيتموني عن أكتافكم.

وكان آخر كلمات أمير المؤمنين عليّ: لا إله إلا الله. حتى قبض.

## حديث المحتضرين من الصحابة

### معاذ بن جبل - رضي الله عنه - :

لما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال: اللهم إني قد كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري النهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء عند حلق الذكر.

ولما اشتد به النزع، ونزع نزعًا لم ينزعه أحد، كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب ما أحنقني -الحنق: الغيظ- حنقك، فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك.

## سلمان الفارسي -رضي الله عنه-:

لما حضر سلمان الفارسي الموت بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال سلمان: ما أبكي جزعًا على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن تكون بلغة -ما يكفي لسد الرمق- أحدنا من الدنيا كزاد الراكب.

ولما مات صاحب أطول هجرة في التاريخ نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا أو بضعة وعشرون درهمًا، أو بضعة وثلاثون درهمًا. أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

## بلال بن رباح -رضي الله عنه-:

لما حضرت الوفاة مؤذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت امرأته : واحزناه. فقال سيد الحبشة وسابقها إلى الإسلام: واطرباه غدًا نلقى الأحبه محمدًا وحزبه.

## معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما-:

لما حضر معاوية الموت قال لمن حوله: أقعدوني. فأقعد، فجعل يسبح الله -تعالى ويذكر ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط؟ ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان؟

وبكى حتى علا بكاؤه وقال: يا رب ارحم الشيخ العاصي، ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة، واغفر الزلة، وعد بحلمك على من لم يرج غيرك و لم يثق بأحد سواك.

ولما نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى -موضع أو واد بين المدينة ومصر- وإنني لم آل من هذا الأمر شيئًا.

# حديث المحتضرين من التابعين والصالحين

## عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-:

تقول فاطمة بن عبد الملك بن مروان امرأة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار.

فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين**﴾[1].

ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلامًا، فقلت لوصيف له: انظر أنائم هو؟.

فلما دخل صاح، فوثبت فإذا هو ميت.

وقيل: إنه لما ثقل الخليفة الخامس دعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم، ولا آمن عليه الموت. فرفع عمر بن عبد العزيز بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضًا على من لم يسق السم؟ قال الطبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: نعم، قد عرفت ذلك حين وقع في بطني. قال الطبيب: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإن أخاف أن تذهب نفسك . قال خامس الخلفاء الراشدين : ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شقائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته، اللهم خر لعمر في لقائك. فلم يلبث إلا أيامًا حتى مات.

وقيل: لما حضرت الوفاة عمر بن عبد العزيز بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا، وأظهر بك عدلاً. فبكى ثم قال: ألست أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لو عدلت فيهم لخفت

---

(١) القصص: ٨٣

على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي، إلا أن يلقنها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه، ولم يلبث إلا يسيرًا حتى مات.

### الحجاج بن يوسف الثقفي:

قال الحجاج بن يوسف عند موته: اللهم اغفر لي، فإن الناس يقولون: إنك لا تغفر لي. فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها . ولما سمع الحسن البصري قول الحجاج عند موته تساءل: أقالها؟ قالوا: نعم. قال الحسن البصري: عسى.

### هارون الرشيد:

انتقى هارون الرشيد أكفانه بيده عندما حضرته الوفاة، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿**ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه**﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

### إبراهيم النخعي:

لما حضر إبراهيم النخعي الموت بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال إبراهيم النخعي: أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار.

### ابن المنكدر:

لما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال ابن المنكدر: والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته، ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

### عبد الله بن المبارك:

فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال: ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾ [الصافات: ٦١].

وقيل: لما حضر الموت ابن المبارك قال لفتاه نصر: اجعل رأسي على التراب. فبكى نصر فسأله عبد الله بن المبارك: ما يبكيك؟ قال نصر: ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيرًا غريبًا. قال عبد الله بن

المبارك: اسكت فإني سألت الله -تعالى- أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميتني موت الفقراء.

ثم قال لفتاه نصر: لقني ولا تعد علي ما لم أتكلم بكلام ثان -غير لا إله إلا الله-.

### محمد بن إدريس:

دخل المزني على الإمام الشافعي وهو في مرضه الذي توفي فيه فسأله: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال الإمام الشافعي: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيا، ولكأس الموت شاربا، وعلى الله واردا، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها.

ثم أنشأ يقول:

**ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي *** جعلت رجائي نحو عفوك سلما**

**تعاظمني ذنبي فلما قرنته *** بعفوك ربي كان عفوك أعظما**

**فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل *** تجود وتعفو منه تكرما**

**ولولاك لم يغو بإبليس عابد *** فكيف وقد أغوى صفيك آدما**

## ملك الموت والملائكة

### جبريل -عليه السلام-:

هو الروح الأمين، سفير بين الله -عز وجل- وبين أنبيائه -عليهم السلام- الذي ينزل عليهم بالوحي. فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة، وكان يأتي إلى خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم- وينزل عليه في صفات متعددة، فجبريل -عليه السلام- يحصل بما ينزل به الهدى.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل الدر والياقوت**».

وقد ورد في صفة جبريل -عليه السلام- أمر عظيم قال -تعالى-: ﴿علمه شديد القوى﴾[1]

قالوا: كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعًا بمن فيها من الأمم وكانوا قريبًا من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك الأمم من الأراضي والمعتملات والعمارات وغير ذلك، رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا شديد القوى.

وقال تعالى: ﴿ذو مرة فاستوى﴾[2]. أي خلق جبريل -عليه السلام- حسن وبهاء وسناء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾[3]. أي جبريل -عليه السلام- رسول الله كريم أي حسن المنظر ذي قوة أي له قوة وبأس شديد عند ذي العرش مكين أي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذي العرش المجيد.

## كيف يموت جبريل -عليه السلام-:

يقول الجبار عز وجل لملك الموت: يا ملك الموت من بقي؟ -وهو أعلم- فيقول ملك الموت - عليه السلام -: سيدي ومولاي أنت أعلم، بقي إسرافيل، وبقي جبريل، وبقي ميكائيل، وبقي عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأهوال. فيقول له الجبار تبارك وتعالى: انطلق إلى جبريل فاقبض روحه. فينطلق ملك الموت -عليه السلام- إلى جبريل -عليه السلام- فيجده ساجدًا راكعًا فيقول له: ما

---

(١) النجم:٥

(٢) النجم:٦

(٣) التكوير: ١٩

أغفلك عما يراد بك يا مسكين، قد مات بنو آدم وأهـــل الدنيـــا والأرض والطير والسباع والهوام وسكان الســـموات وحملـــة العـــرش والكرســـي والسرادقات وسكان سدرة المنتهي وقد أمرني المولى بقبض روحك.

فعند ذلك يبكى جبريل -عليه الســـلام- ويقـــول متضرعًـــا إلى الله -تعالى- : يا الله هون عليّ سكرات الموت. فيضمه ملك المـــوت ضمـــة يقبض فيها روحه، فيخر جبريل -عليه السلام- صريعًا، فيقول القوي المتين جل جلاله: من بقي يا ملك الموت -وهو أعلم-؟

فيقول ملك الموت -عليه السلام-: مولاي وسيدي بقـــي ميكـــائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت.

## ميكائيل -عليه السلام- عبيد الله:

قال تعالى: ﴿**من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكـــال فإن الله عدو للكافرين**﴾[البقرة:٩٨].

وميكال هو ميكائيل ولكن بلغة أهل الحجاز. قال كعب بن مـــالك أحد شعراء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الثلاثة:

**ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل**

وقال آخر:

**عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبريل وكذبوا ميكالا**

لم خص السميع العليم جبريل وميكائيل بالذكر في هذه الآية وإن كان ذكر الملائكة قد عمهما؟ قيل: خصهما بالذكر تشريفًا لهما، كما قال تعالى: ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمان**﴾[1].

وقيل: ذكر اليهود جبريل، وميكائيل فنزلت الآية بسببهما، فذكرهما واجب لئلا تقول اليهود: إنما لما نعاد الله وجميع ملائكته فنص الله -تعـــالى-

---

(١) الرحمن:٦٨

عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص.

تقول أم المؤمنين عائشة: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[1].

وميكائيل -عليه السلام- موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله ، فما من قطرة تنزل إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض. فميكائيل -عليه السلام- يحصل بما هو موكل بالرزق.

## كيف يموت ميكائيل؟

يقول الجبار لملك الموت: انطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه. فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل -عليه السلام- كما أمره الله -تعالى- فيجده ينتظر الماء ليكيله على السحاب فيقول له: ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك، ما بقي لبني آدم رزق. لا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام، قد مات أهل السموات وأهل الأرضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسي والصافون والمسبحون، وقد أمرني ربي بقبض روحك.

فعند ذلك يبكي ميكائيل -عليه السلام- ويتضرع إلى الله -عز وجل- ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت. فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض فيها روحه فيخر صريعًا ميتًا لا روح فيه ، فيقول الأول

---

(١) رواه مسلم.

والآخر جـــل جلاله: من بقي -وهو أعلم- يا ملك الموت؟ يقول ملـــــك الموت -عليه السلام: مولاي وسيدي أنت أعلم، بقي إســـــرافيل وعبـــدك الضعيف ملك الموت.

**إسرافيل -عليه السلام-:**

ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، ورجلاه تحت تخـــــوم الأرض السابعة السفلى بخمسمائة عام، والسموات والســـــبع إلى ركبتيـــه، وعنقه ملوي تحت العرش، والعرش على كاهله، وقد مد الرجل اليمنى وأخر اليسرى، واللوح المحفوظ بين عينيه، وقد التقم الصور، قرن من نـــور فيـــه ثقوب على عدد أرواح العباد، فتجمع الأرواح كلها فتجعـــل في الصـــور، وشخص ببصره نحو العرش، وأنصت بأذنيه ينتظر متـــى يؤمـــر بـــالنفخ في الصور.

وإسرافيل أول من سجد من الملائكة فجوزي بولاية اللوح المحفوظ[1].

وقد خلق الله -عز وجل- إسرافيل -عليه السلام- يوم خلقه بين يديه لوح فإذا أذن الله في شيء من السماء أو في الأرض ارتفـــع ذلـــك اللـــوح فضرب جبهته فينظر فإن كان من عمل جبريل أمر به، وإن كان من عمـــل ميكائيل أمر به وإن كان من عمل ملك الموت أمر به.

وإسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ في الصور للقيـــام مـــن القبور والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويجازى الكفور فالأول ذنبه مغفور وسعيه مشكور والثاني له الويل والثبور.

قال خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم-: «**الصور قرن ينفخ فيه**»[2].

وقال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وســـلم-: «**كيـــف أنعـــم**

---

(١) حكاه أبو القاسم السهيلي.

(٢) الترمذي وأبو داود وأحمد والحاكم.

وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة، وأصغى السمع ينتظر متى **يؤمر بالنفخ فينفخ**›› قالوا: كيف نصنع؟ قال -صلى الله عليه وسلم-: ‹‹**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**›› أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة[1].

قالوا: كم بين النفختين؟ قال الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم-: ‹‹**ما بين النفختين أربعون يومًا ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**›› أخرجه البخاري في تفسير جزء عم.

فإذا نفخ إسرافيل في القرن مات أهل السموات والأرض إلا أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت - لا يموتون إلا بعد موت الخلائق- ومن شدة صوت إسرافيل تتحرك الأرض من مشرقها إلى مغربها فلا يبقى عليها بناء إلا تهدم إلا المساجد فإن أساسها يبقى لا ينهدم لفضلها عند الله - عز وجل- فهي بيوت الله في الأرض عبد فيها ووحد وقرئ كلامه فيها وبنيت لوجه الله تعالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص:٨٨].

## أين يقف إسرافيل عندما ينفخ في الصور:

يأمر العزيز الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس -الصخرة أقرب ما في الأرض إلى السماء- يقول تبارك وتعالى: ﴿**واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب**﴾[2].



(١) الترمذي والحاكم والطبراني.

(٢) ق: ٤١

## ماذا يقول إسرافيل -عليه السلام-:

يلتقم إسرافيل الصور ويقول: أيتها العظام البالية، واللحوم المتقطعة، والأشعار المتبددة، والعروق المتمزقة، لتقمن إلى العرض على الملك الديان، ليجازيكن بأعمالكن.

فإذا نادى إسرافيل -عليه السلام- في الصور خرجت الأرواح من ثقوب الصور فتنتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره، فأرواح المؤمنين تخرج من ثقوبها نائرة بنور الإيمان وبنور أعمالها الصالحة، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر.

وإسرافيل -عليه السلام- يديم الصوت والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض، ثم تدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد كما يدب السم في الملسوع، حتى ترجع إلى أجسادها كما كانت في الدنيا، ثم تنشق الأرض من قبل رءوسهم فإذا هم قيام على أقدامهم ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، وإسرافيل -عليه السلام- ينادي بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مداً، والخلائق يتبعون صوته، والنيران تسوق الخلائق إلى أرض القيامة.

وروي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**انتهيت ليلة أسري بي إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته، وقدم رجلاً وأخرى أخرى، والعرش على منكبه، والصور في فيه بين شدقيه، تهيأ للنفخ في الصور فما ظننت أن أبلغ الأرض حتى تبلغني النفخة لما رأيت من تهيئته للنفخ**» .

وسئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن إسرافيل فقال: «**له جناح بالمشرق وجناح له بالمغرب، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى، والعرش على كاهله، وإنه ليفكر كل يوم ثلاث ساعات في عظمة الله تعالى، فيبكي خوفًا من الجبار حتى تجري دموعه كالبحار، فلو أن بحرًا من**

**دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والأرض، وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوضع -طير صغير يشبه العندليب-، والعندليب أصغر ما يكون من الطير».**

وقال تعالى: ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها**﴾[الزلزلة: ١، ٢].

قال ابن عباس: في النفخة الأولى يزلزلها. تتحرك الأرض وتتمخض وتتطاير الجبال وتقتلع الأشجار وتنهدم المباني فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شيء إلا دخل في جوفها.

وإذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها ثقل عليها.

يقول عبد الله بن عباس ومجاهد: أثقالها: موتاها، تخرجهم من النفخة الثانية.

## متى ينفخ إسرافيل في الصور؟

يقول الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان: كان الناس يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يصيبني فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا قليل**» قيل : فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال -صلى الله عليه وسلم-: «**تكسر يدك**» قال: فإن انجبرت؟ قال -عليه الصلاة والسلام-: «**تكسر الأخرى**». قال: حتى متى؟ قال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «**حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية**» رواه الطبراني في الأوسط عن حذيفة.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتن، فأعدوا للبلاء صبرًا**»[1].

وقال الصحابي الجليل أبو هريرة -رضي الله عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ويل للعرب من شر قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، يبيع دينه من الدنيا بعرض قليل، المتمسك بينهم يومئذ على دينه كالقابض على خبط -الخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط خبط وهو من علف الإبل -الشوط وجمر العضاة- العضاة: شجر أم الغيلان، وكل شجر عظيم له شوك الواحدة: عضة-**»[2].

وإسرافيل -عليه السلام- لا يقطع الصيحة حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها، ويدخل الكل بعضه في بعض في بطن الأرض، والناس خمود صرعى، فمنهم من هو صريع على وجهه ومنهم من هو صريع على ظهره ، ومنهم من هو صريع على جنبه ومنهم من هو صريع على خده، ومنهم من هو صريع واللقمة في فيه فيموت وما أدرك أن يبتلعها وتنقطع السلاسل التي فيها قناديل النجوم فتستوي بالأرض من شدة الزلزلة، وتموت ملائكة السبع سماوات، والحجب، والصافون والمسبحون، وحملة العرش، والكرسي.

## كيف يموت إسرافيل؟

يقول الحي الذي لا يموت لملك الموت: انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه. فينطلق ملك الموت -عليه السلام- كما أمره العزيز الجبار إلى إسرافيل -عليه السلام- فيقول له: ما أغناك يا مسكين عما يراد بك، قد ماتت الخلائق كلها وما بقي أحد وقد أمرني ربي ومولاي أن أقبض

---

(١) رواه أحمد والبخاري والحاكم.

(٢) رواه الديلمي وابن النجار.

روحك.

فيقول إسرافيل -عليه السلام-: سبحان من قهر العباد بالموت، سبحان من تفرد بالبقاء. ثم يقول: مولاي هون عليّ مرارة الموت.

فيضمه ملك الموت -عليه السلام- ضمة يقبض فيها روحه فيخر ميتًا صريعًا، فلو كان أهل السماوات في السماوات وأهل الأرض لماتوا كلهم من شدة وجبته -صوت وقعته-.

## ملك الموت -عليه السلام-:

قال ابن عباس ومجاهد: إن الأرض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء ولملك الموت أعوان من الملائكة يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمنًا أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب، طيبة الأرواح، وإن كان كافرًا...

## كيف يموت ملك الموت؟

يقول الباقي بعد فناء خلقه: من بقي يا ملك الموت -وهو أعلم-؟ فيقول ملك الموت: مولاي وسيدي أنت أعلم بمن بقي، بقي عبدك الضعيف ملك الموت. فيقول الجبار جل وعلا: وعزتي وجلالي لأذيقنك ما أذقت عبادي، انطلق بين الجنة والنار، ومت فينطلق ملك الموت إلى بين الجنة والنار

فيصيح صيحة لولا أن الله -تبارك وتعالى- أمات الخلائق لماتوا عن آخرهم من شدة صيحته فيموت، فتبقى السماوات خالية من أملاكها، ساكنة أفلاكها وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجنها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها ، ويبقى الملك الواحد الأحد ، لا تسمع صوتًا ولا همسًا فقد خلت من سكانها الأرضون والسماوات.

## لمن الملك اليوم؟

ثم يطلع الواحد القهار إلى الدنيا فيقول: يا دنيا أين أنهارك؟ وأين

أشجارك؟ وأين سكانك؟ وأين عمارك؟ وأين الملوك؟ وأبناء الملوك؟ وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ أين الذين أكلوا رزقي وتقلبوا في نعمتي وعبدوا غيري؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد.

فيقول الملك القدوس السلام: لله الواحد القهار. وينظر الخالق البارئ المصور تبارك وتعالى إليعبادة الموتى من بين صريع على خده ومن بين بال في قبره ثم يقول: يا دنيا أين أنهارك؟ وأين أشجارك؟ وأين سكانك؟ وأين عمارك؟ وأين الملوك وأين الجبابرة؟ ﴿**لمن الملك اليوم**﴾[1]. فلا يجيبه أحد فيقول: الملك للواحد القهار. وتبقى الأرض والسماوات ليس فيهن من ينطق ولا يتنفس ما شاء الله. قيل: تبقى أربعين يوماً وهو مقدار ما بين النفختين.

## ذبح الموت:

قال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقول: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون ويقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه، فيؤمر به فيذبح ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت[2].

وقال الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم-: ((**يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، ويقال لأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**))[3].

---

(1) غافر: 16.

(2) أخرجه مسلم والترمذي والنسائي.

(3) رواه الطبراني.

## كل نفس ذائقة الموت:

لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: متنا وعزة الله. وأيقن كل ذي عقل وروح أنه هالك، فيموت كل صغير وكبير، يموت أمير ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل عابد وزاهد، يموت كل مقر وجاحد، يموت كل صحيح وسقيم، يموت كل مريض وسليم، كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت.

قال أمية بن أبي الصلت:

**من لم يمت هرما للمرء كأس والمرء ذائقها**

وقال آخر:

**الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار**

فمصير الخلائق إلى الفناء، وكل نفس ميتة لا محالة، قال تبارك وتعالى: ﴿**كل من عليها فان**﴾[الرحمن:٢٦].

وكان رجل يصلي فقرأ قوله تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾[١].

وجعل يرددها ويتدبرها، فسمع قائلاً يقول: يا هذا لم تردد هذه الآية؟ لقد قتلت بها أربعة من الجن ما رفعوا رءوسهم إلى السماء قط حياء من الله -تعالى-، ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية.

وعرف أمية بن أبي الصلت أن لا محيص من الموت فنزل فيه قوله تعالى: ﴿**الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**﴾[٢].

وقال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «... **وكاد أمية بن الصلت أن يسلم**» وقد صدقه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعض شعره.

---

(١) آل عمران: ١٨٥

(٢) الأعراف: ١٧٥

وقال خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم-: «**آمن شعره وكفر قلبه**» وقد حثنا إمام الخير -صلى الله عليه وسلم- على كثرة ذكر الموت فقال: «**أكثروا ذكر هادم اللذات -الموت- ومفرق الجماعات، وتوسدوه إذا نمتم، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، واعمروا به مجالسكم فإنه معقود بنواصيكم**».

وذات يوم كان داود -عليه السلام- في محرابه فإذا بدودة كالذرة، فقال داود - عليه السلام- في نفسه: ما يعبأ الله بهذه الدودة. فأنطقها الذي يقول للشيء كن فيكون فقالت: يا داود إني أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون عليّ الموت.

وسأل العزيز الحكيم خليله إبراهيم -عليه السلام- بعد أن مات: يا خليلي مت؟ قال إبراهيم -عليه السلام-: يا إلهي مت. قالها ورددها ثلاثًا، قال -تعالى-: يا خليلي كيف وجدت طعم الموت؟ قال أبو الأنبياء -عليه السلام-: كسفود حديدة يشوي عليها اللحم، محمي جعل في صوف رطب ثم جذب.

فقال الرءوف الرحيم: أما أنا فقد هونا عليك الموت. وقيل: إن للموت ثلاثة آلاف سكرة، كل سكرة منها أشد من ألف ضربة سيف.

وفي بعض الأخبار: إن الدنيا كلها بين يدي ملك الموت كالمائدة بين يدي الرجل يمد يده ما شاء منها فيتناوله ويأكله.

بل الدنيا كلها مشارقها ومغاربها، برها وبحرها، وكل ناحية منها أقرب إلى ملك الموت -عليه السلام- من الرجل على مائدته، وإن معه أعوانًا من الملائكة الله أعلم بعدتهم ليس منهم ملك إلا لو أذن الله له أن يلتقم السماوات السبع والأرضين السبع في لقمة واحدة لفعل.

وهبط جبريل -عليه السلام- على نوح -عليه السلام- يومًا فوجده قد عمل خصا -كوخ أو بيت صغير- على البحر، فقال له: ما هذا يا نوح؟

قال نوح -عليه السلام-: يا جبريل هذا لمن يموت كثير.

فقال جبريل -عليه السلام-: لتأتين أمة أعمارهم من الستين إلى السبعين يبنون بالحصى والآجر والحجر. فقال نوح عليه السلام: ما كان على هؤلاء، إنهم يستفون الرماد حتى يموتوا.

وقال عيسى بن مريم -عليه السلام-: ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تراب الأرض التي يموت فيها.

وكان عيسى -عليه السلام- إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماء من خوف هوله.

وكان ابن مريم -عليه السلام- يقول لحواريه: ادعوا الله أن يخفف عني سكرات الموت.

فإذا كان نبي الله عيسى -عليه السلام - يخاف الموت وهو ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بنا على ما نحن عليه من المعصية لمولانا؟!

وروي أن عيسى -عليه السلام- مر يومًا بجمجمة فقذفها برجله وقال: تكلمي بإذن الله. قالت الجمجمة: يا روح الله أنا ملك زمام كذا وكذا، بينما أنا جالس في ملكي وعلى رأسي تاج وحولي جنودي وحشمي، إذ بدا لي ملك الموت فأزال مني كل عضو على حياله، ثم خرجت نفسي، فياليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقة، وما كان من ذلك الأنس كان وحشة.

وكان سليمان بن داود -عليهما السلام- صديقًا لملك الموت، وكان يزوره بين الحين والحين، فدخل ملك الموت -عليه السلام- يومًا على سليمان -عليه السلام- وعنده رجل يكلمه، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذي مع سليمان نظرًا نكرًا، فقال الرجل لنبي الله سليمان -عليه السلام- بعد أن خرج ملك الموت: يا نبي الله من هذا الذي دخل عليك آنفًا؟ فقال سليمان بن داود -عليهما السلام-: ملك الموت. فقال الرجل:

لقد رأيته يحد النظر إليّ، ولكن لي إليك حاجة. فتساءل نبي الله سليمان -عليه السلام-: وما هي؟ قال الرجل: تأمر الريح أن تحملني إلى الهند. فأمر سليمان بن داود -عليهما السلام- الريح فحملت الرجل إلى الهند. ولقي ملك الموت - عليه السلام - صديقه سليمان بن داود -عليهما السلام- بعد أيام فقال له: وجدت عندي منذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظرًا نكرًا.

فقال ملك الموت: كنت أعجب منه، أمرت بقبض روحه في ذلك اليوم بجزر الهند، وهو عندك بالشام، ثم قبضت روحه في ذلك اليوم بالهند.

وذات ضحى كان خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم- في بيت بعض نسائه إذ سمع صوتًا في مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك، فخرج أبو القاسم -صلى الله عليه وسلم- حتى قام على رءوسهم فقال: «**أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا، أفلا تذكرون مكدر اللذات في أثناء حديثكم؟**» قالوا : وما مكدر اللذات يا نبي الله؟ قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ذكر الموت**» فبكى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأجمعهم.

وقال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «**ما أكثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك في عمله**».

وقال إمام الخير -صلى الله عليه وسلم-: «**تركت فيكم واعظين: ناطقًا وصامتًا، فالناطق القرآن، والصامت الموت**».

وذات يوم ذكر أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الموت وغمه وكربه، فقال المبعوث رحمة للعالمين -صلى الله عليه وسلم-: «**هو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف**»(١).

ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: «**الموت غصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا.

**ما أخذ وأبقى ما أبقى»**[1]

ثم قال طبيب القلوب والعقول -صلى الله عليه وسلم-: «**كفى بالموت واعظًا وكفى بالعبادة شغلاً، وكفى باليقين غنى**».

وقال الهادي البشير -صلى الله عليه وسلم-: «**إن ملك الموت ينظر لوجوه العباد كل يوم سبعين مرة، فإذا ضحك العبد الذي بعث لقبض روحه يقول له: يا عجبا لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك**»[2].

فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه والمنية تطارده وهو من ذلك على يقين وهو يضحك ويلهو.

وذكر في بعض الأخبار أن الميت ينادى إذا وضع على المغتسل: أين لسانك الفصيح ما أسكتك؟ أين صوتك الشجي ما أخرسك؟ أين ريحك الطيبة ما أنتنك؟ أين حركاتك ما أسكنك؟ أين أموالك الكثيرة ما أفقرك؟ الويل لك إن كنت عاصيًا، والبشرى لك إن كنت طائعًا.

وتناديه الملائكة إذا وضع في القبر: يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك؟ أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك؟ أنت استعددت للمنية أم المنية عافصتك، العفص: الثني والمعنى: أنها قهرته رغمًا عنه. خلقت من التراب وعدت إلى التراب.

فكل نفس تتجرع كأس الموت فيموت كل صغير وكبير، ويموت كل أمير ووزير، ويموت كل عزيز وحقير، ويموت كل غني وفقير، ويموت كل ولي ونبي، ويموت كل زاهد وعابد، ويموت كل مقر وجاحد، ويموت كل صحيح وسقيم، ويموت كل مريض وسليم.. فكل نفس تموت إلا خالق الأنفس الأول والآخر الحي القيوم الذي لا يموت.

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء.

(٢) ابن النجار.

## النهي عن سب الأموات:

لما شرح الله صدر عكرمة بن عمرو بن هشام المخزومي انطلق إلى مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونطق بشهادة الحق فقال رجل: ابن أبي جهل. فنهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن سب الأموات وقال: «**لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء**»[1].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**ما بال قوم يؤذون الأحياء بشتم الأموات؟ ألا لا تؤذوا الأحياء بشتم الأموات**»[2].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء، ألا إن البذاء لؤم**»[3].

وقال الهادي البشير -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما اكتسبوا**»[4].

تقول أم المؤمنين عائشة: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته**».

فقد تؤذي أقوال أو أفعال الأحياء الميت في قبره.. فقد وقع رجل في علي بن أبي طالب عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال الفاروق: ما لك قبحك الله لقد آذيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قبره. ففي قول عمر زجر عن سوء القول في الأموات.

## من أراد واعظًا فالموت يكفيه:

من أراد مؤنسًا فالله يكفيه، ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه، ومن أراد غنى فالقناعة تكفيه، ومن أراد واعظًا فالموت يكفيه، ومن لم يكفه شيء من هذا فالنار تكفيه.

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه الخرائطي.

(٤) رواه أحمد والنسائي.

### عظة عمر بن الخطاب:

قال أبو حفص: أكثروا من ذكر هادم اللذات، فإنكم لا تذكرونه في قليل إلا كفى وأجزى، ولا في كثير إلا قلله.

فالله الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للموت، وبادروا آجالكم قبل الفوت، تفوزوا بالجنان في دار الرحمن.

**لملك المــوت في الدنيــا ديــون *** تحل فليس يمطلهــا المطــول**

**وكــل العــالمين بهــا ملــــي *** فليس له على أحــد جميــل**

**سواء إذ يحل على غــــريم *** عليه ذوو الحــزر والدليــل**

فالله الله معاشر المسرفين لا تغتروا بالعز والمال، فإن الموت لا يهاب الكبير الجليل، ولا يرحم الصغير الذليل، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الأعمال، من قبل أن يأتي يوم لا حيلة فيه لمحال.

### عظة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-:

قال ابن أم عبد: ليس بعاقل ولا ذاكر للموت من عد غدًا من أجله، فرب مستقبل يومًا لا يستكمله، ومؤمل غدًا لا يبلغه، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم -كرهتم- الأمل وغروره، فيا عجبًا للزروع ذهبت أصولها، وللنجوم قد آن أفولها.

### موعظة سلمان الفارسي -رضي الله عنه-:

قال أبو عبد الله: ما من يوم إلا ملك الموت ينادي: يا أهل الدنيا عجلوا لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم، اتركوا ما جمعتم، وخربوا ما بنيتم الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة، زينتم الدور ونسيتم القبور، اذكروا القبر، ووحشته، والموت وسكرته، وحيرة في حيرة، أو جذبة يالها من جذبة، فالمسكين يكابد غصص الموت، داهش العقل كالمحزون.

فالله الله يا عباد الله، أفيقوا من سكراتكم، وانتبهوا من نوماتكم، واستيقظوا من غفلاتكم قبل نزول المنية وحلول الرزية ووقوع البلية، حيث

لا مال نافع، ولا حميم شافع ولا فرح واقع ولا رجاء طامع ولا حسنة لزاد ولا حياة تعاد، ويزودك أحبابك بالصراخ ويكثرون عليك البكاء والنـــواح، فلا عثرة تقال ولا رجعة تنال.

## موعظة الصديقة بنت الصديق -رضي الله عنها-:

جاء رجل إلى أم المؤمنين عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين إن بي داء فهل عندك دواء؟ قالت بنت أبي بكر: وما داؤك؟ قال الرجل: القسوة -قســـوة القلب-. قالت الصديقة بنت الصديق: بئس الـــداء داؤك، عـــد المرضـــى، واشهد الجنائز، وتوقع الموت.

فلا تنسوا الموت الذي كتبه الحي القيوم على العباد، المخرب الأقطـــار والبلاد، وكونوا منه على حذر واستعداد ولا تغـــتروا بصحـــة الأجســـام ومداومة الأيام فإن الموت يأتي بغتة فالصحيح لا يدعه لصحته ولا الصغـــير يرحمه لصغره ولا الكبير يهابه لكبره.

## عظة عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-:

كان حفيد عمر بن الخطاب يقول: أيها الناس ما الجزع مما لابد منه؟ وما الطمع فيما لا يرجى؟ وما الحيلة فيما لا يزول؟ وإنما الشيء من أصلـــه وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها، إنما بقاء الفروع بعد الأصل فكل ما هو آت قريب.

أيها الناس إنما أنتم في الدنيا أغراض تنتصل فيكـــم المنايـــا ونهـــب للمصائب ومعدن للنوائب، مع كل أكلة غصص ومع كل شرق، ألا تنالون نعمة إلا لاق أخرى؟ ولا يعمر فيكم معمر إلا بهدم آخر من أجله، وأنتـــم أعوان الحتوف -الهلاك- على أنفسكم، فأين الهرب مما هو كـــائن؟ فـــلا تركنوا إلى طول الأمل ولا تنسوا اقتراب الأجل.. فاليقين -الموت- لابد منه.

## لماذا تعمرون دار الفناء وتخربون دار البقاء؟

قال رجل للصحابي الجليل أبي الدرداء -عويمر بن مالك-: ما بالنـــا

نكره الموت؟ قال حكيم هذه الأمة: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فإنكم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. وقيل: وجد على لوح منقوش: يابن آدم ما أقسى قلبك، وما أجهلك بأمرك، تعمر دار الفناء وتخرب دار البقاء، وشغلت قلبك بما لا ينفعك في الدنيا ويضرك في العقبى فبادر بصلاح العمل قبل حلول ما تحاذره من مناقصة الأجل.

يقول ابن الجوزي: إخواني ارفضوا الدنيا فقد رفضت من كان أشغف بها منكم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، الدنيا خمر ساعدها تغريد طائر الطبع فاشتد سكر الشارب، ففات موسم الربح، ثم بعد الإفاقة يقام الحد، ويكفي في الضرب فوت الخير، فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. هذا من قول سفيان الثوري. ويحك إن الموت سحاب والشيب وابله - الوابل: المطر الشديد- ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل -خوف- من قرب الأجل.

يا هذا الدنيا وراءك والآخرة أمامك، والطلب لما ورائك هزيمة، وإنما العزيمة في الإقدام.. جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى ولا ترفق كنعان. -الكانع: الذي تدانى وتصاغر وتقارب بعضه من بعض، والكنو: الخضو والذلة - ويحك انتبه لاغتنام عمرك فكم يعيش الحيوان حيران؟ الأسقام تزعج الأبدان، فلابد من النحول ضرورة، كأنك بك في لحدك على فراش الندم، وإنه لا خشن من الجندل -الحجارة الغليظة- فازر في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك، وادخر من قوت قدرتك قبل زمان عجزك، واعتبر حيلك مخافة الفقر في القفر-المكان المجدب الذي ليس فيه ماء ولا زر - الحذر الحذر ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله** ﴾[1] الحازم يتزود لما به قبل أن يصير لما به.. شجرة الحزم أصلها إحكام النظر، وفروعها المشاورة في المشكل، وثمرها انتهاز الفرص، وكفى بذهاب

---

(١) الزمر: ٥٦.

الفرص ندمًا ، وكم فرصة فاتت فأصبح صاحبها يعض عليها الكف، وعجبًا لمضيع العمر في التواني فإذا جاء متقاضي الروح قال: ﴿**إني تبت الآن**﴾[1] ، ﴿**وأنى لهم التناوش من مكان بعيد**﴾[2]. يا رابطًا مناه بخيط الأمل، إنه ضعيف القتل، لو فتحت عين التيقظ لرأيت حيطان العمر قد تهدمت، فبكيت على خراب دار الأمل.

قال الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من يوم إلا ملكان يناديان: يا أهل الدنيا ولدتم للموت، وتبنون للخراب، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم**». وقال الصحابي الجليل سلمان الفارسي - رضي الله عنه-: ما من يوم إلا وملك الموت ينادي: يا أهل الدنيا عجلوا؛ لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم، اتركوا ما جمعتم، وخربوا ما بنيتم، الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة، زينتم الدور ونسيتم القبور؟ اذكروا القبر ووحشته، والموت وسكرته، والصراط ودقته، الموت سكرة في سكرة، وحيرة في حيرة، وجذبة يا لها من جذبة، فالمسكين يكابد غصص المنون، داهش العقل -متحير العقل- كالمحزون. فأفيقوا من سكراتكم، وانتبهوا من نومكم، واستيقظوا من غفلتكم قبل نزول المنية وحلول الرزية، ووقوع البلية حيث لا مال نافع ولا حميم شافع، ولا فرح واقع ، ولا رجاء طامع، ولا حسنة تزاد، ولا حياة تعاد. وإليك نداء الأرض الذي روي أنها تناديك به كل يوم خمس مرات: يابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني. يابن آدم تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطني. يابن آدم تضحك على ظهري فسوف تبكي في بطني. يابن آدم تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطني. يابن آدم تأكل الألوان على ظهري فسوف تأكلك الديدان في بطني.

---

(١) النساء: ١٨

(٢) سبأ: ٥٢

# الفصل الرابع

## توجيهات عامة

# الاستغاثة -والاستعانة- والاستشفاع بالمخلوق والتوسل إليه - بدع القبور -الجنائز والمآتم

## أولاً: الاستغاثة:

هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصرة وهذا لا يكون إلا عند الشدائد. والاستغاثة تقع من العبد على وجهين:

**الأول**: أن يستغيث العبد بميت أو غائب عند المصائب، يقول: يا سيدي فلان، كأنه يطلب منه إزالة ضره، أو جلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم.

وهذا الأمر يُعد من أعظم الشرك، أي: أنه يتعدى البدعة المحرمة إلى الشرك بالله.

ذلك؛ لأنه يستغيث بمن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، ويطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يستغاث فيه إلا به سبحانه، كغفران الذنوب، والهداية، وشفاء المريض، وإنزال المطر والرزق، وغير ذلك مما هو مختص بالله وحده، والعباد أحياء أو أموات لا يملكون المدد بها، لأنهم عاجزون.

ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله تعالى نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه، لم يفعلوا شيئًا من ذلك لا في مغيبه ولا بعد مماته، وتوقفهم هذا حجة يجب على المسلمين أن يتأسوا بهم، لأن هذه أمور عقدية وتعبدية، والاجتهاد فيها يوقع في مخاطر.

قال تعالى: ﴿**ومن يغفر الذنوب إلا الله**﴾[1] ، ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٣٥

(٢) القصص: ٥٦

**والثاني**: إذا كان طلب الغوث بالمخلوق فيما يقدر عليه كالحيلولة بين المستغيث وبين عدوه، ودفع الشدائد عنه من لص أو سبع أو ثعبان، أو يحمل معه متاعه، أو يعلف دابته، وغير ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس، فهذا مما لا ريب في جوازه، بشرط أن يعتقد المستغيث أنه لا مغيث، ولا معين على الإطلاق إلا الله -تعالى-، وإذا حصل شيء من ذلك على يد سواه فإن ذلك بتوفيق الله وأمره، ذلك لأن الحقيقة له وحده، والعباد مسخرون بأمره.

### ثانياً: الاستعانة:

هي طلب المعونة في شدة أو غيرها. بخلاف الاستغاثة كما ذكرت آنفًا أنها تطلب عند الشدائد.

وما سبق توجيه القول فيه في الاستغاثة يقال في الاستعانة.

وأضيف هنا أن العبد الذي يستعين بمخلوق لقضاء بعض مصالحه ينبغي أن يصلي ركعتين سنة قضاء الحاجة، ثم يسأل الله تعالى أولاً أن يقضي حاجته، وأن يسخر له من خلقه من يساعده على قضاء حاجته، فإن توجه مستعينًا بمخلوق وقضيت حاجته فيجب، أن يعتقد أن ذلك بتسخير الله -تعالى- من عباده من قضى له مصلحته.

### ثالثًا: الاستشفاع:

**الشفاعة لغة**: الوسيلة والطلب.

وعرفًا: سؤال الخير للغير على سبيل الضراعة وتكون من الأنبياء، والعلماء العاملين، والشهداء، والصالحين.

**موقعها من العقيدة**: هي من باب القضاء المعلق فنفعها ظاهري. وأول فاتح لباب الشفاعة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- يفتحه بالشفاعة في فصل القضاء، وهي الشفاعة العظمى المختصة به -صلى الله عليه وسلم- والتي يغبطه بها الأولون والآخرون، وهي المقام المحمود المشار إليه بقوله

تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾[1].

وقد سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن المقام المحمود فقال فيما أخرجه أحمد والترمذي وحسنه، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «**هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه**».

وقد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- هو الشافع المشفع، وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به، ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه[2].

وهذا أمر لا نزاع فيه لأحد من المسلمين إلا الشفاعة لأهل الكبائر عند المعتزلة والخوارج.

وفي الباب أحاديث كثيرة وتوجيهات في كتب السنة والفقه.

**الرد على شبهة نفي الشفاعة مطلقًا:**

ورد في القرآن الكريم آيات بنفي الشفاعة في مواطن مختلفة، ففي وصف يوم القيامة قال تعالى: ﴿**لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة**﴾[3]. وقال تعالى في نفي منفعة الشفاعة: ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾[4]. وقال سبحانه فيما يفيد النفي: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾[5]. ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾[6].

والجواب عن ذلك يوجه على النحو التالي:

١- أن في يوم القيامة مواقف مختلفة لا يعلمها إلا الله، فلا يمنع أن

---

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) انظر الإبداع ٢٠٧ بتصرف.

(٣) البقرة: ٢٥٤

(٤) المدثر: ٤٨

(٥) البقرة:٢٥٥

(٦) الأنبياء: ٢٨

تكون الشفاعة بإذنه تعالى، وأن تقبل ممن ارتضى منهم الشفاعة، وهذا أمر يتعلق بعلمه وأمره وإرادته.

٢- أن إرادته تعالى على حسب علمه، وعلمه سبحانه أزلي لا يتغير فيما ورد في إثبات الشفاعة، فيكون ما ورد من نصوص في ذلك من باب المتشابهات.

**ومذهب السلف في المتشابهات**: التفويض والتسليم، وأن الشفاعة مزية يختص الله بها من يشاء من عباده يوم القيامة وعبر عنها بلفظ الشفاعة، ولا نحيط بحقيقتها مع تنزيه الله جلا وعلا، عن المعروف من معنى الشفاعة في لسان التخاطب العرفي.

**ومذهب الخلف**: حملوا الشفاعة على أنها دعاء يستجيبه الله -تعالى- والأحاديث الواردة في الشفاعة تدل على ذلك.

منها: ما ورد في الصحيحين: «**أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يسجد يوم القيامة ويثني على الله -تعالى- بثناء يلهمه يومئذ، فيقال له: ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع**».

وليس معنى الشفاعة في هذا المقام أن الله -تعالى- يرجع عن إرادة كان قد أرادها لأجل الشافع، وإنما المقام فيه إظهار كرامة للشافع بتنفيذ الإرادة الأزلية عقيب دعائه.

وليس في الشفاعة أيضًا ما يقوي غرور المغرورين الذين يتهاونون بأوامر الدين ونواهيه اتكالاً على شفاعة الشافعين.

٣- الصحيح المفهوم من ظاهر هذه النصوص أن الخلق والأمر كله لله، وأنه لا ينفع أحد في الآخرة إلا طاعته لربه، ورضا الله -تعالى- عنه، ذلك لأنه لا معنى للحساب إذا كان يتساوى العاملون مع المقصرين في دخول الجنة دون عقاب.. ولكن الثابت الصحيح أن العقاب على التقصير أمر واقع، وهنا تكون الشفاعة بعد وقوع العقاب لتتحقق العدالة.

٤- أن الإذن بالشفاعة، وكونهاتقع ممن ارتضى الله شفاعتهم، أمر عقدي ثابت لابد من الإيمان به، لأن الشفاعة معلقة بمشيئته سبحانه، كقوله تعالى: ﴿ **سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله** ﴾[1].

وكون الأمر كذلك فلا يمنع من شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- للعصاة من أمته، وأن شفاعته توافق مشيئة الله -تعالى- وإرادته سبحانه التي قدرها أزلاً لعباده في علمه القديم.

## حكم طلب الشفاعة من الميت:

الشفعاء عند الله كما ذكرنا من الأنبياء والعلماء والصالحين حال حياتهم ويوم القيامة، أما الشهداء فشفاعتهم يوم القيامة، وكل ذلك بإذن من الله -تعالى-.

أما الاستشفا بالأموات وأصحاب القبور فهو بدعة محرمة، ذلك لأن الالتجاء لا يكون إلا إلى الله -تعالى- في طلب ما يبتغيه العبد، لأن بابه مفتوح، وقاصده مرحوم. قال تعالى: ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾[2].

## المجاملات وضياع حقوق العباد في ظل الشفاعة:

معلوم أن للناس مصالح عند بعضهم ولا مانع من تدخل بعضهم لقضاء مصالح إخوانهم بشرط ألا يكون ذلك سبباً في ضياع أو تأخر مصالح الآخرين.

ومعلوم أن الساعين لقضاء المصالح إنما هم أسباب، ولكن القضاء لهذه المصالح -تم أو توقف- بأمر الله وحسب إرادته سبحانه.

وشفاعة الناس لبعضهم تجري في إطار أن يحمل الشافع المشفوع عنده

---

(١) الأعلى: ٦، ٧.

(٢) البقرة: ١٨٦.

على فعل أو ترك كان أراد غيره (حكم به أم لا) فلا تتحقق شفاعة الشافع حسب زعمه إلا بترك الإرادة وفسخها لأجل الشفيع، وذوي السلطان وأولي الأمر في ذلك على فريقين:

**الأول:** لا يقبل الشفاعة إلا إذا تغير علمه بما كان أراده أو حكم به كأن كان أخطأ ثم عرف الصواب، ورأى أن المصلحة أو العدل خلاف ما كان يريده أو حكم به.

وهذا الفريق يرضى الشافع والمشفوع له من غير جور على حقوق الآخرين، ويمكن أن نطلق على مثل هذا، مجاملة صادقة.

**الثاني:** يقبل شفاعة المقربين عنده في الأمر المراد نفاذه مع علمه بأن ظلم، وأن العدل بخلافه، كما أنه يعلم بما سيترتب على هذه المجاملة الكاذبة من ضياع حقوق الآخرين، وأن من يجامله سيحصل على حق غيره، أو قدمه على من له حق التقديم عليه، فيفعل ذلك ؛ لأنه يفضل مصلحة ارتباطه بالشافع المقرب منه على العدالة، وأولئك قوم لم يعبأوا بغضب الله عليهم، لأنهم يؤثرون الحياة الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

وهذا أمر خطير نراه ونلمسه منتشراً في المجتمعات الإسلامية، فعلى أولي الذكر من العلماء أن يواجهوا أولي الأمر ممن بأيدهم السلطان أن يعالجوا أنفسهم من هذا المرض العضال، وأن يقيموا عدل الله -تعالى- بين عباده.

**والله وحده هو الهادي إلى الحق.**

## رابعًا: التوسل:

الوسيلة: المنزلة عند الملك .. وهي الدرجة، والقربة، ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إليه، وقيل: هي الشفاعة.

قال الجوهري: الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير. والجمع: الوسل والوسائل والتوسل والتوسيل واحد، وهي في الأصل: ما يتوصل به إلى

الشيء، ويتقرب به. وفي الحديث: «**اللهم آت محمدًا الوسيلة**»[1].

**الوسيلة في المنظور الشرعي**: ما يتوصل به إلى رضاء الله -تعالى-، والقرب منه، ونيل الثواب في الآخرة من فعل الطاعات، وترك المعاصي، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[2].

وقوله: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**﴾[3].

## معاني التوسل في ضوء الحكم الشرعي:

التوسل يراد به معان ثلاثة في المنظور الشرعي:

**الأول**: التقرب إلى الله -تعالى- بطاعته، وطاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذا واجب لا يكمل الإيمان إلا به.

**والثاني**: التوسل إليه سبحانه بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- ودعائه وكان ذلك حال حياته، وسيكون -إن شاء الله تعالى- في عرصات يوم القيامة.

**والثالث**: التوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بمعنى الإقسام على الله -تعالى- بذاته -صلى الله عليه وسلم- فهذا لم يقع من الصحابة -رضي الله عنهم- في الاستسقاء ونحوه لا في حياته، ولا بعد موته، لا عند القبر الشريف، ولا غير القبر. ولم يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة المأثورة عنهم. وما يروى في ذلك فضعيف لا يصلح حجة في باب العقائد.

في ضوء ما ذكر يجب أن نعلم أن المقصود في كل ذلك هو الله جلت قدرته، وغيره شفيع فقط إذا أذن الله له[4].

---

(١) انظر اللسان: (وسل) بتصرف.

(٢) المائدة: ٣٥

(٣) الإسراء: ٥٧

(٤) انظر الإبداع: ٢١٢ بتصرف.

## موقف العوام من التوسل:

يغفل كثير من العوام فنراهم إذ نزل بهم أمر خطير، وخطب جسيم في بر أو بحر تركوا الالتجاء إلى الله -تعالى- بدعائه، ودعوا غيره، فنراهم ينادون بعض الأولياء، فيقولون: يا سيدي أحمد البدوي، يا سيدي إبراهيم الدسوقي، يا سيدة زينب، يا سيدي الحسين، يا سيدي أحمد الرفاعي.. وغيرهم معتقدين بذلك النداء أنهم يتوسلون إلى قوم لهم سلطان في تصريف الأمور وقضاء الحاجات، وهذا باب من أبواب الشرك يفتحونه بأيديهم على أنفسهم، لأن المتصرف في الأمور وشئون العباد، وقضاء الحاجات هوالله وحده، فانصرافهم عن المولى -جل وعلا- والتجاؤهم إلى غيره، يُعد إشراكًا لمخلوق مع الله -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

## ما السبب الذي نشأت عنه هذه الغفلة:

السبب المباشر الذي أدى إلى العقائد الفاسدة، وأصاب القلوب والعقول بالغفلة هو: رفع القبور، وبناء القباب، وصنع المقاصير (جمع مقصورة) وعمل التوابيت ، ووضع الستور عليها، وتزيينها بأبلغ زينة، بوضع السرج المتلألئة، ونشر مجامير الطيب حولها.. وغير ذلك مما زينه شياطين الإنس والجن.. الأمر الذي أدى إلى انبهار عقول من جهلوا أمر دينهم، فوقعت أعينهم على هذه الزينات والقبب، فارتجفت القلوب، وأصيبت العقول بالغفلة: ﴿**وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون**﴾(١).

وقد وصل بهم الأمر إلى أن قلوبهم قد امتلأت تعظيمًا لأصحاب هذه القبور وروعة ومهابة منهم، وقد يقسم بعضهم بالله، ويخشى الحلف بصاحب القبر الذي يجله، ومع بطلان حلفه به وحرمته إلا أنه يخشاه خوفًا من بطشه، لما حكي أمامه من الكرامات والأكاذيب عن أولئك الأولياء

---

(١) النمل: ٢٤

فيزداد أصحاب القلوب الواهية خشية منهم وخوفًا، فيغرس في قلوبهم من العقائد الوهمية التي هي من أعظم مكايد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله إلى إضلال كثير من العباد، فيزيغون عن الإسلام شيئًا فشيئًا فيطلبون من أصحاب هذه القبور ما لا يقدر عليه إلا الله وحده، وهذا عين الضلال والإضلال، والفساد والإفساد في الأرض.

حصن الله قلوبنا بعقيدة الإسلام وصرف عنا مكايد الشيطان.

## موقف الإسلام من المتوسلين بقولهم: اللهم بجاه فلان عندك أو ببركته أو بحرمته، افعل بي كذا وكذا:

هذا لون من ألوان التوسل يفعله كثير من الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام، فإنه أفتى:

أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك إلا للنبي -صلى الله عليه وسلم- إن صح الحديث في النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومعنى الاستفتاء: قد روى النسائي والترمذي وغيرهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «**اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبي الرحمة، يا محمد، يا رسول الله، إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي، اللهم فشفعه في**».

فهذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته وبعد مماته.

قالوا: وليس في التوسل دعاء المخلوقين، ولا استغاثة بالمخلوق، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال بجاهه، كما في سنن ابن ماجه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه ذكر في دعاء الخارج للصلاة أن يقول: «**اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج**

**أشرًا ولا بطرًا، ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».**

قالوا: ففي هذا الحديث أنه سأل بحق السائل عليه، وبحق ممشاه إلى الصلاة، والله -تعالى- قد جعل على نفسه حقًّا، قال الله -تعالى-: ﴿**وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين**﴾[1].

وذكروا لذلك أدلة أخرى[2].

**وقالت طائفة:** ليس في هذا جواز التوسل به -صلى الله عليه وسلم- بعد مماته وفي مغيبه، بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره، واستدل أصحاب هذا الرأي بما ورد في صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- استسقى بالعباس فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون.

وقد بين عمر -رضي الله عنه- أنهم كانوا يتوسلون بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته فيسقون.

وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم فيدعو لهم ويدعون معه، ويتوسلون بشفاعته ودعائه، وقد ورد في ذلك أحاديث في الصحيح ذكرها ابن تيمية[3].

هذا، ومن المعلوم الذي يجب أن نؤكده في قلوب وعقول المسلمين أن الدعاء عبادة، وأن الدعاء هو العبادة، ومن ثم وجب أن تبنى العبادة على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع، وإنما يعبد الله كما شرع وأمر، طاعة لرسوله -صلى الله عليه وسلم- كما هدى، فلا يعبد بالأهواء

---

(١) الروم: ٤٧

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/٨٣، ٨٤).

(٣) انظر السابق بتصرف (٧/٨٥، ٨٦).

والبدع، قال تعالى: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾[1].

هدانا الله إلى ما يحب ويرضى.

## التوسل إلى الله تعالى بعمل العبد:

يرى أهل العلم بلا خلاف بينهم -فيما اطلعت عليه- أن التوسل إلى الله -تعالى- بعمل العبد نفسه جائز.

ودليلهم قوله الله -تعالى-: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[2].

قال العلماء: الوسيلة الشرعية: هي صالح العمل لقوله تعالى في بيان صفات المتقين الفائزين بهذه الكرامات السنية: ﴿**الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**﴾[3].

فإنهم رتبوا طلب المغفرة والوقاية من النار على الإيمان، والمراد به: الإيمان الصادق الذي تصدر عنه آثاره من عمل الطاعات، وترك المعاصي، وهذا لا شك توسل منهم بالإيمان وصالح العمل في مقام الضراعة إلى الله -تعالى-.

ومن أدلتهم على جواز توسل العبد بالعمل الصالح قوله -تعالى- في بيان أحوال أولي الألباب السليمة، والعقول الصحيحة: ﴿**ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار**﴾[4].

فإنهم رتبوا غفر الذنوب، وحط السيئات على إجابة الداعي إلى الإيمان

---

(١) الشورى: ٢١.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) آل عمران: ١٦.

(٤) آل عمران: ١٩٣.

بالإيمان وصالح العمل، وهذا أيضًا توسل بالطاعات وأصلها في مقام الابتهال إليه سبحانه وتعالى[1].

## إشارة توجيهية حول معنى الآيات:

**أولو الألباب**: الموصوفون بما ذكر في الآيات قبل هذه الآية: هم السابقون من أصحابه -صلى الله عليه وسلم- ومن تبعهم في ذلك لهم حكمهم.

**والذنب**: كل عمل تسوء عاقبته في العاجل والآجل من المعاصي كلها سواء منها ما يتعلق بحقوق الله، وما يتعلق بحقوق العباد.

**والسيئة**: الفعلة القبيحة التي تسوء صاحبها، أو تسوء غيره عاجلاً أو آجلاً، فهي عامة أيضًا.

**وغفر الذنوب**: سترها وعدم المؤاخذة عليها ألبتة.

**وتكفير السيئات**: حطها وإسقاطها.

**والمراد بالإيمان**: الإذعان الذي وقر في النفس، وصدقه العمل.

ومن أدلتهم أيضًا ما حكاه النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- المتفق عليه عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، وتوسل كل واحد منهم إلى ربه بعمله الصالح، وقد قبل الله منهم وفرج كربهم[2].

## موقف أهل السنة من أولياء الله -تعالى-:

إن عباد الله -تعالى- في القرب إليه، والصلة به سبحانه على درجات، ويرتفع مقام بعضهم عنده فيحظون برضائه عليهم وليس ذلك من باب المجاملة، فالله -تعالى- لا يجامل أحدًا على حساب أحد، لأنه غني عن عباده، ولكن نيل الرضا والقرب منه -تعالى- على قدر ما يقدم العبد من العمل

(١) انظر الإبداع: ٢١٠، ٢١١ بتصرف.

(٢) انظر الحديث في الإبداع: ٢١١، ٢١٢

الصالح في ضوء إيمانه الصادق، وإخلاصه لله -تعالى- وبقدر علمه بمقتضى العمل بلا إله إلا الله مفهومًا ومنطوقًا وتطبيقًا يكون مقامه. وفي ضوء هذا الأصل فإن أهل السنة لا ينكرون على أهل الفضل الصالحين من عباد الله مقامهم عنده سبحانه، فلهم عند الله حظوة لقوة صلتهم وهم أحياء، فيكرمهم بما شاء من إجراء بعض الكرامات على أيديهم بالتجائهم إليه والدعاء لبعض الناس فيبرئ سبحانه المريض، وينقذ الغريق، وينصر المظلوم، ويرد الضائع وغير ذلك مما يجريه كرامة لأصفيائه من عباده الصالحين.

ذلك لأن الكرامة من قبيل الجائز عقلاً وقد وقعت لأناس وأفصح عنها منطوق القرآن الكريم في شأن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وما وقع مع مريم أم عيسى -عليه السلام- وأصحاب الكهف والذي عنده علم من الكتاب في شأن نقل مملكة بلقيس إلى مملكة سليمان -عليه السلام-.

وثبت أيضًا بالآثار الصحيحة لبعض الصحابة والتابعين والسلف الصالح من بعدهم عليهم سحائب الرحمة والمغفرة. أما بعد الموت فقد يكرم الله سبحانه من شاء من أوليائه، ولكن يحرم الاستغاثة بهم والتوسل إليهم، لأنهم في دار الآخرة، قد انقطعت عنهم أسباب الدنيا، فلا يملكون الدعاء.. ولا غيره، وهذا ما يجب اتباعه طاعة لله تعالى ولرسوله -صلى الله عليه وسلم-.

**وصفوة القول فيما سبق:** أنه لا مغيث إلا الله، ولا استعانة إلا به، وإن طلب العون من بعض العباد، فلنعتقد أنه تم بأمر الله وتسخيره خلقه في قضاء مصالح الطالبين، وأن الشافعة ثابتة للنبي -صلى الله عليه وسلم- حال حياته ويوم القيامة، ولا خلاف في ذلك بين أهل العلم، والاستشفاع بالمخلوق أمر محرم، لأن العبد يمكن أن يسأل ربه ما شاء، فيستجيب الله له

-إن شاء- وبخاصة إذا كان من عباد الله الصالحين، فطلب ما لا يقدر عليه إلا الله من العباد شرك وضلال، لأنها أمور تختص به سبحانه.

كما أن التوسل إلى الله -تعالى- بالعمل الصالح جائز شرعًا، لأن التقرب إلى الله -جلت قدرته- بطاعته وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- يعد واجبًا لا يكمل الإيمان إلا به.

وكذلك فإن التوسل بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- ودعائه حال حياته ويوم القيامة أمر واقع وثابت بفضل الله عز وجل ورحمته.

أما التوسل به -صلى الله عليه وسلم- والإقسام على الله -تعالى- بذاته -صلى الله عليه وسلم- فهذا لم يقع من الصحابة ولا من التابعين في الاستسقاء ونحوه، بل الثابت أنهم استقوا بعمه العباس حال حياته كما أسلفنا الحديث، وهذا على القول الراجح، والعبادة بالاتباع لا بالابتداع والهوى. والله من وراء القصد.

## بدع الجنائز والمآتم:

إذا ذكرت الجنائز والمآتم قراءة أو موعظة سماعية وجب على كل رجل وامرأة، شابًا أو فتاة أن يذكروا أنفسهم بأيام الله التي تمر عليهم من غير استثمار للمآل الأخروي الذي لابد أن يلقاه كل فرد وحده حال الاحتضار، ودخول القبر، ثم الوقوف بين يدي الله -تعالى- للحساب، فيسارع الجميع إلى مغفرة من ربهم، وتقديم العمل الصالح رجاء أن ينالوا عفوه ورحمته، جلت قدرته.

ومما ينبغي أن يعظ العبد به نفسه أن يذكرها بأنه قد قبر في بطن أمه في ظلمات ثلاث، وكان هذا قبر تخليق وإنبات، استعدادًا للنزول إلى الأرض لأداء مهام الخلافة عليها، فيعدها مزرعة للعمل الصالح الذي يحصده ويحظى بثمرته عند نهاية أجله، ونومه على فراش الموت ينتظر لحظات الاحتضار، ثم الموت، والحمل على الأعناق ليقبر في مثواه الأخير، ويترك وحده، ليس معه

إلا ما قدم من خالص القول والعمل في الدنيا ابتغاء وجه الله -عز وجل-.

ومعلوم أن في القبر سؤال الملائكة وهو حق، كما أن نزول القبر حق والقبر إما حفرة من حفر النار، وإما روضة من رياض الجنة ونيل المقـــام في الجنة بابه العمل الصالح طاعة لله -تعالى- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم نعيم الجنة يكون بفضل الله ورحمته.

ومما نؤكد عليه من باب التذكرة أن الموت قد يسبق بمرض، فيكـــون المرض كفارة للذنوب، أو رفعة في الدرجات عند الله، وقد يـــأتي فجــأة كالموت شهيدًا في حرب مع الكفار، أو في حادث، أو بصدمة يصاب بهـــا القلب فجأة، فتتنوع الأسباب والموت واحد، ولكل مقامه عند الله.

**من لم يمت بالسيف مات بغيره *** تنوعت الأسباب والموت واحد**

ولكن ينبغي، بل يجب على من أصيب بمرض يتوقع فيـــه المـــوت أن يحسن خلقه، ويكثر من الذكر، والاستغفار، والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويستسمح أصحاب الحقوق بعد أن يرد إليهم ما أخذه منهـــم إن أمكنه ذلك، وإلا طلب منهم العفو والصفح ليقبل علـــى الله خفيـــف الحمل، فإن امتنعوا عن العفو عن حقوقهم أوصى بهـــا مكتوبـــة لورثتـــه لسدادها من تركته أو أن يتصدقوا بها عليه من مالهم.

كما يجب أن يوصي أهله، ومن يتولى أمره بعد المـــوت تقـــوى الله والتحلي بالصبر عند موته وبعده، وأن يتجنبوا عند موته فعل ما نهى الله عنه والنوح ولطم الخد، وإقامة السرادقات، وغير ذلك من البدع والمنكرات التي يعذب بسببها إن أهمل الوصية.

والأحاديث الواردة في فضل المرض، والصبر عليه وعلى الموت والصلاة على الموتى، وتشييع الجنازة كثيرة في كتب السنن والفقــه يطـــول المقـــام بذكرها هنا، وقد يؤدي عرضها بأبوابها إلى الخروج عن موضـــوع هـــذا الكتاب الذي يعنينا في عرض مباحثه أن تكون صلب الموضوع.

وفي هذا الفصل أعرض ثلاثة مباحث هي:

**الأول: الحقوق المتعلقة بتركة الميت.**

**الثاني: الجنائز وبدعها.**

**الثالث: المآتم وبدعها.**

والله وحده أسأل أن يصوب قولي، ويجنب عقلي الزلل، ويحصن قلبي بالإيمان الصادق، وجوارحي بالعمل الخالص لوجهه تعالى آمين.

## الحقوق المتعلقة بتركة الميت

**التركة:** بفتح التاء وكسر الراء - مصدر بمعنى المفعول، أي: متروكة ويجوز فيها كسر التاء مع سكون الراء (التِّرْكَةُ).

**والتركة لغة:** ما يتركه الشخص ويبقيه.

**وشرعًا:** ما يتركه الشخص بعد موته من أموال، وحقوق مالية، وغير مالية.

**والحقوق:** هي ما له من ديون لدى الآخرين، عينية كرهن ونحوه، أو شخصية متعلقه بذمة المدين فقط كدين القرض والمهر.

ويدخل في الأموال ما كان تحت يده أو تحت يد من ينوب عنه كالمستأجر والمستعير، أو تحت يد الغاصب، فكل ما يتركه الميت باسمه يدخل في حصر تركته.

**الحقوق المتعلقة بالتركة:**

١- تجهيز الميت. ٢- قضاء الدين.

٣- تنفيذ وصاياه. ٤- توزيع ما بقي منها على الورثة.

إن هذه الأمور الأربعة بابها الذي يبسط القول فيه علم الفرائض، أو ما يطلق عليه علم الميراث، وحسبي في هذا المبحث أن أذكر نبذة من باب التذكر بفعل ما يجب أداؤه بعد موت المورث، وذلك اتباعًا لسنة النبي -

صلى الله عليه وسلم- .

## أولاً: تجهيز الميت:

هو فعل ما يحتاجه الميت من أمور تختص بذاته، من وقت وفاته، وحتى دفنه، وما يتعلق من نفقات، وهذه الأمور هي:

أ- غسل الميت. ب- تكفينه.

ج- حمله والصلاة عليه. د- دفنه.

تؤدى هذه الأمور بلا إسراف ولا تقتير، والإنفاق عليها يكون من تركته التي مات عنها، وإلا فمن مال ولده، أو وليه.

### أ- غسل الميت:

**حكمه:** وجوب كفاية. أي: إذا فعله بعض المسلمين سقط عن الباقين والشهداء لا يغسلون، والأموات في حوادث يغسلون.

**كيفيته:** يغسل الميت بماء مطلق، تعصر بطنه لإخراج ما فيها، ويزال ما علق بجسمه من نجاسات، ثم يعمم جميع جسده بالماء.

ويعقد المغسل نيته على تغسيل هذا الميت.

ثم يغسله ثلاثًا أو خمسًا، أو سبعًا بالماء والصابون، أو بالماء والطيب مبتدئًا باليمين.

ثم يوضئه كوضوء الصلاة، ويستحب تعميم جسده بالماء في نهاية الغسل ناويًا نيابة عنه الطهر من الجنابة احتياطًا.

وإن فقد الماء حل التيمم محله، وفي المسألة تفصيلات في كتب الفقه.

### ب- تكفين الميت:

**حكمه:** فرض كفاية على من حضر غسل الميت من المسلمين.

**وقته:** بعد الغسل مباشرة، ويفضل أن يقوم به أقرب الناس إليه، وأحفظهم لسره.

**والحكمة في تكفينه:** ستره عن الأعين تكريمًا له، وقد وجب ستره

وتكريمه حيًّا، وتكريمه ميتًا يجب كتكريمه حيًّا.

**كفن السنة:** يكفن الميت الذكر البالغ بثلاثة أثواب، قميص، وإزار ولفافة، والإزار واللفافة يغطيان البدن، والمراد الستر وقد كان كفن النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة، وأجاز بعض الفقهاء الزيادة عن ثلاثة إن اقتضى المقام، وكره بعضهم لما فيه من الإسراف.

**ما يستحب في الكفن:** يستحب أن يكون أبيض، نظيفًا ساترًا لجميع أجزاء البدن، غير محرم استعماله كالحرير، دون مغالاة في ثمنه، لأن المغالاة في الكفن بدعة.

والأدلة على ذلك مبسوطة في كتب الفقه مع توجيهات الفقهاء.

**كفن المرأة:** السنة في كفن المرأة البالغة خمس أثواب: قميص، وإزار، وخمار، ولفافة، وخرقة (عرضها ما بين الثدي والفخذ) يربط بها ثدياها وبطنها، وذلك عند الحنفية، وللفقهاء في كفنها آراء.

**وكفن الكفاية:** إزار ولفافة، وخمار يغطى به رأسها، ويجوز الاقتصار عليها بلا كراهة، ويكره تكفينها في ثوبين بلا ضرورة، أما الصغيرة فلا بأس بتكفينها في ثوبين- والله أعلم.



## ج- الصلاة على الميت:

**حكمها**: فرض كفاية.

**كيفيتها**: تصلي أربع تكبيرات من غير ركوع ولا سجود، بعد التكبيرة الأولى تقرأ فاتحة الكتاب، وبعد الثانية الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويستحب الصيغة الإبراهيمية: «**اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم...**» إلى آخر التحيات.

وبعد الثالثة: دعاء للميت، ويستحب الدعاء المأثور، وبعد الرابعة: دعاء كذلك للأحياء والأموات، كأن يقول: «**اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله ولجميع المسلمين**».

ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه، أو تلقاء وجهه، أو تسليمتين على اليمين واليسار ويستحب أن يقف الإمام عند رأس الرجل، وعند وسط المرأة ليسترها عن أعين الناس.

**شروطها**: يشترط لصحتها ووجوبها ما يشترط للصلوات الخمس.

**وقتها**: ليس لها وقت محدد، فهي تؤدى عند حضور الجنازة.

**مكانها**: يستحب أداء صلاة الجنازة في فضاء بعيداً عن المسجد، أو في مصلى العيد، وتجوز الصلاة عليها في المسجد، وكل ذلك من هدي النبي -صلى الله عليه وسلم-.

**حكمة مشروعيتها**: شرعت صلاة الجنازة ترحماً على الميت، وشفاعة له عند ربه من إخوانه، وأيضاً فإن المصلي يحصل على ثواب عظيم من الله سبحانه.

**فضلها**: ورد في فضلها أحاديث منها ما رواه الجماعة من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان، أصغرهما مثل أحد، أو أحدهما مثل أحد**» أي: مثل جبل أحد.

وبعد الصلاة عليه يحمل الميت إلى قبره فيدفن بالطريقة الشرعية التي أثبتها الفقهاء في كتبهم.

رزقنا الله حسن الختام يوم اللقاء.

### د- دفن الميت:

هو مواراة الميت بدفنه في لحده أو قبره.

**حكمه**: فرض كفاية بالإجماع؛ لأن ترك الميت بدون دفن هتك لحرمته.

**وقته**: يجوز دفن الميت في أي وقت ليلاً أو نهارًا بلا كراهة عند الأئمة الأربعة والجمهور، والأدلة على ذلك في كتب الفقه.

**مكان الدفن**: يدفن الميت في القبر، أو اللحد، واللحد أفضل متى تيسر ذلك لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- دفن في لحد.

**ما يطلب في القبر**: يطلب فيه ستة أمور هي بإيجاز[1] :

١- يستحب توسيعه وتحسينه اتفاقًا، وتعميقه عند غير المالكية.

٢- يسن رفع القبر عن الأرض نحو شبر اتفاقًا.

٣- يسن بناء القبر باللبن والقصب (البوصي).

٤- يسن عند الجمهور تسنيم القبر أي: جعله مرفوعًا كالسنام، نحو شبر.

٥- يسن عند الجمهور أيضًا رش الماس على القبر ليسكن ترابه.

٦- يسن عند الشافعي وأحمد تعليم القبر بحجر أو خشب أو غيره ليعرف.

والاستثناء من هذه الأمور أو بعضها جائز إن وجدت الضرورة، وللفقهاء آراء بأدلة حول ما يجوز فعله خارجًا عن هذه الستة، والله أعلم.

---

(١) انظر تفصيل القول في الأمور الستة وآراء الفقهاء والأدلة والتوجيهات في كتاب الدين الخالص (٧/٤٦٢،٤٦٨).

**من يتولى الدفن:** يتولاه الرجال سواء أكان الميت ذكرًا أم أنثى، وذلك لقوة الرجال وجلدهم أي: قوة احتمالهم.

والأولى من الرجال بعض محارم النساء إن كان الميت امرأة، وإن كان رجلاً فأقاربه أو بعض الصالحين من الرجال، ويسن أن يكونوا ثلاثة إن وسعهم القبر، وقد دفن النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة هم: علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس. وقيل: وشقران مولى النبي -صلى الله عليه وسلم-. وإن زادوا عن ثلاثة إلى خمسة فلا بأس، وفي السنة ما يدل على ذلك.

**كيفية الدفن:** يسن إدخاله القبر من جهة رأسه، ويسل سلاً، ثم يضجع على جنبه الأيمن باستقبال القبلة أي أن وجهه يكون متجهًا إلى القبلة، وهذا هو الأفضل اتباعًا للسنة، ويسن وضع شيء خلفه من لبن أو غيره يمنعه من الوقوع على قفاه، وإذا وضع الميت قال واضعوه: باسم الله وعلى ملة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ويكره وضع وسادة أو مرتبة أو ثوب تحته.

ويستحب حل عقد الكفن بعد الدفن، لأن عقدها كان للخوف من انتشاره، وقد أمن ذلك بدفنه، ولا يجوز شق الكفن، لأنه إتلاف مال. كما يستحب الدعاء له، ومما يستحب الدعاء به كما ذكره النووي في المجموع أن يقول من يدخل الميت في القبر:

( اللهم أسلمه إليك الأشحاء من ولده وأهله وقرابته وإخوانه، وفارق من كان يحب قربه، وخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقه، ونزل بك وأنت خير منزول به، إن عاقبته فبذنب، وإن عفوت فأنت أهل العفو، غني عن عذابه، وهو فقير إلى رحمتك، اللهم اشكر حسنته، واغفر سيئته، وأعذه من عذاب القبر، واجمع له من رحمتك الأمن من عذابك، واكفه كل هول دون الجنة، اللهم اخلفه في تركته في الغابرين، وارفعه في

عليين وعد عليه برحمتك يا أرحم الراحمين).

**ما يطلب عند الدفن**: يطلب بعد الدفن أمور إليك بيانها بإيجاز:

١- يستحب سد القبر سدًا محكمًا بطوب نيئ، ووضع البوصي ونحوه ليمنع نزول التراب وإن كانت الأرض رخوة، فيسد بالخشب أو الآجر.

٢- يسن للمشيعين الانتظار بعد الدفن قدر نحر جمل وتفريق لحمه ليأتنس بهم الميت، وذلك لما أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص من حديث طويل قوله: «**فإذا دفنتموني فسنوا عليّ التراب سنًا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي**» والأفضل أن يكون المنتظرون من أبنائه وذويه.

٣- يستحب الاستغفار للميت والدعاء له عند القبر بعد دفنه بالثبات، فقد أخرج أبو داود والحاكم وصححه، والبيهقي بسند حسن من حديث عثمان -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**».

ومن دعاء علي -رضي الله عنه- كما أخرجه أبو الحسن رزين بن معاوية، أنه كان إذا فرغ من دفن الميت قال: اللهم هذا عبدك نزل بك وأنت خير منزول به فاغفر له ووسع مدخله.

## ثانيًا: قضاء الدين:

**الدين**: هو ما ثبت في ذمة الإنسان لغيره.

**أقسامه**: ينقسم الدين إلى قسمين: ديون للعباد - ديون لله تعالى.

**ديون العباد**:

وهي التي لها مطالب من جهة العباد. وتنقسم إلى ديون عينية، وشخصية، والشخصية تنقسم إلى ديون صحة وديون مرض.

**الديون العينية**: هي التي تتعلق بأعيان الأموال بعد وفاة المدين كثمن

المبيع الذي اشتراه، ومات قبل أن يدفع الثمن للبائع.

ومنها: العين التي جعلها الزوج مهراً (الصداق) لزوجته ومات قبل أن تقبضها.

وهذا النوع من الدين يقدم في الاستحقاق على غيره من الديون الأخرى.

**الديون الشخصية:**

وهي التي تتعلق بذمة المدين لا بعين من الأعيان، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: ديون المرض: هي التي تثبت بإقرار المريض في مرض موته.

الثاني: ديون الصحة: هي التي تثبت بالبينة أو الإقرار أو النكول عن اليمين في زمن الصحة، ويلحق به ما ثبت في زمن المرض ببينة قاطعة كثمن الدواء، وأجر الطبيب، وأيضًا إقرار المريض أمام بعض ورثته بالدين الذي عليه بشهادة الشهود. ودين الصحة يقدم في الأداء على دين المرض.

**ديون رب العباد:**

هي المتعلقة بحقه سبحانه، وليس لها مطالب من جهة العباد، كالزكاة والكفارات، والنذور، وهي واجبة الأداء.

**حكم أدائها بعد موت المدين**: إذا كان المتبقى من التركة بعد تجهيز الميت يكفي لقضاء هذه الديون مجتمعة وجب قضاؤها جميعًا، إبراءً لذمة المتوفى صاحب التركة.

أما إذا كان المتبقي بعد التجهيز لا يكفي لقضائها جميعًا فقد اختلف العلماء في أيها يقدم؟ وأيها يؤخر؟.

والراجح هو تقديم ديون العباد في الأداء، لأن الرجاء في الله عظيم بعد أداء ديون العباد أن يرحم عبده الذي أضحى بين يديه، وهو عاجز عن أداء دينه لربه.

ورجح تقديم دين العباد، لأن الدين حائل بين العبد الميت والجنة حتى

يسدد دينه، أو يعفو صاحبه، وعفو العباد عن بعضهم قد يتأخر، وقد لا يتحقق فيكون الدين سببًا في العذاب، والله -تعالى- أرحم بالعباد من رحمتهم لأنفسهم.

روى أحمد وابن ماجه والترمذي، وقال حسن، ورجاله ثقات عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه**».

هذا، والعلماء حول أداء دين الله -تعالى- على مذهبين:

**فيرى أبو حنيفة:** أنها لا تؤدى من التركة إلا إذا أوصى بها الميت، وتدخل في الوصايا في حدود ثلث التركة بعد أداء ديون العباد، وقد أخذ القانون الوضعي بهذا المذهب.

**ويرى جمهور الفقهاء:** أن أداء ديون الله -تعالى- واجبة، تخرج قبل قسمة التركة.

وقول الجمهور هو الراجح، لأنها ديون مستحقة من هذه التركة، وأداؤها يعد رحمة بالميت.

هذا، والدين مقدم أداؤه بالإجماع على الوصية وإن تقدمت عليه في الذكر في قوله تعالى: ﴿**من بعد وصية يوصي بها أو دين**﴾[1].

## ثالثًا: تنفيذ الوصايا

الوصية شرعًا: هي تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع.

دليلها: قوله تعالى: ﴿**من بعد وصية يوصي** ...﴾ الآية.

ومن السنة ما رواه أحمد وابن ماجة من حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم في آخر أعماركم زيادة في أعمالكم، فضعوه حيث شئتم**».

حكمها: الوصية مستحبة عند جمهور الفقهاء، فالشخص له أن ينشئها

(١) النساء: ١١

وألا ينشئها، ولا تكون لازمة، بل له أن يرجع عنها قبل وفاته، فإذا مـــات ولم يرجع لزم أداؤها من تركته.

**الوصية جائزة وواجبة:**

أما الجائزة: فقد تكون لوارث أو لغير وارث.

فإذا كانت لوارث لا تنفذه إلا بإجازة الورثة، سواء كانت في الثلث أم زادت على الثلث.

ومن العلماء من منعها عملاً بقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا وصية لوارث**».

ومنهم من أجازها في ضوء عموم قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم ...**» الحديث.

وأما الوصية لغير الوارث فإنها تنفذ في حدود ثلث ما بقي من التركة بعد تجهيز الميت وأداء ديونه.

وفي حالة تعدد الوصايا فإذا وسعها ثلث التركة نفذت جميعها وإن لم يسعها قسم الثلث على أصحاب الوصايا بنسبة وصاياهم.

وأما الوصية الواجبة: فإنها تكون لفرع من مات أصله قبـــل وفـــاة صاحب التركة؛ لأن هذا الأصل لو كان حيًّا قبل موت مورثه لكان صاحب حق في التركة، أي أنها تكون للأحفاد الذين مات أبوهم أو أمهم قبل موت مورثهم.

والوصية الواجبة تقدم في الأداء قبل الوصايا الاختيارية، وقد أخذ بها القانون الوضعي، فهي الآن تنفذ بسلطان الشرع والقانون.

هذا، والوصية الواجبة والجائزة قد بسط الفقهـــاء القـــول فيهمـــا في مصنفاتهم الفقهية لمن أراد، وحسبي في هذا المبحث هو التذكرة لمن أراد أن يتذكر قبل عرض البدع التي استحدثها بعض الناس حول الجنائز والمآتم.

## رابعًا: توزيع ما بقي من التركة على الورثة:

بعد تجهيز الميت وأداء ديونه، وتنفيذ وصاياه يوزع ما بقي من التركة على ورثة الميت، وذلك وفق المنهج الرباني الذي ارتضاه الله -تعالى- لعباده قسمة بينهم.

ومن المقطوع به يقينًا أنه سبحانه قسم التركات على مستحقيها بفضل منه ورحمة وفق مقتضيات عدله، وفصل القول تفصيلاً لا يدع مجالاً لاجتهاد رسول ولا عالم، وبين أصحاب الفروض والعصبات ونص عليهم بأسلوب واضح البيان، وكذلك ذوو الأرحام، وكل من له حق أو رزق في التركة.

ومن ثم وجب الالتزام بما هو منصوص عليه، لأن الخروج عليه واحتيال بعض الناس في التقسيم حال حياتهم يعد ظلمًا بينًا يستحق مرتكبوه عذاب الله في الآخرة، لأنه سبحانه حذر وأنذر وتوعد كل من يخالف حدوده التي حددها لعباده، ذلك لأن تدخلهم في التوزيع يعد شكًا في عدل الله بين عباده، واليقين المقطوع به أنه سبحانه هو وحده يعلم ما في نفوس العباد فيعالجهم بمقتضى عدله وعلمه، ويكفي الناس تحذيرًا أنه قال: ﴿**آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا فريضة من الله إن الله كان عليمًا حكيمًا**﴾[1].

وبعد تقسيم التركة على أصحابها والإفصاح عن أداء الدين والوصايا، قال سبحانه: ﴿**تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين**﴾[2].

فيا ويل من يظلم البنات حرمانًا أو نقصانًا لحقهن، أو يوزع ماله في حياته وفقًا لهواه، وتبعًا لشيطانه إنه خاسر وهالك.

---

(١) النساء: ١١

(٢) النساء: ١٣، ١٤

وليعلم الناس أن التوزيع في الحياة يُعد هبة يتساوى فيها الذكر والأنثى، لأن التركة لا تسمى تركة إلا بعد تركها بالموت، فالاجتراء على حدود الله مصيبة.

## بدع الجنائز

**الجنائز**: بفتح الجيم، جمع جنازة، بكسر الجيم أو فتحها، من الجنز وهو الستر اسم للنعش عليه الميت.

وقيل: الجنازة -بكسر الجيم- اسم للنعش، وبفتحها اسم للميت.

الكلام عن الجنائز مبسوط في كتب الفقه، وحسبي هنا أن أشير إلى السنة، وما ينبغي أو ما يجب على المسلمين فعله، ثم أذكر ما استحدثوه من أمور مخالفة لهدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضوان الله عليهم- وإليك أبرز البدع في باب الجنائز:

**١- تأخير تجهيز الميت:**

السنة أن يُؤدى دين الميت، وتنفذ وصاياه، والإسراع بتغسيله، وتجهيزه بالتكفين وحمله والصلاة عليه، ودفنه، وتوجيهات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في ذلك كثيرة. منها:

ما أخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم والترمذي، من حديث علي -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ثلاثة يا عليّ لا تؤخرهن: الصلاة إذا أذنت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفئًا**».

وأخرج أحمد من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا إلى الغد فإن أحب الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

والحكمة من إسراع التجهيز والدفن خوف تغير الجثة فتستقذره النفوس، وتنفر منه الطباع فيحط ذلك من كرامته.

وأيضًا فإن بقاءه بين أهله يؤلمهم، ويحملهم على كثرة البكاء عليه فيؤدي إلى إيلامه، وذلك مذموم شرعًا.

ومن ثم فلا يجوز تأخيره لحضور أبنائه من سفر، أو اجتماع الناس والأقارب من البلاد، اللهم إلا إن كان التأخير لوقت قصير يحضر فيه أبناؤه وذووه، ويعد التأخير عن ذلك بدعة محرمة كما ذكر.

**٢- الصراخ ودعوى الويل والثبور وشق الجيوب وضرب الخدود:**

هذه الأفعال وغيرها مما هو من دعوى الجاهلية أمور محرمة لخروجها عن هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وما عاش عليه أصحابه وسلفنا الصالح، وفعل هذه الأمور يعد اعتراضًا على الله -تعالى-في قضائه، وعدم الرضا بما قدر.

روى البزار بسند رواته ثقات من حديث ابن مسعود أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**صوتان ملعونان: صوت مزمار عند نعمة، وصوت رنة عند مصيبة**».

روى البخارى ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم من حديثه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**» .

ويدخل في دعوى الجاهلية قولهم: وامصيبتاه، واسبعاه، يا سندي، وصبغ الوجوه والأبواب، والأيدي، وصياح النساء عند خروج الروح، وعند تغسيل الميت، وعند خروجه من البيت، وهو في هذه المواقف في أمس الحاجة لمن يدعو له بالتثبيت والمغفرة.

**دمعة العين وحزن القلب على الميت رحمة:**

دمعة العين، وحزن القلب على الميت لا يؤاخذ الحي ولا الميت

عليهما، لأنهما من الله -عز وجل- ومن الرحمة، لأن المقام مقام فراق.

أخرج الشيخان والبيهقي، واللفظ للبخاري من حديث أنس في مناسبة موت إبراهيم ابن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث بكى -صلى الله عليه وسلم- وقال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

والأدلة كثيرة على جواز البكاء، وفي ضوئها رخص العلماء بالبكاء من غير نوح، والله أعلم.

**٣- النياحة والندب:**

النياحة: من النوح وهو رفع الصوت بالبكاء.

والندب: تعديد المحاسن، والتغالي فيها. وهما محرمان، لأن النائحة والنادبة تتجاوز حد البكاء إلى السخط، وعدم الرضا بقضاء الله وقدره، وتعديدها يعد من دعوى الجاهلية التي مقتها الإسلام، وتبرأ من فاعليها، وذلك فيما أخرجه البيهقي والسبعة إلا أبا داود، من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود، ودعا بدعوى الجاهلية**».

وكان الصحابة -رضي الله عنه- يبرءون ممن حلق أو خرق أو صلق، وفي حديث أبي بردة بن أبي موسى، عند البخاري: «**أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- برئ من الصالقة والحالقة والشاقة**»[1] .

وأخرج أحمد ومسلم والبيهقي، من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أربع من أمر الجاهلية لا يتركن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على**

---

(١) الصالقة: الصلق: الصوت الشديد يرفع عند المصيبة وعند الموت، ويدخل فيه النوح. الحالقة: المرأة التي تحلق رأسها عند المصيبة إذا نزلت بها. الشاقة: المرأة تشق ثوبها عند نزول المصيبة بها.

**الميت. والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»**.

رزقنا الله صدق الإيمان والصبر عند المصيبة.

**٤- الإسعاد:**

وهي أن تساعد المرأة أهل الميت، وتجاملهم في النياحة، كما ساعدوها في ميتها.

وهذه بدعة محرمة، وذلك لما أخرجه أحمد والنسائي، من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- على النساء حين بايعهن ألا ينحن. فقلن: يا رسول الله إن نساء أسعدننا في الجاهلية أفنسعدهن في الإسلام؟ فقال: «**لا إسعاد في الإسلام**».

**٥- مشي النساء مع الرجال في أثناء تشييع الجنازة:**

حمل الجنازة، والصلاة عليها، وحملها إلى القبر، وإدخالها القبر، كل ذلك خاص بالرجال، وليس للنساء فيه نصيب. ومن ثم فإن خروج النساء خلف الجنازة للمشاركة في تشييعها يُعد بدعة محرمة، لما رواه ابن ماجه والحاكم من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه رأى نسوة يتبعن جنازة، فقال لهن: «**أتحملن فيمن يحمل؟**» قلن: لا. قال: «**أتغسلن فيمن يغسل؟**» قلن: لا. قال: «**أتدلين فيمن يدلي؟**» قلن: لا. قال: «**فارجعن مأزورات غير مأجورات**».

وهذا التصريح من النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثبوت حرمة مشاركة النساء مع الرجال في تشييع الجنازة، وأيضًا فإن اختلاط الرجال مع النساء فيه من الإثم والمخالفة ما لا يخفى.

**٦- الموت على غير وصية:**

من مات على غير وصية فقد خالف سنة أبي القاسم -صلى الله عليه وسلم- وذلك لما رواه ابن ماجه من حديث رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- أنه قال: «**من مات على وصية مات على سنة وسبيل، ومن مات على غير وصية مات على شقاء، وعلى غير سبيل**».

ومخالفة السنة في ذلك تؤدي إلى عذاب الميت بسبب ما يفعله أهله عليه من أفعال الجاهلية، والتبذير الذي يقع منهم في تجهيزه ومأتمه، ووصيته لأهله أن يتمسكوا بالسنة، وأنه بريء من كل مخالف لأمر الله ورسوله تبرئ ساحته أمام الله -تعالى-.

وأيضًا فإن عدم الوصية يؤدي إلى ارتباك أهله بعد الموت فيما بين ميتهم وبين بعض الناس من مصالح، وديون، وحقوق معلقة في ذمته، وفي الحديث عند أحمد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**روح المؤمن محبوسة عن الجنة حتى يقضى دينها**».

ومن ثم فإن الوصية قبل الموت تعد أمرًا واجبًا ليرحم الميت بها نفسه، ويسلم لأهل الدنيا ماله وما عليه، فتبرأ ذمته، ويستريح أهله، والله أعلم.

**٧- الإعلام بدعوى الجمع الكثير للمفاخرة والإعلام في الصحف:**

هذا الأمر يعد من البدع المكروهة كراهة تحريمية، لما فيها من حب الظهور والرياء والمفاخرة، وهذه خلق منبوذة.

وهذه البدعة يكثر وقوعها من كثير من أهل زماننا المعاصر، حيث يعلنون عن موت الرجل أو المرأة في الصحف لينتشر الخبر مفاخرة ومباهاة وتكتب الأسماء والأنساب والأحساب، وإذا نسوا أحدًا جاء عاتبًا لا معزيًا، وفي هذا من الإسراف والتبذير ما لا يخفى، ويكون الإثم أعظم إذا كان الميت قد ترك أبناء صغارًا قصرًا فإنفاق بعض أموالهم في هذا الباب حرام، فضلاً عن الرياء والظهور.

أخرج أحمد وابن ماجه والبيهقي، والترمذي، والحديث بلفظه عند الترمذي، وقال: حديث حسن، عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: إذا مت فلا تؤذنوا بي أحدًا، فإني أخاف أن يكون نعيًّا، وإني سمعت رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- ينهى عن النعي.

وثبت مثل ذلك عن بعض الصحابة[1].

وكذلك الإعلام بموت من مات بنوح أو ما يشبهه من نعي الجاهلية، يعد أيضًا من البدع المحرمة.

أما الإعلام على أبواب المساجد وفي الأسواق فلا بأس به.

**النعي الشرعي:**

هو إعلام أهل الصلاح وأهل الميت والأصحاب بموته من غير نوح ولا منكر آخر، لتجهيزه والصلاة عليه، وتشييعه ودفنه، والدعاء له.

وهذا هو المشروع لما أخرجه السبعة من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف أصحابه، وكبر عليه أربعًا.

وفي السنة أحاديث كثيرة تؤكد النعي الشرعي.

**٨- المبالغة في إحداد غير الزوجة على الميت:**

الإحداد: من أحد. ويقال: من حد كنصر وضرب وهو لغة: المنع.

وشرعاً: ترك ما يتزين به من حلي أو كحل، أو حرير ولو أسود، أو دهن، ولو غير مطيب، أو خضاب بحناء، أو لبس مصبوغ بما له رائحة طيبة كالمزعفر، والمعصفر الجديد الذي يتزين به.

حكمه: هو واجب على كل امرأة مسلمة مكلفة مات زوجها.

مدته: أربعة أشهر وعشرًا تأسفًا على زوال نعمة النكاح، لأنه سبب لعفتها، وكفاية مؤنتها.

إحداد غير زوجة المتوفى: يجوز للمرأة أن تحد على قريب غير زوج ثلاثة أيام فقط ما لم يمنعها زوجها.

ودليل ذلك ما أخرجه السبعة إلا الترمذي من حديث أم عطية، أن

---

(١) انظر الدين الخالص (٢٨٢/٧، ٢٨٨).

النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً ...**» الحديث.

والحكمة في إحداد المرأة على الزوج أربعة أشهر وعشراً أن الولد يتكامل خلقه، وتنفخ فيه الروح بعد مضي ١٢٠ يوم، وهي زيادة على أربعة أشهر بنقصان الأهله، فجبر الكسر إلى العقد، وزيد العشر احتياطًا.

وفي الباب توجيهات للفقهاء لمن أراد في المصنفات الفقهية.

هذا هو هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- حماية للأعراض والأنساب، ووفاء للحياة الزوجية، مع الرضا بقضاء الله وقدره، وفيه أيضًا دعوة إلى إعفاف المرأة، وتربية لسلوكها، ثم بعد ذلك يفتح لها الباب لتتهيأ لحياة زوجية جديدة، إن قدر لها ذلك.



# بدع القبور

١- ومن البدع النذر للمخلوق وليًّا أو غير ولي وهو حرام لعلل ثلاث:

أ- أن النذر عبادة والعبادة لا تكون إلا لله.

ب- أن الميت لا يملك شيئًا إلا ما قدم فلا يصح أن يوجه إليه نذر يملكه بعد وفاته.

ج- اعتقاد الناذر أن للميت قدرة على التصرف في الكون من دون الله فهذا كفر.

وفيما صح من حديث: «**النذر لا يأت بخير وإنما يستخرج الله به من البخيل**» فهو ابتداءً غير مرغوب فيه ولكن إذا حدث على الوجه الشرعي دون شرك وكان نذر طاعة لله وجب الوفاء به لقوله تعالى: ﴿**وليوفوا نذورهم**﴾ ، و﴿**يوفون بالنذر**﴾ والحديث: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**».

٢- ومن بدعها الطواف حولها وتسميتها حرمًا.

وعلى المسلم أن يعلم أن الطواف وقف على بيت الله الحرام فقط ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾ ولا يصح الطواف حول غيره من الأضرحة تشبيهًا منهم لهذه الأضرحة بقبلة الله رب العالمين.

فكأن الطائف بقبر ولي أو غيره يقول إن لي قبلتين وحرمين قبله وحرمًا اختارهما الله وقبلة وحرمًا اخترتهما أنا -نعوذ بالله من ذلك- وقد تعدد لديهم الحرم فضموا: الحرم الزينبي - والأحمدي - والحسيني - والغريبي - والشافعي - والقنائي .... إلخ.

أضف إلى ذلك أن الشيطان إنما استزل هؤلاء الطائفين لغرض ما في نفسه سينفذه بعد سنين ليبعد الناس تمامًا عن كعبة الله الأصلية أي أنه إذا

كان الطائف بقبر ما الآن يعلم أنه قبلته هي الكعبة فيأتي يوم على فعلته هذه تكون طوافًا من دون الكعبة فعلى المتحري لدينه والغيور له أن يتقي الله ربه ولا يعطي للشيطان أغلالاً يحبس بها أتباعه وخاصة وقد ألفوا أحاديث مكذوبة بأن زيارة ضريح فلان الولي ثلاث مرات كحجة تامة وصدق الحديث (وما أحدث الناس بدعة إلا رفع من السنة مثلها).

٣- ومن البدع التقبيل والاستلام لها وتقبيل أعتابها، وهذا كله من الشرك والتعلق بالماديات على حساب الروحانيات وقد يحتج من يفعل ذلك باستلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للحجر الأسود وفي هذا أيضًا نقول: إن هذا خصوصية للحجر الأسود فقط وقد قال عمر بن الخطاب: والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك.

أترى هؤلاء الذين يقبلون الأضرحة والأعتاب أهدى من عمر بن الخطاب وأشد تحققًا منه في دين الله ودرجات الإيمان وما هو إلا الشيطان أراد أن يصدهم عن توحيد الله وإفراده بالعبادة، وإني لأعجب من هؤلاء الذين يقبلون الأعتاب والأخشاب ويظنون أنهم على الهدى بل وتراهم من أشد المتحمسين لأفعالهم وما أرى ذلك إلا من حمية الشيطان للدفع عن عادات وثنية هدمها الإسلام ويحييها هؤلاء، وإني أسأل أحدهم هل ثبت أن أبا بكر -رضي الله عنه- قبَّل قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو هل قبَّل عمر قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقبر أبي بكر، فإنه إذا كان التمسح محمودًا والتقبيل يورث البركات فلا شك في أن تقبيل قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه أعظم البركات ولكن هل يجدي هذا في عقول قد تبلدت وران على قلوب أصحابها عادات مبتدعة وقيم هدمها الإسلام ولكننا لا نملك إلا أن نسال الله لهم الهداية، فاللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وقد أمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- بقطع شجرة الرضوان التي بويع الرسول تحتها حتى لا يفتن الناس بها وذلك لما رأى الناس يقصدونها للتبرك تعظيماً لها وهي الشجرة المذكورة في سورة الفتح: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل الله سكينته عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا**﴾.

٤- ومن البدع في القبور الكتابة عليها وتجصيصها ورفعها أعلى من شبر ووضع القباب عليها كل ذلك نهى عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه مسلم.

وأفتى العلماء بهدم البناء على القبور حكاه الشافعي في كتاب الأم، وأفتى به ابن حجر، وقال الشافعي: وجدت بمصر من الولاة من هدم القبور المسنمة أي المرتفعة فلم يمنعه أحد.

٥- ومن البدع غرس الأشجار في القبور أو نصب الخيام عليها.

وقد رأى ابن عمر خيمة على قبر فسأل: لم؟ قالوا: نظله، فقال: دعوه يظلله عمله.

أما غرس الأشجار فيلحق سابقه في الحكم بالنسبة لوضع الجريد عليها.

٦- ومن البدع وضع الستور والعمائم على الأضرحة وهو فضلاً عن أنه إسراف ينهى عنه الشرع وأنه في موطن العبرة فإنه تعظيم للموتى لفتنة الأحياء، والأحياء الفقراء أولى ألف مرة من تجميد هذا المال هذا علاوة على أن وضع الستور من المنهي عنه. وقد روى البخاري عن عائشة قالت: سترت الباب بنمط أي ستارة أو بساط خامته من نوع رفيع وجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فرآها فغضب وقال: «**يا عائشة، إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين**».

٧- ومن البدع في المقابر تقديم العرائض والشكاوى للأولياء والله

يعلم أن من مات فهو في شغل بآخرته حيث قال تعالى: ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾ سورة فاطر. وقال: ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾ الأحقاف. ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾ الإسراء.

٨- ومن البدع وضع الأضرحة والمقابر في المساجد ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وبناء المساجد على الأضرحة ألعن وأضل وأجرم فكأنها لم تبن بل لأجل من بداخل الضريح.

وقال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**» رواه أحمد وقال: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**» ونرى في هذا الكفاية.

وأن من يتعمد الذهاب إلىتلك المساجد ذات القبور إنما يذهب من أجل وجود قبر من يذهب إليه في المسجد فيكون قد دعا مع الله أحدًا والله يقول: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا**﴾ حتى أنك ترى في هذه الأيام مسجدين أحدهما ليس به قبر والآخر به قبر وقطعًا الخالي من القبور هو الأولى بالصلاة فيه كحكم الشرع كمسجد الأزهر مثلاً ولكنك تجد الناس يحجمون عن الصلاة فيه ويجتمعون على الصلاة في المسجد ذي القبر بل ويفترشون الأرض بجواره تحت قيظ الشمس لأداء الصلاة ولا يذهبون إلى المسجد الآخر. ترى ما زعمهم في هذا، الله أمرهم بأن يضعوا أنفسهم في القيظ ويهجروا المسجد الآخر ولأي شيء؟ أم تراهم أهدى من محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الذين لعنوا من فعل هذا، نسأل الله الهداية.

وهذه كلمة عن سبب نشأة عبادة الأصنام ليحذر كل مؤمن خطوات

الشيطان التي تنتهي إلى الكفران، كان هناك قبل نوح عليه السلام خمسة من الصالحين اجتهدوا في العبادة تعظيماً لله الواحد الأحد (ود ، سواع، يغوث، يعوق، نسر) فلما مات هؤلاء الخمسة أخذ الناس يحيون ذكراهم في نفوس أبنائهم ثم أخذ الأبناء بعد أن وجدوا قبور هؤلاء الصالحين ستفنى آثارها في تعلية قبور هؤلاء الصالحين ثم أخذ أبناؤهم في عمل الأضرحة تعظيماً وتخليداً لذكراهم ثم أخذ بعدهم في تخيل وتجسيد أشكالهم بعمل تماثيل لهم ثم أخذ من بعدهم يتقربون بهذه التماثيل إلى الله ثم جاء من بعدهم فعبدوهم فعلاً من دون الله وهؤلاء هم المذكورون في سورة نوح -عليه السلام- في القرآن ولهذا حرم الإسلام مثل هذه البدعة وإن كانت في نظر أصحابها حبًّا وتعظيماً وتقديساً.. لقوم صالحين وحرم التماثيل والصور وجعلها مانعة للرحمة ومانعة من دخول الملائكة في المكان الذي تتواجد فيه كما نهى عن الصلاة في أوقات الكراهة حتى لا يتشبه المسلمون بعباد الشمس.

٩- ومن الفظائع الخشوع للميت عند زيارته والاستئذان منه للدخول عليه كل هذا من عبادة وتعظيم غير الله وقد يحلف أحدهم بالله خمسين مرة كذبًا دون مبالاة ولكنك لو أردت اختباره وطلبت منه الحلف بصاحب الضريح فزع وخاف من سوء العاقبة التي زعم أنها ستحل به من الولي: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله**﴾ البقرة، وفي آية أخرى: ﴿**يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية**﴾ النساء. وقد لا يستطيع أحدهم أن يقوم على عمل ما مهما دللناه على الاستخارة الشرعية والاستشارة الدينية إلا بعد أن يمنحه شيخه سادن الضريح إذناً بالعمل مهما كانت النتيجة وجعلوها بمنزلة الأحبار والرهبان الذين يدعون أن ما يحلونه هم في الأرض يحله الله في السماء وما يحرمونه يحرمه -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

١٠- ومن الخداع من تراهم يقصدون إلى تلك الأماكن ويذكرون

لك أننا لا نقول (مدد) ولا نقبل الأعتاب ولا نتمسح ولا نفعل شيئًا من البدع التي ذكرتها ونحن نقول له يا أخي لقد علق الله الخير لهذه الأمة على أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فأين أنت من أمر المبتدعين بالمعروف ونهيهم عن المنكر بل إننا نراك مقراً لما يفعله هؤلاء بركونك إليهم وسلامك عليهم وابتسامتك لهم والله يقول: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾.

وإن من علامات الساعة رجالاً يرون المنكر ولا ينكرونه وهم من شرار القوم عند الله؛ لأن الساكت عن المعصية مشترك فيها وكاتم الحق شيطان أخرس وبما أن قبور معظم من نسبه الناس إلى الولاية مملوءة بالبدع والخرافات وأنواع الشرك والاستغاثة بغير هذا منعه الإسلام فلأجل ذلك ينبغي البعد عن غشيان هذه المساجد والأماكن منعًا لتوجه المسئولية والتقصير فيها.

وأخيرًا لزم التنويه بأن زيارة المقابر الخالية من البدع بغرض أن ينفع الزائر نفسه بالعبرة وأن ينفع الميت بالدعاء له والاستغفار مطلوب وقد قال تعالى: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ .

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا زار المقابر يقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن إن شاء الله بالأثر**» وفي رواية: «**السلام على أهل الديار من المسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم رب هذه الأجساد البالية والأرواح الباقية التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحًا من عندك** - أي راحة- **وسلامًا مني، اللهم زد في حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم وارفع في درجاتهم ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم اللهم ارحمهم في الغابرين** -الماضين- **وارفع**

**درجاتهم في المهديين».**

ولا يشترط أن يقول الزائر كل ما سبق بل يكفيه بعضه.

١١- ومن البدع رفع الصوت عند المصيبة لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**صوتان ملعونان صوت مزمار عند نعمة وصوت رنة عند مصيبة**» وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» ومعنى ودعا بدعوى الجاهلية أن يقول الشخص وامصيبتاه أو واجملاه، أو واسبعاه، ونحوه وكذلك مثل صبغ الوجوه والأبواب والأيدي وصياح النساء عند خروج الروح وعند تغسيل الميت وإخراجه من البيت.

١٢- ومن البدع مشيهن مع الرجال في أثناء تشييع الجنازة وقد رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نسوة يتبعن جنازة فقال لهن: «**أتحملن فيمن يحمل**» قلن: لا. قال: «**أتغسلن فيمن يغسل**» قلن: لا. قال: «**أتدلين فيمن يدلي**» قلن: لا. قال: «**فارجعن مأزورات غير مأجورات**» أي ارجعن وعليكن الوزر وليس لكن أجر.

١٣- ومن البدع عدم الوصية بماله وما عليه ما دام عنده شيء يوصي فيه.

وفي الحديث: «**من مات على وصية مات على سنة وسبيل، ومن مات على غير وصية مات على شقاء وعلى غير سبيل**».

١٤- وهناك بدعة تسمى الإسعاد وهي حرام. وهي أن تساعد المرأة أهل الميت وتجاملهم في النياحة كما ساعدوها في ميتها والحديث يقول: «**لا إسعاد في الإسلام**».

١٥- ومن البدع التهرب من تكفين الميت أو غسله أو حمله أو دفنه.

فهذه الأربعة واجبات على المسلم نحو أخيه الذي مات وينبغي تعلمها وفي الحديث: «**من شهد الجنازة من بيتها إلى مصلاها وقبرها فله قيراطان**

**من الأجر القيراط كجبل أحد»**.

وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه: «**إن من فعل ذلك مع الميت ولم يفش عليه ما رأى خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه**».

١٦- ومن البدع المغالاة في الكفن: وهو تبذير وإسراف وتفاخر لا أساس له في الإسلام والسنة أن يكون الكفن من اللون الأبيض وأن يكون من ثلاث أثواب من قطن ليس فيها قميص ولا عمامة.

أما للأنثى فخمسة أثواب بما فيها الخمار والقميص، وعدم التكفين في الحرير للرجال.

١٧- ومن البدع الإشهاد وهو وقوف أهل الميت بعد الصلاة عليه مع بعض الرجال قبل الدفن ويسألونهم ما تشهدون فيه؟ فيقولون: نشهد فيه أنه كان مسلمًا صالحًا مستندين في ذلك إلى أن هناك جنازة مرت أمام رسول الله فأثنى الصحابة عليها خيراً فقال: «**وجبت وجبت هو في الجنة**»، ومرت جنازة أخرى فقالوا عليها شراً فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**وجبت وجبت هو في النار**» وليس هذا تشريعًا أن يسأل الناس ما تشهدون فيه.

## بدع المآتم

١- ومن البدع الجلوس للعزاء في سرادقات خاصة تقام لهذا الغرض.

وقد كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدفنون موتاهم ثم يرجعون لأعمالهم وربما تقبلوا بعد ذلك العزاء في المسجد عقب الصلوات كما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند استشهاد عمه حمزة -رضي الله عنه-.

٢- ومن البدع التفاخر في النعي وقد نهى رسول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن النعي وقال إنه من عمل الجاهلية.

وتراهم الآن يملأون أشهر الصحف بنعي مطول يذكرون فيه من هب ودب ويسهل عليهم دفع مئات الجنيهات في هذا ولو طلبت منهم صدقة

لمسكين بخلوا.

٣- ومن البدع إقامة الخمسين والأربعين والذكرى السنوية والمواسم كطلعة رجب ونصف شعبان والعيدين فهذا تجديد للأحزان وهو محرم مع أن العزاء للحاضر بعد ثلاثة أثام ممنوع فضلاً عما في عملهم من الإسراف والسخط وعمل الجاهلية.

٤- ومن البدع عمل ما يسمى بالصمدية والعتاقة، وإسقاط الصلاة وما يسمى بالرحمة على الميت وقد يكون للميت مع هذا كله ديون تركها دون سداد وفي الحديث: «**روح المؤمن محبوسة عن الجنة حتى يقضي دينها**» كما سبق وكان -صلى الله عليه وسلم- يسأل عن الميت قبل أن يصلي عليه هل عليه دين فإن قالوا لا، صلى عليه وإن قالوا: عليه دين، سأل هل عنده ما يفي بدينه، فإن قالوا: لا، قال: صلوا أنتم على ميتكم وذلك ليبعدهم عن أكل أموال الناس والإسراف في الاستدانة دون ضرورة فلما عفوا والتزموا رجع -صلى الله عليه وسلم- فصلى على الجميع.

فالواجب على أهل الميت بدلاً من الإسراف والتفاخر الكاذب الزائل أن يسددوا الديون وأن يدخروا لليتامى والمحتاجين من الورثة ما يبعثرونه فيما حرم الله فإن الله سائل كل ذي مال: من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

٥- ومن البدع في المآتم الزيادة في الحداد عن ثلاثة أيام إلا على الزوج فتكون مدة الحداد أربعة أشهر وعشرة أيام.

والحداد هو ترك المرأة للزينة والتعطر والكحل والخروج خارج بيتها إلا لضرورة قصوى كذلك يحرم عليها التعرض لخاطبين كما يحرم على الخاطبين التعرض لخطبتها ما دامت في العدة ﴿**ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله**﴾.

٦- ومن البدع المنكرة توزيع السجائر على المعزين وشربها فتجد في هذه البدعة الروائح الكريهة في أثناء تلاوة كتاب الله أضف إلى ذلك ما سبق

أن ذكرنا من الصخب واللغو من الموزعين والموزع عليهم مع أن السجائر ضارة بإجماع أهل الطب الذين قرروا صلتها بسرطان الرئة حتى أنهم دونوا تحذيراً على كل علبة وهي مع ضررها مانعة للإنصات والخشوع والتدبر المطلوب لكتاب الله -عز وجل- علاوة على ما فيها من ضياع المال والصحة.

وقد صدرت جملة فتاوى من الأزهر وغيره بتحريم شرب الدخان في مجلس القرآن وللجمعية الشرعية رسالة منذ خمسين عاماً في تحريم الدخان تسمى (السم القاتل في أمعاء الضال الجاهل).

٧- ومن البدع المغالاة في مدح الميت بما ليس فيه وهذا نفاق ورياء وقد علمنا الإسلام أن نقول لمن نريد أن نمدحه (أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحد) قال تعالى: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾ النجم. وقد ثبت أن الأموات الذين رضي الله عنهم ولم يكونوا محبوسين بذنوبهم يعلمون أحوال الأحياء وما نزل بهم من شدة ورخاء ويتألمون لألمهم ويفرحون لفرحهم كما رواه أحمد والترمذي وكما ورد في كتاب الإبداع أما قوله تعالى: ﴿**فإنك لا تسمع الموتى**﴾ النمل. فالآية واردة في حق موتى القلوب الذين لهم آذان ولكن لا يسمعون بها كلمة الحق ولهم أعين ولكن لا يرون بها آيات الله ولهم عقول ولكن لا يفقهون بها الفرق بين الحق والباطل ﴿**صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾ البقرة. وقد ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كلم أم محجن بعد موتها وسألها: أي الأعمال وجدت أفضل؟ فردت عليه: كنس المساجد. رواه البخاري.

وقال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿**الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين**﴾ الزمر. جعلنا الله من أهلها ووقانا عذاب القبر وعذاب النار وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

# الموالد لا تنفع الميت

أحدث الفاطميون في القرن الرابع الهجري فابتدعوا ستة موالد:

(المولد النبوي - مولد الإمام علي- مولد السيدة فاطمة- مولد الحسن - مولد الحسين - مولد الحاكم المعاصر).

ثم جاء الأفضل ابن أمير الجيوش فأبطلها ثم أعيدت في عهد الآمر بأحكام الله سنة ٥٣٤ هـ وحتى يومنا هذا ومن بدعها الآتي:

- الإطعام وتلاوة القرآن وما يسمونه بالذكر وهذه الأشياء في الأصل من صالحات الإسلام لولا ما صحبها من الخرافات فهي مطلوبة في كل وقت بنية القربى إلى الله لا بنية المولد المحدث الذي لم يكن في عهد السلف الصالح بل وتجد أصوات مكبرات الصوت تتضارب بالذكر فتخرج عن دائرة الخشوع والخضوع إلى دائرة الصخب والضجيج وربما كان لهذه المساجد والساحات جيران مرضى وطلبة يذاكرون وأطفال تفزع من هذه الأصوات المنكرة الصادرة من حناجر عملاء الشيطان.

- ومن المحرمات التي تقع إضاعة المال بكثرة الوقود وإنارة المصابيح في المساجد والطرق واستهلاك الشموع والمصابيح.

- انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها وباللغط ووجود الأطفال والحفاة الذين ينجسونها حتى يتعذر إقامة الشعائر بها على الوجه المرضي ومعلوم أن التشويش في المساجد حرام ولو بتلاوة القرآن كما سبق في بدع المساجد بدليله.

- تبرج النساء الزائرات للموالد والأضرحة مع الاختلاط بالرجال وما يحدث من فجور ونشل ومعارك في تلك الليالي في الساحة وما حولها.

- استعمال آلات اللهو والأغاني الخليعة والحديث يقول: «**من استمع إلى صوت قينة صب في أذنه الآنك يوم القيامة**».

- وقال صاحب السنن والمبتدعات: وإقامة السرادق وإنفاق الأموال

الباهظة على الفراشات والأنوار والسجائر والقــراء وغــير ذلــك بدعــة وإسراف، وأفظع من ذلك ما أحدثوه الآن من تلاوة القــرآن في مكــبرات الصوت الميكرفون في مأتمهم، فزادوا في النفقات والإسراف، وأحدثوا ســنة سيئة عليهم وزرها وضررها ونارها، وقد قال تعالى: **﴿وأن المسرفين هــم أصحاب النار﴾**. وقال تعالى لنبيه -صلى الله عليه وســلم-: **﴿ولا تبــذر تبذيرًا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا﴾**.

في حديث أحمد والبخاري ومسلم: «**إن الله كره لكم ثلاثًــا: قيــل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**» .

والسبحة للميت بدعة مذمومة حدثت في سنة ١٢٢٩.

والعتاقة أيضًا بدعة، وحديث: من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقــد اشترى نفسه من النار. موضوع. من أراد العتق من النار فليقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. عشــر مرات يكون كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل. رواه الشيخان.

وقد كان -صلى الله عليه وسلم- يعلمهم إذا خرجوا إلى المقــابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شــاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية**» رواه البخاري. و«**لعــن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» و«**لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**» رواه أصحاب السنن إلا ابــن ماجــه والحاكم كما في الجامع وصححه.

**لطيفة:** تذكرت أثناء كتابة كلمة (السرج) قصة جرت لي وأنا طالب في المرحلة الإعدادية الأزهرية في طهطا وكان في بلدنا قرية نجع حمد عــدة قبور لها أضرحة وما يسمى بالمقامات كنت أذهب إلى هذه الأضرحة كــل ليلة في أيام الامتحانات وأشتري (جاز) وأملأ به المصابيح وأكرر ذلك كل ليلة وفي جميع المقامات والأضرحة. علشان كان في اعتقادي لما أنورهم كل

ليلة يفرحوا بي وينبسطوا ويقفوا معي في الامتحان وبسببهم أنجح وكنت أعتقد بجهلي أنهم هم أصحاب النجاح والرسوب، لأن شيخ الطريقة في بلدنا كان يضحك على الكبار والصغار ويدعي أن هؤلاء لهم تصريف في الكون بل إن شيخنا منهم كان يقول: إن مصر يحفظها أربعة: الدسوقي، والبدوي للوجه البحري، والسيوطي والقناوي للوجه القبلي. وكنا نصدق ذلك. وللأسف لم نجد من ينكر ذلك.

- الذبح عند خروج الميت لا ينفعه.

اعلم أخي المسلم أن الذبح عند خروج الميت من باب الدار أو عند القبر ليس له أصل في الدين بل هو بدعة مذمومة نهى عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- لحديث عبد الرزاق بسنده إلى أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم، قال: ((**لا عقر في الإسلام**)) قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر يعني: بقرة أو شيئًا. أخرجه أبو داود والبيهقي والترمذي وقال صحيح حسن.

فليحذر من هذه البدعة ما يفعله الجهلة السفهاء من حمل الخبز والخراف وغيرها أمام الجنازة وإنه ليقع بسبب ذلك تزاحم وضرب وإيذاء وعدم اعتبار بحال الميت وهذا مخالف للسنة من وجوه:

١- أن ذلك من فعل الجاهلية.

٢- لما فيه من الرياء والسمعة والفخر، والمباهاة ولو تصدق أهل الميت بذلك سرًا لكان عملاً صالحًا إذا سلم من البدعة. وعلى كل فلم يكن شيء من هذا من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والخير كله في الاتباع.

- طيران الموتى بالنعش:

يتحدث كثير من الناس عن طيران بعض الموتى. وهم محمولون على أعناق الرجال وعن تراجع النعش بحامليه إلى الوراء، ويتحدثون عن ثقله

مرة، وخفته أخرى وتنتشر هذه الأحاديث، وتأخذ بين الناس صبغة الواقع الصحيح، كما يأخذ الموتى في معتقداتهم مكانة الأولياء. الذي تبدو كرامتهم الحسية وكثيراً ما ينشأ عن ذلك إقامة أضرحة لهؤلاء الموتى، باسم الولاية وتصبح تلك الأضرحة مزارات تلتمس بركاتها، ويدعى من فيها ويتجه إليه في قضاء الحاجات ودفع الملمات والكروب، كما يصبح للضريح أيضاً خدم وموظفون، يتلقون النذور والصدقات باسم ساكنه.

وقد سألني الكثيرون أن أبين لهم موقف الدين من هذه الأمور.

**أخبار يلوح عليها الزيف:**

والواقع أن صدق هذه الأخبار لا يكفي فيه مجرد سماعها، ولا مجرد رؤية النعش وهو محمول على الأعناق يتقهقر إلى الوراء أو يتقدم إلى الأمام، فضلاً عن سماع طيرانه في السماء، لا يكفي سماع شيء من هذا في تصديقه، فالناس مولعون بتناقل الأخبار الغريبة، وفيهم من هو قابل لتصديق كل شيء يسمعه، فينقله ويتحدث به ويقسم عليه. إن صدق الأخبار يحتاج إلى الوثوق بصدق حاملي النعش، والوثوق بسلامة نفوسهم من الانفعالات الخاصة، التي تورث الضعف في أعصابهم، وتجعلهم يتقهقرون أو يندفعون إلى الأمام بغير انتظام، والوثوق بأنه ليس لهم نيات خاصة في إشاعة أن الميت له عند الله منزلة، يبنى له بها ضريح، وتصنع له مقصورة، وتفتح أبوابه للزيارة والنذور وتقام له الموالد والليالي، إلى غير ذلك مما يكون في واقعه مورد جديد لحامليه، وإلى من أوعز إليهم بإيجاد هذا المظهر.

**لماذا لم يطر الميت المحمول في سيارة؟**

ومن الغريب أننا لم نسمع بذلك إلا في القرى، حيث تحمل الموتى على الأعناق. وإلا في عصورنا المتأخرة التي اتخذت فيها هذه المظاهر سبيلاً للارتزاق وسبيلاً للتغرير بضعفاء العقول، فلم نسمع عن ميت محمول في سيارة أو قطار أو في طائرة، ولم نسمع عن باخرة قادمة من بيت الله الحرام،

وقد فاضت فيها روح حاج تقي نقي له بالله صلة خاصة، لم نسمع أن جثته ثقلت أو امتنعت عن أيدي الذين يقذفونه في البحر، حتى يحفظ من الحيتان والأسماك، ويدفن في القبور العادية.

ولم نسمع شيئًا من ذلك عن أحد من الربانيين الذين ماتوا في العصور الأولى، خير القرون، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، وحماة الإسلام من الصديقين والشهداء والصالحين. وإذن فنحن في حل من تكذيب كل ما نسمع من هذا القبيل، ونرفضه ولا نعنى بالبحث عن أسراره وأسبابه. والإنسان متى فارق الحياة انقطعت صلته بالدنيا وصار أمره لله وحده.

ومن غريب الأمر أن مثل هذه الأقاصيص المخترعة لا تروج إلا في زمن التقهقر الفكري، وانصراف الناس عن العمل الجاد المثمر، ولا تروج إلا في بيئات خاصة عرفت بالسذاجة وتصديق بكل ما يقال.

وفي حاشية الدر قبل باب الشهيد أن ابن الصلاح أفتى بأنه لا يجوز أن يكتب على الكفن يس والكهف. ونحوهما خوفًا من صديد الميت. ثم قال إنه لا يجوز تعريض الأسماء المعظمة للنجاسة. اهـ.

ونقل عن الفتح أنه تكره كتابة القرآن، وأسماء الله تعالى على الدراهم وما يفرش وما ذلك إلا لاحترام كتاب الله وخشية وطئه ونحوه مما فيها إهانة فالمنع من هذا أي من الكتابة على الكفن، ثابت بالأولى. اهـ.

وكذا وضع المصحف في القبر مما يعرضه للنجاسة لا محالة، والله أعلم.اهـ.

- المصاحف والقناديل عند القبر:

سئل شيخ الإسلام عن جعل المصحف عند القبر، ووقيد قنديل في موضع يكون من غير أن يقرأ فيه، مكروه أم لا؟

فأجاب: وأما جعل المصحف عند القبور، وإيقاد القناديل هناك، فهذا مكروه منهي عنه، ولو كان قد جعل للقراءة فيه هناك، فكيف إذا لم يقرأ

فيه، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لعـــن الله زوارات القبــور، والمتخذين عليها المساجد، والسرج**» فإيقاد السرج من قنديل وغيره علـــى القبور منهي عنه مطلقًا؛ لأنه أحد الفعلين اللذين لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من يفعلهما.

ثم تحدث الشيخ عن رأي العلماء في القرآن عند القبر ثم قال: وأمـــا جعل المصاحف عند القبور لم يقصد قراءة القرآن هناك وتلاوتـــه، فبدعـــة منكرة، لم يفعلها أحد من السلف بل هي تدخل في معنى (اتخاذ المســـاجد على القبور).

وساق الشيخ جميع الأحاديث الصحيحة والتي سبق لنا أن ذكرناها في أبواب سابقة والتي ترهب من جعل المساجد على القبور، ثم قال: ولا نزاع بين السلف والأئمة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

ومعلوم أن المساجد بنيت للصلاة والذكر، وقراءة القرآن، فإذا اتخـــذ القبر لبعض ذلك كان داخلاً في النهي، فإذا كان هذا مع كونهم يقـــرءون فيها، فكيف إذا جعلت المصاحف بحيث لا يقرأ فيها؟ ولا ينفع بها حي ولا ميت، فإن هذا لا نزاع في النهي عنه. ولو كان الميت ينتفع بمثل ذلك لفعله السلف، فإنهم كانوا أعلم بما يحبه الله -تعالى- ويرضاه، وأسرع إلى فعـــل ذلك، وتحريه. اهـــ.

- رفع القبر عن الأرض لا ينفع الميت:

وليعلم أيضًا أن في تعلية القبور عن الأرض مفاسد كثيرة لا تخفى على من شم رائحة العلم، ولذلك كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يـــأمر بعدم رفعها عن الأرض حتى لا تكون فتنة وتنقلب إلى أوثان تعبد من دون الله والدليل على ذلك:

١- عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعلم قبر عثمـــان بـــن مظعون بصخرة. رواه ابن ماجه في السنن. ورواه أبو داود مـــن حديـــث

المطلب بن أبي وداعة وفيه: أنه حمل الصخرة فوضعها عند رأسه وقال: أتعلم قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهل.

٢- عن جعفر بن عمر عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مشى على قبر ابنه إبراهيم ووضع عليه حصباء. رواه الشافعي.

وهذا يبين أنه لو كان في تعلية القبور فائدة لما حرم النبي -صلى الله عليه وسلم- ابنه وحبيبه إبراهيم منها، وذلك لعمل الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة -رضي الله عنهم- أن العمل الصالح هو الذي ينفع الميت في قبره فلم يهتموا بتعلية القبور وبنائها بطريقة تنافي الشرع كما هو شائع اليوم عند من أصابتهم عدوى التفاخر بعد أن شغلتهم المظاهر وألهتهم عن العمل بأصول الدين الحنيف.

٣- عن أبي رافع قال: سل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبر سعد بن معاذ ورش على قبره الماء.

٤- روى أبو بكر النجار عن طريف بن محمد عن أبيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رفع قبره من الأرض شبراً وطينه بطين أحمر من العرصة[1].

وهذا الحديث يبين جواز تعلية القبور قدر شبر وهو القدر الذي سمح به الشرع وبه قال الإمام الشافعي والإمام الحسن البصري. إلا أن الإمام يحيى وأبي حنيفة قالا بكراهة التطيين[2].

---

(١) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٢) لا ينبغي لأحد أن يقول بأن قول الإمام يحيى وأبي حنيفة بكراهة التطيين فيه مخالفة لأنهما كرها ما أجازه الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما لا يصح لأي أحد من العامة أن ينصب نفسه حكماً على العلماء عامة وأصحاب المذاهب خاصة في المسائل التي اختلفوا فيها فيرجح قول أحدهم على الآخر. أو يحكم بأن صاحب المذهب أخطأ في كذا أو أصاب في كذا إلا إذا كان على علم بالاسباب =

= التي توجب الخلاف بينهم، وذلك لأن المسائل التي اختلفوا فيها محصورة بين ست أمور هي:

أولاً: أن أحدهم قد يتكلم بحديث لم يصل إلى الآخر. فيبنى الأول حكمه بناء على الحديث ويبني الآخر حكمه بناء على ما عنده من الأدلة الأخرى.

ثانيًا: أن يجتهد أحدهم فيما اجتمع عنده من الأدلة سواء كانت هذه الأدلة مبنية على الأحاديث أو الأقوال المأثورة، فيرجح قول على قول، ومن هنا يظهر الخلاف.

ثالثًا: أن يختلفوا في تأويل بعض الآيات والأحاديث من حيث الألفاظ الواردة فيها فيبنى كل منهم حكمها على ما اهتدى إليه من التأويل فيما يخص هذه المسألة.

رابعًا: أن يكون هناك مسألة ما جمعت بين الجائز والمكروه، فيقال بكراهتها ككل لما تضمنته من مكروه وذلك سداً للذريعة، وربما تكون المسألة السابقة من هذا النوع. كأن يكون الإمام يحيى وأبي حنيفة قالا بكراهة التطيين بناء على أن القبور في زمان كل منهما كانت أعلى من القدر المشروع وكانت رغم ذلك تطين. فقالا بكراهة التطيين مع تعلية القبور.

خامساً: أن يقول أحدهم بما يخالف الحديث في المسائل الفرعية التي لا تمس العقيدة رغم علمهم بصحة الحديث وتأويله لحكمة تقتضيها الظروف التي يعيشها صاحب القول، كأن يكون الناس في زمانهم أقرب إلى الفتنة بشيء ما، فيقال بكراهة كل ما يؤدي إلى الافتتان به سداً للذريعة، وهذا من الحكمة وفي نفس الوقت لا يقول غيره بذلك لأنه لا يجد أمامه ما يحمله عليأن يخالف ما عنده من الأدلة الثابتة.

سادساً: أن يكون أحدهم وقف على الناسخ والمنسوخ في مسألة ما ولم يقف الآخر عليها، فيبنى الأول حكمه على آخر حديث قيل فيها ويبني الآخر حكمه على موقف عليه من الأدلة السابقة.

=

عن ابن الهياج الأسدي قال: قال لي علي -رضي الله عنه-: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفًا إلا سويته. أي سويته بالأرض. رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه[1].

---

= تنبيه: لو علم أن هناك ما يخالف الكتاب والسنة أو خالف الإجماع ضرب برأيه عرض الحائط وأخذ بما يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أو بما أجمع عليه جمهور العلماء ولا يغتر باسمه وشهرته بين الناس وذلك لأن الرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالرجال.
هذا وليعلم أن العالم إذا اجتهد فأصاب له أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، على أن لا يعمل برأيه إذا ثبتت مخالفته للكتاب والسنة أو لما أجمع عليه جمهور العلماء.

(١) ولما كان القبوريون أهلاً للجدال بسبب حميتهم وعصبيتهم العمياء لعادات الجاهلية. فإنهم لم يكتفوا بما ورد من أدلة ثابتة كافية شافية بالنسبة لتعلية القبور فوق الأرض. ولهم شبهة يحتجون بها على من ينكر عليهم بنائهم للأضرحة والمقامات فوق من فتنوا بهم من الأموات إذ يقولون: إن قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد بني عليه قبة كبيرة ولو كان بناء هذه القبة حرام ما بنيت ويقال لأصحاب هذا القول:
أولاً: أن الأصل في فعل الشيء أن يكون مشروعًا، لا أن يتم فعله ثم يؤخذ به لأنه قد حدث.
ثانيًا: أن هذه القبة المبنية على قبره -صلى الله عليه وسلم- ليس لبنائها دليل شرعي لأنه -صلى الله عليه وسلم- هونفسه الذي أوصى بعدم رفع القبور عن الأرض وأمر بتسويتها بما في ذلك قبره كما بينا في مواضع كثيرة، وليعلم أنه لم يتم بناء هذه القبة في عهد الصحابة وتابعيهم لأنهم كانوا أعلم بما أثر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعدم تعلية القبور عن الأرض، ولكن تم بناء هذه القبة في =

روى الإمام مسلم في صحيحه عن هارون أن ثمامه بن شقي حدثه قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم (برودس) فتوفي، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأمر بتسويتها.

روى الإمام مسلم أيضًا في صحيحه عن جابر قال: نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

قال الإمام الشوكاني في ذلك: والظاهر أن رفع القبور على القدر المأذون فيه محرم وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة الشافعي ومالك.

والقول بأنه غير محظور لا يصح. لأن غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك، والسكوت لا يكون دليلاً إذا كان في الأمور الظنية وتحريم رفع القبور ظن.

ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أوليًّا القباب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فاعل ذلك.

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام، وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وإنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة: إنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

=

عهد بعض ملوك مصر، وهو (قلاوون الصالحي) المعروف بالملك المنتصر في سنة ثماني وسبعين وستمائة وذلك لأهداف سياسية لا دينية.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع، لا تجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا.

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصم، حلف بالله فاجرًا فإذا قيل له بعد ذلك: بشيخك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحلف، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ قوله شرك من قال إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين ويا ملوك الإسلام أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين.

**لقد أسمعت لو ناديت حيًّا *** ولكن لا حياة لمن تنادي**

**ولو نارًا نفخت بها أضاءت *** ولكن أنت تنفخ في رماد**

وقال ابن حجر في الزواجر: وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي علىالقبور إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا يصح وقفه أو نذره.

وقال الإمام ابن حزم: لا يحل أن يبنى القبر ولا يجصص ولا أن يزاد على ترابه شيء ويهدم كل ذلك.

فإذا علم من الأحاديث السابقة وفتوى جمهور العلماء بما فيهم الإمام الشافعي وأحمد ومالك وأبي حنيفة أنه ليس من الهدي الصحيح ولا من الشرع الحنيف تعلية القبور عن الأرض فكيف بمن رفعوها قدر ذراعين وأكثر؟ ومن أين أتو بالأدلة التي تجيز رفع القبور بهذه الطريقة والمسماة بمقامات أولياء الله الصالحين؟

هل يبعث الميت من جديد داخل هذا القبر فيقوم ليملأ الفراغ الموجود داخل المقام؟ أم كان في عهدهم من مات صلبوه وبنوا حوله القبر فيكون الدفن قد تم على طريقة الوضع واقفًا؟ فإن لم يكن هذا ولا ذاك فلماذا إذًا الوقوف أمام هذا العمود والتمسح فيه والطواف حوله والصراخ والعويل بجواره؟[1].

## القرآن الكريم لا يصل للميت

### وظيفته الأصلية: وكيف يتخذه المسلمون:[2]

يقولون: إذا كان الحي ينتفع بالقرآن في حياته الدنيوية، فإن الميت كذلك لا يحرم من الانتفاع بالقرآن في مماته، بدليل قوله تعالى: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ [الإسراء:٨٢]. فمثلاً إذا قرأ إنسان الفاتحة أو آية من سور القرآن على روح ميت له، فهذا جائز، والميت ينتفع به كانتفاع الحي تمامًا.

كما يوردون حديثًا نسبوه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعون أنه يقول فيه: «**خذ من القرآن ما شئت لما شئت**» ويتخذون هذا دليلاً لعمل الأحجبة والأدوية لشفاء المرضى ودليلاً على جواز قراءة القرآن على الأموات.

ونرد عليهم فنقول: إن الله -تعالى- أنزل القرآن للأحياء، ليتخذوه هاديًا لهم، يهديهم إلى سعادة الدنيا وفلاح الآخرة. إن هم آمنوا به، أو ليكون حجة عليهم إن هم ظلوا على باطلهم. كما يقول المولى: ﴿**لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين**﴾[يس:٧٠]. ﴿**فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**﴾[ق: ٤٥]. ﴿**وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به**﴾[الأنعام:١٩].

---

(١) كتاب الوثنية في ثوبها الجديد (ص١٥).

(٢) كتاب صراع بين الحق والباطل (ص ٢٠٢).

وقد أخطأ الناس فهم العبارة التي جاءت بالآية الكريمة ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ فظنوا أو أفهمهم الشيوخ أن الرحمة هنا هي للموتى كما أفهمهم تجار الأحجبة أن عبارة ( شفاء للناس ) في الآية هي خاصة بشفاء أمراض الأجسام، ولكن هذا التفسير للآية تحريف لمعناها وإخراج لها عن مواضعها، فإن الرحمة والشفاء في الآية هي للمؤمنين الأحياء.

وفي آية أخرى يقول الله -عز وجل-: ﴿ **يا أيهاالناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة** ﴾ [ يونس:٥٧ ].

فالقرآن موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين الأحياء الذين كانوا يؤمنون به قبل موتهم.

لأن الميت لا ينفعه إلا عمله، أما الذي يفيد الميت وينفعه هو: أعماله وسعيه في الدنيا، وذلك كما يقول المولى جل شأنه: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾[النجم:٣٩-٤١]. ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ [المدثر: ٣٨]. ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء** ﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ [الزلزلة: ٧،٨].

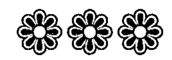
فهذه كلها نصوص تشهد بأن الميت لن ينتفع إلا بعمله وسعيه في الدنيا لأنها دار عمل وبموته انقطع عمله، وليس له من عمل سوى ما بينه حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-.

سوء استعمال القرآن: ولقد أساء كثير من المسلمين استعمال آيات القرآن، فهم يستأجرون المشايخ ليقرءونه في المآتم، وعلى قبور الموتى لجلب الرحمة والغفران لهم، ويضعون القرآن في بيوتهم في مجلد فاخر ليحفظ البيت من العفاريت، أو شبح الفقر أو ليدفع عن العائلة شر الحاسدين، أو يعلقونه على أبواب المحلات التجارية والصناعية، أو بسياراتهم بقصد جلب الرزق،

ودفع الكساد عنهم، ويعلقونه في شكل (حجاب) بجسم المريض ليشفيه، أو بجسم طفل وحيد أبويه ليحفظه من المرض، أو من عيــون الحاسـدين، أو ليطيل عمره لأن من سبقوه من إخوته ماتوا أطفالاً.

علىهذا النحو السيئ يستعمل أكثر المسلمين آيات القرآن الكريـــم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، مع أن الإسلام ينكر هذه العادات الذميمة ويأمر بتركها، كما جاء في كثير من الأحاديث النبوية.

حديث: «**خذ من القرآن ما شئت لما شئت**» أما هذا الحديث، فـــلا أصل له، وهو مبتدع، حتى أنه لم يرد له ذكر في كتب المحققين الذين بينـــوا لنا الأحاديث الصحيحة والمكذوبة والموضوعة، ويكفي هذا دليلاً دامغًا قويًّا على أن هذا الكلام المنسوب لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- ابتدعه (تجار القرآن) ليكون لهم مورد رزق، ومصدر عيش، لأنهم وجدوا في هذا العمل حياة سهلة ناعمة، لا عمل فيها ولا جهد ولا عرق.



# قصيدة في الزهد

ليس الغريب غريب الشام واليمن *** إن الغريب غريب اللحد والكفن
إن الغريب له حق لغربته *** على المقيمين في الأوطان والسكن
لا تنهرن غريبًا حال غربته *** فالدهر ينهره بالذل والمحن
سفري بعيد وزادي لن يبلغني *** وقوتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست أعلمها *** الله يعلمها في السر والعلن
ما أحلم الله عني حيث أمهلني *** وقد تماديت في ذنبي ويسترني
تمر ساعات أيامي بلا ندم *** ولا بكاء ولا خوف ولا حزن
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً *** على المعاصي وعين الله تنظرني
يا ذلة كتبت في غفلة ذهبت *** يا حسرة بقيت في القلب تحرقني
دعني أنوح على نفسي وأندبها *** وأقطع الدهر بالتذكير والحزن
دع عنك عذلي يا من كان يعذلني *** لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني
دعني أسح دموعًا لا انقطاع لها *** فهل عسى عبرة منها تخلصني
كأنني بين تلك الأهل منطرحًا *** على الفراش وأيديهم تقلبني
وقد تجمع حولي من ينوح ومن *** يبكي علي وينعاني ويندبني
وقد أتوا بطبيب كي يعالجني *** ولم أر الطب هذا اليوم ينفعني
واشتد نزعي وصار الموت يجذبها *** من كل عرق بلا رفق ولا هون
واستخرج الروح مني في تغرغرها *** وصار ريقي مريراً حين غرغرني
وغمضوني وراح الكل وانصرفوا *** بعد الإياس وجدوا في شرا الكفن
وقام من كان أولى الناس في عجل *** نحو المغسل يأتيني يغسلني
وقال يا قوم نبغي غاسلاً حذقًا *** حراً أديبًا أريبًا عارفًا فطن
فجاءني رجل منهم فجردني *** من الثياب وأعراني وأفردني
وأودعوني على الألواح منطرحًا *** وصار فوقي خرير الماء ينظفني
وأسكب الماء فوقي وغسلني *** غسلاً ثلاثًا ونادى القوم بالكفن
وألبسوني ثيابًا لا كمام لها *** وصار زادي حنوطي حين حنطني

وأخرجوني من الدنيـــا فوااســفاه *** علــى رحيــل بــلا زاد يبلغـــني
وحملوني علـــى الأكتـاف أربعـة *** من الرجال وخلفي مـــن يشـيعني
وقدموني إلى المحـراب وانصرفـوا *** خلف الإمام فصلى ثـــم ودعــني
صلوا عليّ صلاة لا ركـــوع لهـا *** ولا ســجود لعـل الله يرحمـــني
وأنزلوني إلى قـبري علـى مهـل *** وقدموا واحــدًا منهـم يلحدنـــي
وكشف الثوب عن وجهي لينظرني *** وأسكب الدمع من عينيه أغرقــني
فقـام محترمًـا بـالحزم مشـتملاً *** وصفف اللبن من فوقــي وفـارقني
وقال هلوا عليه الترب واغتنمـوا *** حسن الثواب من الرحمن ذي المنن
في ظلمة القـبر لا أمٌ هنـاك ولا *** أب شـفيق ولا أخ يؤنســـني
وهالني صورة في العين إذ نظـرت *** من هول مطلع ما قد كان أفزعــني
من منكر ونكير مـا أقـول لهـم *** قد هالني أمرهم جـدًّا فأدهشــني
وأقعدونـي وجـدوا في مسـاءلتي *** ما لي سواك إلهــي مـن يخلصــني
تقاسم الأهل مالي بعدما انصرفـوا *** وصار وزري على ظهري فـأثقلني
واستبدلت زوجي بعلاً لهـا بـدلي *** وحكمته على الأمـوال والسـكن
وصيرت ولدي عبـدًا ليخدمهـا *** وصار مالي لهـم حـلاً بـلا ثمـن
فـلا تغرنـك الدنيـا وزينتهـا *** وانظر إلى فعلها في الأهل والوطن
وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعهـا *** هل راح منها بغير الحنط والكفـن
خذ القناعة من دنياك وارض بهـا *** لو لم يكن لك منها إلا راحة البدن
يا زارع الخير تحصـد بعـده ثمـرًا *** يا زارع الشر موقوف على الوهن
يا نفس كفي عن العصيان واكتسبي *** فعـلاً جميـلاً لعـل الله يرحمـني
يا نفس ويحك توبي واعملي حسنًا *** عسى تجازين بعد الموت بالحسـن
ثم الصلاة علـى المختـار سـيدنا *** ما وقع الـبرق في شـام وفي يمـن
والحمـد لله ممسـينا ومصبحنـا *** بالعفو والخير والإحسـان والمنـن

# تنبيه الغافلين

## حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

١- هل ذكرت الله عند قيامك من نومك؟
٢- هل صليت اليوم الفجر في المسجد جماعة؟
٣- هل قرأت اليوم أذكار الصباح؟
٤- هل استفتحت يومك بسؤال الله أن يرزقك الحلال والتحري عنه؟
٥- هل سألت الله ثلاثًا أن يدخلك الجنة؟ فإن من سأل الله الجنة، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة.
٦- هل استجرت بالله من عذاب النار ثلاثًا فإنه من فعل ذلك قالت النار: اللهم أجره من النار؟
٧- هل حافظت على جميع الصلوات في المسجد جماعة في أوقاتها؟
٨- هل صليت اليوم السنن الراتبة والتطوع؟
٩- هل واظبت على قراءة الأوراد عقب كل صلاة وأذان؟
١٠- هل كنت خاشعًا اليوم في صلواتك متدبرًا ما تقول؟
١١- هل اتقيت الله في مكسبك ومطعمك ومشربك وملبسك؟
١٢- هل حمدت الله على نعمة الإسلام؟
١٣- هل حمد الله على نعمة السمع والبصر والفؤاد وسائر النعم؟
١٤- هل اغتنمت ساعات الاستجابة ودعوت الله بها؟
١٥- هل قرأت وتعلمت وحفظت وعملت اليوم بشيء من كتاب الله؟
١٦- هل قرأت وتعلمت وحفظت وعملت اليوم بشيء من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟

١٧- هل تعلمت شيئًا من الفرائض وحضرت اليوم درسًا للعلم؟
١٨- هل حفظت اليوم سمعك وبصرك وبقية جوارحك عن الحرام؟
١٩- هل صليت اليوم على النبي -صلى الله عليه وسلم- ؟
٢٠- هل عدت مريضًا؟
٢١- هل مشيت في تشييع جنازة (غسلها، الصلاة عليها، دفنها)؟
٢٢- هل أمرت بمعروف اليوم أو نهيت عن منكر؟
٢٣- هل نصحت في الله؟
٢٤- هل أعنت مسلمًا؟
٢٥- هل وفيت بالعهد وصدقت في الوعد؟
٢٦- هل أخلصت في أعمالك كلها في السر والعلن؟
٢٧- هل اقتصدت في الفقر والغنى؟
٢٨- هل وصلت من قطعك؟
٢٩- هل عدلت في الغضب والرضى؟
٣٠- هل عفوت عمن ظلمك وأعطيت من حرمك؟
٣١- هل كان اليوم صمتك فكرًا ونطقك ذكرًا ونظرك عبرة؟
٣٢- هل أحببت في الله وأبغضت في الله؟
٣٣- هل أهديت هدية لتأليف قلب وزيادة حب ومودة؟
٣٤- هل فكرت في الابتعاد عن رفقاء السوء وتخيرت الأصدقاء؟
٣٥- هل حرصت على التعرف على أخ جديد لك في الله؟
٣٦- هل حاولت تجنب الإكثار من الضحك؟
٣٧- هل بكيت اليوم من خشية الله؟
٣٨- هل استغفرت الله اليوم من ذنوبك؟
٣٩- هل دعوت الله أن يثبت قلبك على دينه؟
٤٠- هل دعوت الله اليوم واستغفرت للمؤمنين والمؤمنات؟

٤١- هل تصدقت اليوم على الفقراء والمحتاجين؟

٤٢- هل ابتسمت اليوم في وجه أخيك المسلم؟

٤٣- هل تركت الغضب لنفسك وحاولت ألا تغضب إلا لله تبارك وتعالى؟

٤٤- هل طهرت قلبك من أمراضه (الغل، الحقد، الحسد)؟

٤٥- هل نظفت لسانك من الكذب والغيبة والنميمة والجدل واللغو؟

٤٦- هل عودت نفسك على العادات الطيبة من (حلم، صبر، ورع، تقوى، رحمة، توكل، إخلاص)؟

٤٧- هل أصابتك مصيبة فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون؟

٤٨- هل دعوت بهذا الدعاء: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم. فمن قال ذلك أذهب الله عنه الشرك ظاهره وخفيه؟

٤٩- هل أخلصت في يومك في كل عملك؟

٥٠- هل حافظت على سنة نبيك القولية والعملية؟

٥١- هل تذكرت الموت والقبر واليوم الآخر وشدائده؟

٥٢- هل صمت اليوم (الاثنين والخميس) ثلاثة أيام من كل شهر؟

٥٣- هل رددت الأذكار الخاصة بـ (الدخول والخروج - المسجد - المنزل - والخلاء- الطعام - لبس الثياب)؟

٥٤- هل أديت ما عليك من حقوق عن نفسك وما لك في حق والديك - لزوجتك وولدك - لأقاربك وجيرانك - وحق الدعوة إلى الله؟

٥٥- هل قمت بوظائف ليلة ويوم الجمعة من: (اغتسال - تطيب- لبس أفضل الثياب - تحري ساعات استجابة الله للدعاء - قراءة سورة الكهف - والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- قال

ابن عمر -رضي الله عنهما-: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك).

٥٦ - هل ختمت يومك بتوبة نصوح واستغفار وخشوع؟

* * *

# فهرس الكتاب

| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |